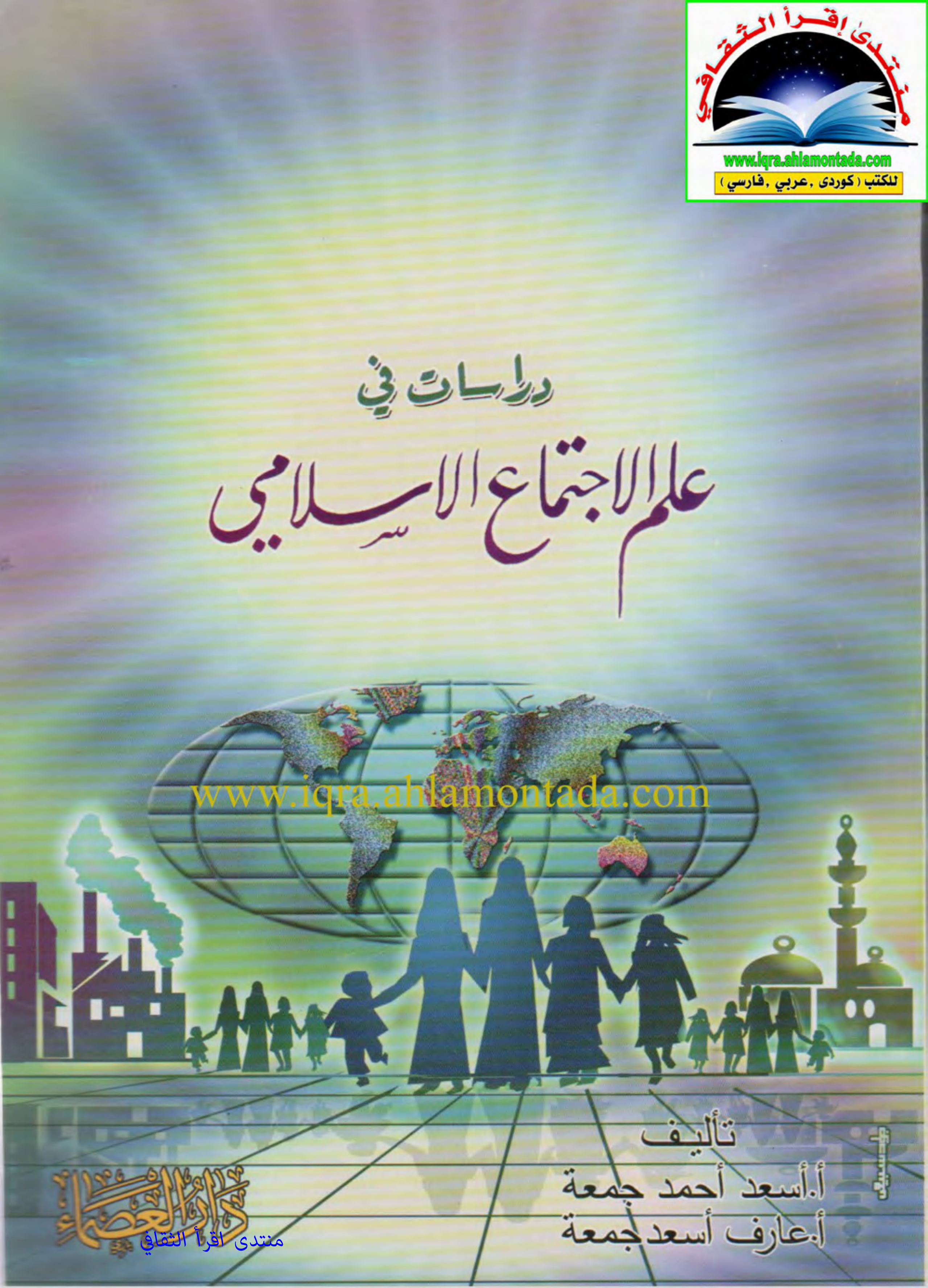

منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى ,عربي ,فارسي)
دراسات في
علم الاجتماع الاسلامي
www.iqra.ahlamontada.com
تأليف
أ.أسعد أحمد جمعة
أ.عارف أسعد جمعة
دار العصماء
منتدى اقرأ الثقافي


منتدى إقراء الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى , عربي , فارسي)

دراسات في

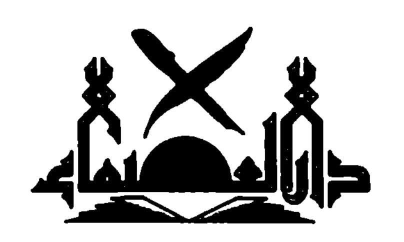
علم الاجتماع الاسلامي

تأليف
أ.أسعد أحمد جمعة
أ.عارف أسعد جمعة



الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ ٢٠١١ م



سوريا دمشق-برامكة

مقابل كراج الانطلاق الموحد - دخلة الحلبوني

هاتف : ٢٢٢٤٢٧٩ - تلفاكس : ٢٤٥٧٥٥٤

خليوي: ٠٩٤٤/٣٤٩٤٣٤ ص.ب : ٣٦٢٦٧

المقدمة

والحمد لله رب العالمين، حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، سيد ولد آدم عليه السلام وخير المرسلين أرسله الله ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا، اللهم صلي عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

عد الباحثون في علم الاجتماع فروعا لعلم الاجتماع العام ومنها علم الاجتماع الديني ويدرس هذا الفرع أصول نشأة الدين وممارسة أفراد المجتمع للطقوس والشعائر الدينية وهي دراسة وصفية، تبين ما هو كائن وليس ماينبغي أن يكون.

ودراسة علم الاجتماع الديني انطلقت من أن الدين ظاهرة اجتماعية، ومن صنع العقل الجمعي في المجتمع، بل أن بعضهم أمثال (كونت ودور كهايم ...الخ) عد الدين مرحلة بدائية «الثولوجيا» واعتبروها من الأخطاء العلمية ويجب التخلص منها. لذلك لايمكن دراسة المجتمع الإسلامي في ضوء علم الاجتماع الديني، لأن هذا العلم قائم على مقدمات خاطئة غير علمية، ونظرة إلحادية فهو غربي النشأة، وإن النتائج التي توصلوا إليها إنما تختص بمجتمعاتهم ومستمدة من النظرة السلبية التي طبعت في ذهن أفراد المجتمع عن الدين ورجال الكنيسة في عصر من العصور.

أما المجتمع الإسلامي فلا يمكن دراسته إلا في علم خاص ومستقل وهو علم الاجتماع الإسلامي الذي يمتاز بمصادر وأهداف وميادين خاصة به وهو ليس مجرد علم وصفي للمجتمع بل هو علم تطبيقي يبين الوجه الأصلح والأمثل للحياة في المجتمع القائم على الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، ويحدد الضوابط الاجتماعية التي تنظم حياة أفراد المجتمع.

ولا يقتصر عم الاجتماع الإسلامي على دراسة ممارسة الأفراد للشعائر الدينية بل هو منهج عام للحياة، وينظم جميع العلاقات في المجتمع، والواجبات التي على الفرد ... التزامها بدءاً من العبادات والمعاملات والأخلاق... الخ ونهاية في تحديد تعامله مع مجتمعات المجاورة.

إن علم الاجتماع الإسلامي لا يزال حديثاً من حيث الدراسة وتبيان ميادينه وفروعه وعند دراسة أي مجتمع إسلامي لابد من مراعاة خصوصية هذا المجتمع ودراسة مدى تمثله لتعاليم الدين الإسلامي، وهناك دراسات أجريت في علم الاجتماع الإسلامي وأذكر منها:

١- كتاب "نحو علم الاجتماع الإسلامي" للدكتور زكي إسماعيل. وهو كتاب قيّم حدد فيه مصادر وميادين علم الاجتماع الإسلامي.

٢- كتاب "المدخل لعلم الاجتماع الإسلامي" للدكتور صلاح مصطفى الفوال يتحدث عن مصادر علم الاجتماعي الإسلامي.

٣- كتيب "دراسات في علم الاجتماع" للدكتور عبد الهادي الجوهري يتحدث عن موضوع التضامن في المجتمع الإسلامي.

وأما بالنسبة لكتاب "دراسات في علم الاجتماع الإسلامي" فهو يقوم على تبيين رأي علماء الاجتماع العام في الظواهر والعلاقات والنظم... الاجتماعية ودراسة (التطور والتغيير والانحراف... الخ) الاجتماعي.

ثم تتم دراسة هذه المواضيع من خلال الدين الإسلامي فيتكون صورتان لكل مبحث مما يُمكن القارئ من إجراء مقارنة.

وهذه الطريقة في البحث لعلها تحقق بعض النتائج المرجوة ومنها:

١- التعرف على علم الاجتماع العام وبعض فروعه.

٢- دراسة مفردات البحث من وجهة الدين الإسلامي وآراء علماء الاجتماع الإسلامي.

٣- إجراء المقارنة في هذه الدراسات من حيث المواضيع المطروحة والمجتمعات المدروسة ثم وضع النتائج.

الفصل الأول

المبحث الأول: علم الاجتماع العام

- تعريف علم الاجتماع.
- نشأة الدراسات الاجتماعية:

عند اليونان: أفلاطون - أرسطو - أبيقورس...

عند المسلمين: الفارابي - ابن جبير - ابن بطوطة — الغزالي — ابن مسكويه.

- ابن خلدون: مؤسس علم الاجتماع في القرن (١٤م) والقرن /٧هـ).
- لماذا يعد العلامة ابن خلدون رائد علم الاجتماع ولماذا ندرسه؟
- آراء بعض علماء الغرب في ابن خلدون - حياة ابن خلدون - دراسة ابن خلدون في المقدمة وأساس الدراسة وعرض االأسباب التي دعت ابن خلدون لهذا العلم الجديد.

المبحث الثاني: لمحة عن تطور الفكر الأوروبي الحديث.

- أثر الفلسفة الغربية في المجتمع الإسلامي.
- مرحلة أوغست كونت في منتصف القرن (١٩م) (١٧٩٨-١٨٥٧م).
- مقارنة تبين سبب إخفاق أوغست كونت (القرن ١٩م) ونجاح ابن خلدون (القرن ١٤م).

المبحث الثالث: علم الاجتماع الإسلامي.

- نشأة علم الاجتماع الديني.
- مقارنة الاجتماع الديني بالاجتماع الإسلامي.
- ميادين علم الاجتماع الإسلامي.
- التدين ظاهرة اجتماعية أم فطرة إلهية.
- مصادر علم الاجتماع الإسلامي.
- أهدف علم الاجتماع الإسلامي.
- تعريف علم الاجتماع الإسلامي.

المبحث الرابع: الظاهرة الاجتماعية

- تعريف الظاهرة الاجتماعية - خواصها - بنيتها:

أولاً: الأساس المادي، يتألف من البيئة ونمط الإنتاج والوظيفة الاجتماعية.

ثانياً: البناء الرمزي.

- علاقة التغيير الاجتماعي بالظواهر الاجتماعية.

الفصل الأول

تمهيد:

إن لعلم الاجتماع العام أهمية كبيرة في معرفة طبيعة العلاقات الاجتماعية في المجتمع، ومن خلال فروع هذا العلم الكثيرة يمكن دراسة المجتمع من جميع النواحي الاقتصادية والثقافية والدينية والتربوية... الخ.

وفروع علم الاجتماع كثيرة منها:

(علم الاجتماع التربوي، علم الاجتماع الاقتصادي، علم الاجتماع الديني، علم الاجتماع الإسلامي، علم الاجتماع السياسي، علم اجتماع الأسرة، علم اجتماع الجريمة...الخ).

المبحث الأول
علم الاجتماع العام

المطلب الأول: تعريف علم الاجتماع:

«هو العلم الذي يدرس طبيعة العلاقات الاجتماعية وأسبابها ونتائجها، ودراسته لها تكون على مستويات مختلفة كالعلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات المحلية والكبرى»[١].

وعلم الاجتماع موضوعه المجتمع الإنساني، يدرس العلاقات الاجتماعية في المجتمع سواء فردية أو جماعية، ويعتبر علماً موضوعياً وواقعياً، فيدرس الواقع كما هو لا كما ينبغي أن يكون فهو مقتصر على الدراسة النظرية والتحليلية من دون أن يطرح الأسلوب الأمثل للعلاقات في المجتمع.

نشأة الدراسة الاجتماعية:

في كل مجتمع يظهر بين أفراده مَنْ يطرح أفكاراً حول مجتمعه ويعطي نظرته المثلى حول العلاقات في المجتمع وكيفية استبدالها بعلاقات أفضل، وهذا حصل في جميع المجتمعات القديمة منها والحديثة.

هذه دراسة سريعة تبين نشأة الدراسات الاجتماعية.

١- عند اليونان: ظهرت الدراسات الاجتماعية من خلال ما توصل إليه المؤرخون والفلاسفة فقد حاول هؤلاء تتبع أحوال المجتمع والعلاقات فيه ومن أمثال المؤرخين "هيرودوتس" و"توسيديدس" في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، لقد لجأ المؤرخون إلى تدوين التاريخ عند اليونان وذكر الحوادث التي مرت بها مجتمعاتهم إضافة لتعليل الحوادث مع ذكر أسبابها وآثارها الاجتماعية[٢].

---

(١) موسوعة علم الاجتماع، الحسن: ٤١٨، معجم علم الاجتماع، العمر: ٣٩٠.

(٢) انظر: تمهيد في علم الاجتماع، اليافي: ١٥-١٦.

- **ومن الفلاسفة:** أفلاطون وأرسطو وفيثاغورث... الخ.

ولقد قدم الفلاسفة آراءهم في مجتمعاتهم كلٌّ من وجهة نظره الخاصة، ولم يَشغل الفلاسفة أنفسهم بالمجتمع من حيث العلاقات التي تدور داخله، لأن بعضهم كانت له أفكار خاصة بحيث ينظر للعالم كله من حيث حقيقة الأشياء والمبدأ الأول للحياة.

أما فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد فهم الذين اهتموا بدراسة المجتمع، ومنهم أفلاطون تلميذ سقراط (ولد في ٤٢٧ ق.م ومات في ٣٤٧ ق.م) وهو من أهم فلاسفة اليونان وله مُؤَلف "الجمهورية" بيّن فيه المثل الأعلى الاجتماعي.

ويرى أفلاطون أن أصل الحكومة التجمع وهو ناشئ عن عجز الإنسان أن يكفي نفسه، وعن حاجته إلى غيره من الناس وحاجته تكمن في غذائه ولباسه ومسكنه والدفاع عن نفسه[1].

وقسم أفلاطون المجتمع إلى طبقات:

١- طبقة الفلاحين والصناع.

٢- طبقة الجند.

٣- طبقة الحكام.

ويَغدو العدل بنظر أفلاطون عندما يسود النظام والانسجام بين طبقات المجتمع.

أرسطو: يعتبر أرسطو من أكبر الفلاسفة وهو أحد تلاميذ أفلاطون (ولد ٣٨٤ ق.م، ومات ٣٢٢ ق.م).

بحث أرسطو في صلاح المدينة وأساسها وذكر شروط الدولة الصالحة:

١- شرط خاص بالسكان بحيث يكون عدد السكان متناسب مع النشاط الفكري وملائم لانتشار النظام (لذلك أباح الإجهاض).

٢- شرط خاص بمساحة المدينة: يجب أن تسع المدينة حاجات المواطنين.

---

(١) انظر: تمهيد في علم الاجتماع، اليافي: ٣٤-٣٧، موسوعة علم الاجتماع، الحسن: ٦٧-٦٨.

٣- صفات المواطنين: يجب أن يجمع المواطنون بين القوة والذكاء[1].

وذكر للدولة وظائف أساسية، ولاحظ أن الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع واعتبر أن الاجتماع ضرورة والمجتمع هو أرقى صورة للحياة السياسية.

ابيقورس: (ولد ٣٤١ ق.م، ومات ٢٧٠ ق.م).

رأى ابيقورس أن الإنسان ليس مدنياً أو اجتماعياً بالطبع بل كان الإنسان يوجد في البداية كفرد يتنازع مع أقرانه ويتنافس معهم، ولكن عندما نشأت الدولة أبطلت النزاع بين الأفراد لذلك التشريع الذي تضعه الدولة إنما هو عقد اجتماعي يضمن اتفاق الناس وتعايشهم مع بعضهم، ولهم الحق في فك هذا العقد متى أرادوا.

يتضح أن أفكار الفلاسفة وأطروحاتهم للمواضيع الاجتماعية كانت ترجع إلى تحليل خاص بكل واحد منهم أو بالمجتمع الذي يحلله الفيلسوف.

الدراسات الاجتماعية عند المسلمين العرب:

قبل الإسلام كانت المجتمعات العربية مؤلفة من قبائل متفرقة وبعضها استقر في بعض المناطق الاستراتيجية لغرض التجارة، وهذه المجتمعات تسود فيها عادات وتقاليد اجتماعية متوارثة من الأجداد (كالشجاعة والكرم والثأر...) ولم يكن هناك دراسات اجتماعية من قبل المفكرين والفلاسفة لبعد العرب عن هذه التأثيرات الفكرية، ولكن تجسدت بعض الدراسات الاجتماعية من حيث الوصف والنقد والمدح من خلال قصائد الشعراء أو ما نقل عن بعض الحكماء العرب في تلك المجتمعات.

- بعد انتشار الإسلام ارتفعت مكانة العلم والإنسان وتحول تفرق العرب إلى وحدة إسلامية راقية في جميع مستويات الحياة، وكان المعلم الأول سيدنا محمد ﷺ الذي أسس المجتمع الإسلامي على المنهج الرباني الذي رضيه الله لعباده واستخلفهم في الأرض عليه.

لقد أنتج هذا المجتمع الإسلامي الذي بني بناءً صالحاً علماء في جميع الميادين، واقتصاراً على مورد البحث، فقد ظهر علماء اجتماع مسلمين ويظهر ذلك من خلال

---

(١) انظر: تمهيد في علم الاجتماع، الياني: ٤٣-٤٧، موسوعة علم الاجتماع، الحسن: ٥٠-٥١.

الرحالة المسلمين والدعاة إلى دين الله عز وجل، والتجار فأولئك كانوا يجوبون الأصقاع ويتعرفون على عادات المجتمعات والعلاقات السائدة فيها.

إضافة إلى وجود رحالة جغرافيين تمرسوا علم الجغرافيا، واهتموا بدراسة البيئة الاجتماعية وربطوا المناخ بالعادات والتقاليد والطباع.

وهناك أيضاً علماء اختصوا بهذا النوع من العلم ووضعوا أسسه وقدموا مبادئ ودراسات لا زالت إلى هذا اليوم تعتبر أساساً في علم الاجتماع.

ومن الفلاسفة العرب الذين اهتموا بدراسة المجتمعات:

الفارابي[1]: وهو أبو النصر محمد الفارابي ولد في مدينة فاراب (٢٥٩هـ - ٨٢٧م) عاصر سيف الدولة وشغل بعض المناصب السياسية، وكان الفارابي عالماً مشهوراً؛ درس المنطق والفلسفة والعلوم الشرعية... الخ.

ومن الكتب المشهورة في العلوم الاجتماعية كتاب "السياسات المدنية"، "إحصاء العلوم"، "المدينة الفاضلة".

وذكر في كتابه "إحصاء العلوم" المدن والأمم وذكر شيمها وعاداتها وتقاليدها وصنف بعض المهن والأعمال الممارسة ضمن هذه المدن، وفي كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" رأى الفارابي أن الإنسان مفطور على الاجتماع، وقسم الفارابي الاجتماعات الإنسانية إلى:

١- اجتماعات إنسانية كاملة: وقد تكون عظمى إذا اجتمعت الجماعات كلها في المعمورة، وقد تكون وسطى (كاجتماع أمة في جزء من المعمورة)، أو صغرى (كاجتماع أهل المدينة في جزء من مسكن أمة).

٢- اجتماعات إنسانية غير كاملة كاجتماع أهل القرية وأهل المحلة ويرى أن الاجتماع بالمدينة هو الأفضل.

وقسم كتاب المدينة الفاضلة إلى قسمين:

---

(١) انظر: موسوعة علم الاجتماع، الحسن: ٤٨١-٤٨٢، تمهيد في علم الاجتماع، الياني: ٥٧-٦١، المدخل لعلم الاجتماع الإسلامي، صلاح الفوال: ١١٥-١١٧.

قسم يدرس الأساس الفلسفي والمثالي والديني للمدينة الفاضلة.

والقسم الثاني يبحث في الحاجات التي تدفع الإنسان إلى الاجتماع البشري.

وقسّم كتابه "السياسات المدنية" إلى قسمين:

الأول: يبحث فيه في الموجودات الروحية والمادية.

والقسم الثاني: يبحث في قضايا المجتمع السياسية والاجتماعية.

ولقد غلبت المثالية على أفكار الفارابي وذلك لتأثره بآراء أفلاطون ولا تخفى غَيرة الفارابي على المجتمع العربي الإسلامي، وقد حاول إعادته إلى النهج الإسلامي الصحيح وقدّم أفكاراً قيّمة واعتبر الفارابي المعلم الثاني بعد أرسطو.

واهتم الرحالة بالسفر بغية طلب العلم والدعوة إلى الإسلام، أو بغية الاستطلاع أو التجارة أو حباً في السفر، ودَوَّن هؤلاء الرحالة أحوال المجتمعات التي زاروها وبينوا عادات وتقاليد سكان هذه المجتمعات ومن هؤلاء الرحالة ابن خرددابه واليعقوبي وابن فضلان وابن جبير...

ابن جبير[1]: هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير ولد عام ٥٤٥هـ، وهو من أسرة عربية سكنت الأندلس، درس فيها علوماً كثيرة وبدأ رحلته إلى الأراضي الحجازية سنة ٥٨٠هـ، ثم توجه إلى سردينيا لعلمه بوجود أسرى مسلمين يباعون في سوق النخاسة فأحس بالألم لذلك، وعَزا ذلك لتفكك المسلمين يومئذ، وتنقل ابن جبير في أراضي المعمورة مدوناً كل ما شاهد وكتب كتابه المشهور "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار".

وأخذ يورد شرحاً لكل ما مر به واصفاً ماشاهده من أحوال الناس، ثم يقوم بتحليل هذه الأحوال، وينقد ما يشاهده من أخطاء ويصححها فيقول واصفاً عادات أهل الشام في الجنائز: «ولأهل دمشق وغيرها من هذه البلاد في جنائزهم رتبة عجيبة وذلك أنهم يمشون أمام الجنازة بقراء يقرؤون القرآن بأصوات شجية فتتلقاه الأذان بأدمع الأجفان...».

---

(١) أعلام الجغرافيين العرب، حميدة: ٢٤٥-٢٤٧.

ابن بطوطة[1]: هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطنجي المعروف بابن بطوطة قام بالسفر أكثر من ثلاثين عاماً زار بلاداً كثيرة منها (الهند والصين وبلاد فارس و...الخ).

ولابن بطوطة مُؤَلف وهو "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" بين في كتابه الأحوال الاجتماعية والحضارية وربط بين الظواهر الطبيعية والمناخية والأرضية وبين عادات وتقاليد ومُثل ومقاييس وأديان المجتمعات.

ويرجع ابن بطوطة المجتمع إلى أنه مسرح لطائفتين من الظواهر:

١- ظواهر اجتماعية: المجتمع بصددها يخلقها وينشئها ويوجدها وهذه الظواهر متماسكة كشجرة متفرعة الأغصان يجمعها ساق واحد.

٢- ظواهر طبيعية: المجتمع بصددها لا يخلقها ولا ينشئها بل يجدها مستقلة ويتأثر بها.

ووصف ابن بطوطة الظاهرة الاجتماعية بأنها سريعة الحركة والتطور ولها عدة أنواع سياسية واقتصادية وأخلاقية... الخ.

وابن بطوطة كان رقيق المشاعر وسريع التأثر تقياً ورعاً متديناً.. وكان إذا دخل بلداً لم يخرج منها إلا وقد ألفه الجميع وأحبه حتى إنه إذا دخل بلداً ولم يجد من يسلم عليه بادر بالبكاء فيقبل الناس عليه مواسين له ومتعرفين عليه، فلم يدخل مكاناً إلا وخرج منه صديقاً حميماً.

قال المستشرق (ريجيس بلا شير) إن كتاب ابن بطوطة له أهمية في التعرف على العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي ففيه معلومات تاريخية دقيقة ومعلومات متعلقة بعقائد وعادات وأخلاق السكان.

ومن علماء الدين الذين اتخذوا منهجاً إصلاحياً للمجتمع وإعادت إحيائه على المنهج الإسلامي القويم:

الغزالي، ابن تيمية، المقريزي، ابن مسكويه ... وغيرهم.

---

(١) انظر: موسوعة علم الاجتماع، الحسن: ٣-٧.

الإمام الغزالي: هو محمد بن محمد الغزالي يُكنى بأبي حامد الغزالي لُقب بحجة الإسلام لما عُرف عنه رحمه الله بمنهجه الإصلاحي القائم على بث الإسلام الحقيقي الذي يستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ولد الغزالي في مدينة طوس عام ٤٥٠هـ وكان رحمه الله مولعاً بطلب العلم بمعظم صنوفه "الفقه الإسلامي، أصول الفقه، التوحيد، الفلسفة الإسلامية، التصوف، علم الاجتماع الإسلامي...".

وللإمام مؤلفات كثيرة يفوق عددها ٣٥٠ كتاب.

ولعل كتابه القيم "إحياء علوم الدين" هو أبرز ما كتب الإمام الجليل في مضمار تصحيح الاعتقاد والعبادات والأخلاق إضافة لما يحويه الكتاب من قيم تربوية عظيمة ينشأ عليها المجتمع الإسلامي ومن يطالع هذا الكتاب يشعر بتفرد هذا الكتاب في إصلاح الأمة ولقد اجتمعت الأمة على الاعتداد بهذا الكتاب.

ويحتوي كتاب إحياء علوم الدين على أربعة أقسام:

١- القسم الأول "ربع العبادات".

٢- القسم الثاني "ربع العادات" ويبين في هذا القسم الأحكام الإسلامية التي يجب أن تطبق في المجتمع الإسلامي.

٢- القسم الثالث "ربع المهلكات" يبين الإمام في هذا القسم الأخلاق الذميمة التي ينبغي على المجتمع الابتعاد عنها ليبقى في مأمن من الانهيار.

٤- القسم الرابع "ربع المنجيات" وفي هذا القسم يذكر الإمام العبادات والطاعات الموجبة لرضا الله عز وجل والمحصلة للسعادة الدنيوية والأخروية.

والإمام الغزالي أكد في كتاباته على ضرورة الاجتماع والتفاعل بين أفراد المجتمع بما يحقق التضامن والتراحم ويؤكد على أهمية التعلم والتعليم وضرورة تعميمها على جميع أفراد المجتمع فيقول: «إن التعليم والتعلم من أعظم العبادات ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر في هوس ...».

ابن مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب من أشهر علماء المسلمين الذين بحثوا في الأخلاق الإسلامية وأثرها في المجتمع وهو يؤكد على الارتباط بين التربية والأخلاق ويعتبر كتابه "تهذيب الأخلاق" من الكتب الهامة التي تنظم علاقات الأفراد في المجتمع وفق المنهج الإسلامي القائم على الاعتدال في التعامل ويبين القيم التي تتشكل منها إنسانية الإنسان والتي على أساسها تقوم الحياة الاجتماعية واعتبر أن الأخلاق هي مصدر الأفعال تنبع من النفس الإنسانية وهدفها تحقيق السعادة العقلية ويتجلى ذلك على مستوى الفرد والمجتمع من حيث تحقيق التضامن والتكافل الاجتماعي المرتكز على أساس ديني صحيح.

ويتضح تنوع مناهج علماء المسلمين أثناء عرضهم لأساليب تنظيم الحياة الاجتماعية وفق الشريعة الإسلامية فالبعض ينطلق من دراسة الأخلاق وأثرها في المجتمع والبعض ينطلق من دراسة أثر الإيمان والعبادات والبعض ينظر لأثر التربية السليمة في المجتمع ... الخ.

وهذا التنوع بالأساليب مع الاتفاق بالهدف والنتيجة يزودنا بطرائق متعددة يمكن اعتمادها في دراسة المجتمع.

****

مرحلة ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع في القرن (١٤م) والقرن (٧هـ):

جاء في كتاب معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري من (ص٧٣-٧٦): «لقد كان كتاب ابن خلدون بحق مؤسس علم الاجتماع دون منازع وأستاذا لكل من جاء من بعده من العلماء والأفذاذ في هذا الفرع من فروع المعرفة أمثال الفيلسوف الفرنسي (أوغست كونت) والإيطالي (فيكو) وقد اعترف بذلك المستشرقون حين عرضوا لنظرياته».

لماذا يعد العلامة ابن خلدون رائد علم الاجتماع ولماذا ندرسه؟

استنادا إلى القراءة العلمية الدقيقة للتراث والتي أكدت حقيقة الدور الحضاري الهام الذي أسهم به الفكر العربي الإسلامي في إغناء الفكر الإنساني وفي رفد الفكر التقدمي يبرز اسم العلامة ابن خلدون الذي يعد أحد الأعلام البارزين.

- الذين سبروا غور الظاهرة الاجتماعية والتاريخية سبراً عميقاً جوهرياً، وكان أول من تناول الظواهر الاجتماعية بطريقة علمية باعتبار ما هو واقع وكائن -وليس باعتبار ما ينبغي أن يكون- من أجل الكشف عن العلاقات التي تربط بينها وبين السنن (القوانين) التي تحكمها.

- وكان من الذين بحثوا في القوانين المحركة للتطور الاجتماعي والتاريخي.

- فقد استوعب ابن خلدون جميع معارف عصره وحقق مالم يحققه مجموع المفكرين السابقين عليه.

- واستطاع في مقدمته أن يقيم صرحاً راسخاً للفكر الاجتماعي العلمي وأن يفتتح مرحلة جديدة عدت حلقة جوهرية في تاريخ علم الاجتماع والتاريخ.

- فقد كان رائداً من الرواد الذين قدموا مساهمات علمية جديدة في عدد من ميادين العلم والمعرفة.

- كما أن عدداً من النظريات الاجتماعية والاتجاهات الفكرية الحديثة تجد جذورها لدى ابن خلدون.

- وإن محاولة بعثه مجدداً في حياتنا الفكرية على نحوٍ خلّاق تقتضي إبراز الجوانب العلمية والثورية التي قدمها وربطها مع آفاق الفكر وأشكاله الأكثر تطوراً وحداثة، والتي تحاول الإجابة (بلغة علمية معاصرة) عن مشكلات وطروحات كان تاريخنا قد أسهم في طرحها وبحثها، لعلنا نلتمس منه نوراً يهدي الحيارى الذين راحوا للشرق تارة وللغرب تارة فما جنوا إلا الآلام.

وفيما يلي آراء بعض علماء الغرب في ابن خلدون:

كان علماء الغرب يظنون قبل دراسة آثاره ونظرياته أن مفكري الغرب هم الذين اهتدوا إلى فلسفة التاريخ ومبادئ علم الاجتماع وأصول الاقتصاد والسياسة ولكن بعد دراستهم لمقدمته الشهيرة رفعوه إلى ذروة المجد في سلك مؤرخي الحضارة مع اعترافهم بأفضليته في السبق:

حيث قال العالم (ليدنج غمبلوفيتش) وهو عالم معاصر: «لقد أردنا أن ندلل

على أنه قبل أوغست كونت بل قبل فيكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول عالم أوروبي في علم الاجتماع، جاء مسلم تقي فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن، وأتى في هذا الموضوع بآراء عميقة. وما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع».

وكذلك فإن الفيلسوف المعاصر (روجيه غارودي) بعد أن تحدث عن الأسباب العقائدية التي أدت إلى إسلامه عدّد بعض الإبداعات الحضارية المدنية التي جاءت لنتائج لتلك الأسباب والتي أبدعها الإسلام ومنها ما كان في مجال علم الاجتماع وفلسفة التاريخ فيقول لذلك: «يكفينا أن نذكر **ابن خلدون مفخرة الإسلام والمسلمين الذي يعتبر من أبرز الشخصيات العلمية** إذ جمع إلى العلم والفن عقلية شمولية. وكان فيلسوفاً ورجل دولة وقد ألف كتاباً مدهشاً في التاريخ وعلم الاجتماع تناول فيه ازدهار الحضارات وانهيارها من منظور علمي إسلامي وأصبح به مؤسساً لعلم الاجتماع ورائداً لفلسفة التاريخ والحضارة».

ثم يتابع قوله في الإبداعات فيبين أنه لم يكن حظ المسلمين في علم الاجتماع أقل من نصيبهم في بقية العلوم العربية الإسلامية التي تجلت بروح جعلت منها علوماً ذات أصالة وإبداع وعطاء. فهي ليست مجرد همزة وصل بين العلوم اليونانية والعلوم المعاصرة، حيث أنها كانت كلها في خدمة عقيدة التوحيد[1].

وكان من إحدى خصائصها أنها متداخلة، بعضها متصل ببعض بسبب من مبدأ (الوحدة) الذي يدعو إلى التأمل في وحدة العالم ووحدانية الله التي تتجلى في وحدة خلقه.

ثم يستنتج ما يلي فيقول: «إنه شخصية عالمية في مجال العلوم الإنسانية إلى جانب اتصافه بأنه دبلوماسي ومحارب ومؤرخ وعالم اجتماع وفيلسوف وفنان... وهو مخترع علمي عن التاريخ وعلم الاجتماع».

وينتهي غارودي إلى أن «شخصاً من رتبة ابن خلدون لا يمكن أن يظهر في الفراغ، ونحن نتخيل عند قراءته مدى نمو الفكر العربي في عصره في مجال العلوم الاجتماعية».

---

(١) كتاب علم الاجتماع، ص٩٣، الدكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

نقد تنامى الاهتمام بابن خلدون وتصاعد في القرن التاسع عشر مع بزوغ ملامح الفكر المادي التاريخي، ويبرز ذلك الاهمام من خلال رسالة بعث فيها مكسيم غوركي إلى المفكر الروسي ف.أ.انوتشين عام ١٩١٢ وفيها يقول: «إنك تنبئنا بأن ابن خلدون في القرن الرابع عشر كان أول من أظهر دور العوامل الاقتصادية وعلاقات الإنتاج. إن هذا النبأ قد أحدث وقع خبر مثير» واهتم به صديقا لطرفين (يقصد لينين) اهتماماً خاصاً وبهذا الصدد كتب انوتشين: «اهتم فلادمير ايليتش لينين اهتماماً شديداً بالفيلسوف العربي ابن خلدون (مؤلف المقدمة) الذي يتناول العوامل الاقتصادية». وكان لينين يتساءل: «ترى أليس في الشرق آخرون من أمثال هذا الفيلسوف؟!.» «ومنذ سنوات كانت اليابان قد أرسلت شاباً إلى القاهرة يقضي سنوات لتعلم اللغة العربية بهدف أساسي هو ترجمة ابن خلدون إلى اللغة اليابانية»[1].

حياة ابن خلدون:

اسمه وتاريخ ميلاده: ولد العلامة (ولي الدين أبا زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) في تونس عام ١٣٢٢م/٧٢٢هـ وتوفي في مصر بالقاهرة عام ١٤٠٦م/٨٠٨هـ.

نسبه والبيئة التي نشأ فيها: نسبه إلى أسرة عربية يمنية من ملوك كندة مسلمة وقد قدمت إلى الأندلس مع جيوش الفاتحين، وجده خالد المعروف باسم (خلدون) وهو الذي قاد اليمنيين عند فتح الأندلس عام ٧١١م واستمر بنو خلدون في اشبيلية... وتسلّم بعض أفرادها وزارة بنو عبّاد... ولم تزل أعلام هذه الأسرة تتقلب بين رئاسة سلطانية ورئاسة علمية حتى أيام والد مؤرخنا الذي زهد بالمناصب السياسية وغدا علماً من أعلام الفقه واللغة والشعر حيث كان بنو خلدون قد غادروا اشبيلية – قبل سقوطها في القرن ١٥م– إلى تونس.

وهناك تولّى الوالد تربية ابنه عبد الرحمن فكان أول شيوخه أبوه فأقرأه القرآن الكريم بالقراءات السبع ثم درس ابن خلدون التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة والمنطق والفلسفة على يد أشهر أساتذة تونس التي كانت بزمنه أهم مركز للعلوم

(١) كما جاء في كتاب العربي (٣٨) ١٥ أكتوبر ١٩٩٩م.

والآداب في المغرب وقد قصدها عدد كبير من علماء الأندلس، فوالى دراسته على يد كبار علماء عصره. ثم اجتاح الطاعون البلاد وحلّ بذلك القطر نكبة لم تبق ولم تذر وكان والداه وجميع أساتذته وكثير من الناس ضحايا الطاعون عام ١٣٤٩م/٧٤٩هـ فتأثر لذلك وقال: «ذهب البساط بمن عليه».. وعزم على السفر.

تنقلاته والدور الذي قام به: تنقل ابن خلدون في أنحاء العالم الإسلامي على مساحة تمتد من المغرب والأندلس إلى القاهرة ودمشق في فترة بلغت نصف قرن من الزمان وخالد الناس وعانى في السجون والنفي على إثر صحبته للأمراء بعد أن مارس السياسة والسفارة والسفر والقضاء ودرَّسَ علوم الدين في الأزهر وعاش طويلاً في بلاط السلاطين المسلمين وتقلب في خدمة دواوينهم في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ثم مال إلى الزهد وقصد الحج وتوقف في مصر متفرغاً للتدريس في الجامع الأزهر.

وتولى منصب قاضي قضاة المالكية قرابة سنتين، وخولته مميزاته أن يكون ممثلاً للسلاطين - وإن كان ينزع للعلم والبحث - لذلك رافق جيش المماليك لصدٍّ زحف تيمورلنك وأقام في دمشق ليحاور تيمورلنك على أبواب دمشق الذي أعجب بحسن هيأته وعذوبة منطقة ولكنه فشل في مهمته وزحف جحافل المغول المدينة الخالدة فدمرتها وأحرقتها وواجه المفكر العربي كارثة الاحتلال الأجنبي والتفسخ الداخلي ثم عاد إلى مصر. وهكذا... بعدما لعب ابن خلدون دوراً خطيراً في الأحداث السياسية في شمال أفريقية... ولمس بيده عوامل التدهور وتمرَّس بأصناف التجارب، استقر في قلعة ابن سلامة متفرغاً للكتابة والتأليف في أول فلسفة علمية في التاريخ والاجتماع وفي تفسير نشوء الممالك واندثارها وقيام الشعوب وانحلالها لتكون شعلة تسطع وسط بحور من الظلمات... والمهم أنها كانت مستلهمة من نكبة التفسخ والانحلال التي ألّمت بالشعوب العربية والإسلامية وكانت نقطة ابتداء لعصر النهضة.

وقد أتم بحثه قبل وفاته في مصر عام ١٤٠٦م/٨٠٨هـ.

واسم كتابه: «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» وهو في عدة أجزاء عرف الأول باسم (مقدمة ابن خلدون) التي تشتمل على فصول في (ظواهر الاجتماع الإنساني أو ما يسمى بأصول

العمران البشري) ولمقدمته حظ عظيم لاشتمالها على نظريات اجتماعية واقتصادية وسياسية صارت تدرَّس بعد ذلك في علوم مستقلة مما جعل ابن خلدون مؤسساً لفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع الذي يقول عنه إنه: «فرع فلسفي لم يخطر على بال أرسطو».

دراسة ابن خلدون في المقدمة:

موضوع المقدمة: في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع بمغالط المؤرخين.

محتويات المقدمة:

لقد انتهى تقسيم الكتاب إلى ستة أقسام رئيسة تدرس ظواهر الاجتماع الإنساني في حالتي استقرارها وتطورها معاً.

فتعرض لدراسة **العمران البشري والبدوي والحضري ونظم الحكم وشؤون السياسة والاقتصاد والتربية والتعليم.**

فكانت أبواب الكتاب كما يلي:

١- **الباب الأول: العمران البشري:** بيّن أن الاجتماع الإنساني ضروري وبيّن أثر البيئة الجغرافية في البشر.

٢- **الباب الثاني: العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل:** ويتناول التاريخ للمجتمع من حيث نشأته وتطوره.

٣- **الباب الثالث: في الدور العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية.** أي في نظم الحكم وشؤون السياسة.

٤- **الباب الرابع: في البلدان والأمصار وسائر البلدان...** تعرض لنشأة المدن ومواطن التجمع الإنساني ماتمتاز به المدنية.

٥- **الباب الخامس: في المعاش ووجوه الكسب والصنائع:** تعرض للشؤون الاقتصادية واكتسابها وتعلّمها.

٦- **الباب السادس: في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه:** تعرض للناحية الفكرية والتربوية.

أما أساس هذه الدراسة وغرضها:

لقد نعى على الفلاسفة المتقدمين اقتصارهم على دراسة العالم العلوي والذات الإلهية وقولهم بآراء لا يمكن للفلاسفة البرهنة عليها...

أما هو فقد وقف عند العالم الذي نعيش فيه لأننا نستطيع بملاحظة ما في أنفسنا وما في عالمنا ومجتمعنا أن نجد وقائع يمكن البرهنة عليها والتماس عللها...

فكان لابن خلدون أسلوبه المتميز في دراسته. **وقد أسس وجهة نظره في دراسته للتاريخ والمجتمع على مايلي:**

١- **أن التاريخ ليس مجرد قصص** ولكن في باطنه نظرٌ وتحقيقٌ وتعليلٌ. أو هو علم بكيفيات الوقائع وأسبابها.

٢- **أما المجتمع وظواهره الاجتماعية فلا يشذ عن بقية ظواهر الكون والحياة... فهو يخضع لقوانين عامة**، وعلى الباحث بذل أقصى جهده لتفسير هذه القوانين وتحليلها والكشف عن عواملها.

٣- **وأن للظواهر الاجتماعية أسبابها المتأصلة في طبيعة الاجتماع الإنساني وهي لا تسير حسب المصادفات والأهواء وإنما تخضع لقوانين عامة أودعها الله سبحانه فيها مَنْ عرفها عرف كيف تقع الظاهرة ومتى؟ وغرض هذا العلم دراسة الظواهر الاجتماعية للكشف عن القوانين التي تخضع لها.**

لذلك سماه "علم الاجتماع الإنساني" أو "علم العمران البشري" وهو علم مستقل له موضوعة ومسائله ومفاهيمه وهو مانسميه اليوم علم الاجتماع Sociology.

وهو أول من طرح موضوع هذا العلم طرحاً مميزاً يختلف عن كل ما كان سائداً قبله من المفكرين الاجتماعيين بعد أن تمثل نتاج عصره الفكري والسياسي وقدم مساهمات في علم الاجتماع الاقتصادي والسياسي وعلم النفس الاجتماعي، وبحث في القضايا الديموغرافية (علم السكان) وآثارها ومنعكساتها على الاقتصاد والسياسة. فسجل بذلك أسبقيته في قدرته التحليلية ومنهجيته العلمية.

أما منهج البحث عند ابن خلدون فيجتاز مرحلتين:

المرحلة الأولى: وتبدأ بجمع المواد الأولية لموضوع بحثه في المشاهدات الحسيَّة ومن بطون التاريخ فهي تتمثل بـ:

آ - جمع ملاحظات حسية لظواهر الاجتماع في الشعوب.

ب- جمع ملاحظات تاريخية وتكون بتعقب الظواهر في تاريخ الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره.

المرحلة الثانية: وهي عمليات عقلية يجريها الباحث على المواد الأولية.

وتتمثل بالموازنة بين هذه الظواهر جميعاً والتأمل في مختلف شؤونها للوقوف على طبائعها وعناصرها والعلاقات التي تربطها ببعضها والتي تربطها بما عداها من الظواهر الكونية وعوامل تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور.

وأخيراً استخلاص ما تخضع له هذه الظواهر من قوانين ليصل إلى تحقيق الغرض من هذا العالم.

وقد وجد أن أهم ميزات ظواهر الاجتماع الإنساني أنها لاتجمد على حال واحد بل تختلف باختلاف الأمم والشعوب، وتختلف في المجتمع الواحد باختلاف العصور.

فكان **التغير والتطور هو سنة الحياة الاجتماعية في نظره وهو أساس بحثه.**

ولهذا كانت دراسة هذا العلم من أعقد الدراسات لأن علم الاجتماع يعالج ظواهر متغيرة أما العلوم الرياضية والتطبيقية فتعالج ظواهر مستقرة.

وأهم قواعد البحث التاريخي عنده:

١- أن الوقائع (الحوادث) يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول. (أو ارتباط الأسباب بمسبباتها) أي لو تشابهت الظروف لتشابهت تبعاً لذلك الوقائع...

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ (الكهف: ١٨/٥٩)

فحيثما كان الظلم تبعه الهلاك.

وبهذا جعل علم التاريخ فرعاً من الفلسفة وجعل له موضوعاً هو الحياة الاجتماعية ومايتصل به من حضارة مادية وعقلية للجماعة.

٢- يرفض من أخبار الماضي ما يراه مستحيل الوقوع:

فمثلاً هو لا ينظر في عدالة الرواة إلا إذا كان الخبر المروي جائز الوقوع، فإذا كان مستحيلاً فإنه لا فائدة من النظر في توثيق الرواة.

فهو ينظر في الواقعة الاجتماعية ويسأل عدة أسئلة قبل أن يتصور صدقها.

آ - هل هذه الواقعة ممكنة أم لا.

ب- هل هذه الواقعة مناقضة لطبائع العمران أم لا.

ت- هل هذه الواقعة متفقة مع الزمان والمكان الذي حدثت فيه أم لا.

أما الأسباب التي دعت ابن خلدون إلى إنشاء هذا العلم الجديد..

فقد كان أهمها: هو **تحري صحة الخبر التاريخي** لحرصه على تخليص البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة وإنشاء أداء يميز بها الباحثون ما لا يكون صادقاً وبين ما يحتمل الصدق من الأخبار.

ولذلك نجده قد صرف عنايته لنقد الأخبار التاريخية قبل النظر إلى مضامينها واعتبار طبائع الأشياء وما جرت به العادات والأحوال.

فهو لا ينظر في عدالة الرواة إلا إذا كان الخير المروي جائز الوقوع، وهو بهذا يلتقي مع علماء الحديث الذين صرفوا كثيراً من جهودهم في الجرح والتعديل والنقد فيما يخص الحديث النبوي وما يلوذ به من الأخبار المتعلقة بأحكام الشريعة حرصاً منهم على الأمانة والدقة في الرواية ووضعوا لذلك قواعد وشروط وعلوم كانوا هم أول من وضعها.

وترجع أسباب الكذب في قول الخبر غير الصحيح إلى ثلاثة أمور:

أولها: تتمثل في أمور ذاتية تتعلق بشخص المؤرخ وميوله وأهدافه وميول من ينقل عنهم، ونعدد منها:

آ – التشيعات للآراء والمذاهب.

ب– تقرب الناس في الأكثر لأصحاب المراتب.

جـ– ثقة العامة بكل منقول مكتوب دون إعمال الفكر فيها.

د – ولع النفس بالغرائب.

وعلاجها يكون بتجرد نفسه من الهوى والميل عن الحق... (أو ما يسمى بالتفكير الموضوعي).

ثانيها: تتمثل في الجهل بالسنن (القوانين) التي تخضع لها الظواهر الطبيعية:

كالفلك والكيمياء والحيوانات والنباتات فيسجل المؤرخون أخباراً تحكم هذه القوانين باستحالة حدوثا. مثال مانقله المسعودي عن الاسكندر لما صدّته دواب البحر.

ثالثها: تتمثل في الجهل بالقوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع الإنساني..

وهي قوانين من لدنه سبحانه في إحكام حياة البشر والكون... ومن ذلك مانقله المسعودي عن عدد جيش بني إسرائيل في فترة التيه كان ٦٠٠ ألف رجل يطيقون حمل السلاح في حين كان قد وفد إلى مصر ٧٠ رجلاً قبل ٢٢٠ سنة فقط.

وكان **لبحوثه ونظرياته أسسها العلمية والإسلامية** التي استقاها من القرآن والسنة والتاريخ وأصول علوم الحديث وغيرها من العلوم الإسلامية.

وفي ذلك يقول محمد إقبال في كتابه "تجديد الفكر الديني في الإسلام" باختصار بين الصفحة (١٦٠–١٦٣): «يبدو أن مقدمة ابن خلدون تدين بالجانب الأكبر من روحها إلى ما استوحاه المؤلف من القرآن، بل هو مدين للقرآن إلى حدّ كبير حتى في أحكامه على الأخلاق والطبائع».

قال تعالى يحثّ على تدبّر تجارب الحياة: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٧/٣).

وقال تعالى أيضاً: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ

﴿ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ٣/١٤٠) وقال: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ (يونس: ١٠/٤٩).

وهذه الآية الأخيرة مثل من أمثلة الأحكام التاريخية العامة يتجلى فيها التعين والتحديد وهي في صيغتها البالغة الإيجاز توحي إمكان دراسة حياة الجماعات البشرية دراسة علمية باعتبارها كائنات عضوية، وعلى هذا فمن يزعم أن القرآن يخلو من بذور المذهب التاريخي يكون على ضلال مبين.

على أن عناية القرآن بوصفه مصدراً من مصادر المعرفة الإنسانية تذهب إلى أكثر من مجرد الإشارة إلى تعليمات تاريخية، فقد وضع قاعدة من أعمق مبادئ النقد التاريخي وهي تقرر أن أخلاق الراوي عامل هامّ في الحكم على روايته لذلك وجب التثبت من الأخبار.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (الحجرات: ٤٩/٦).

ولقد كان تطبيق المنهج الوارد في هذه الآية على رواة الأحاديث النبوية هو الذي تطورت عنه بالتدريج قواعد النقد التاريخي، وإن نمو الحاسة التاريخية في الإسلام لموضوع رائع، فقد أسهمت هذه العوامل في خلق مؤرخين مثل ابن إسحاق والطبري والمسعودي على أن كتابة التاريخ كتابة علمية لا تتأتى إلا لمن تجمّعت لديه خبرة أوسع ونضج أتمّ في التفكير العلمي وتحقق أعظم عن طبيعة الحياة وطبيعة الزمان وكلتاهما أساس لتعاليم القرآن.

الفكرة الأولى: (عن طبيعة الحياة) تقرر وحدة الأصل الإنساني إذ يقول الكتاب الكريم: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ (الأنعام: ٦/٩٨) وهذه الفكرة ساهمت بازدهار دولة الإسلام المترامية الأطراف ازدهاراً سريعاً.

والفكرة الثانية هي إدراك حقيقة الزمان إدراكاً دقيقاً وتصور الوجود حركة مستمرة في الزمان وهذه الفكرة هي أبرز ما نجده في نظر ابن خلدون إلى التاريخ مما يسوّغ ما أضفناه عليه عالِم اسمه (فِلِنْت) من مدح وثناء إذ يقول: «إن أفلاطون وأرسطو وأوغستين ليسوا نظراء لابن خلدون، وكل من عداهم غير جدير بأن يذكر

إلى جانبه» والذي أريد أن أقول هو أننا إذا وضعنا موضع الاعتبار ما طالعتنا به الثقافة الإسلامية وجدنا أن المسلم وحده هو الذي كان يمكن أن ينظر إلى التاريخ بوصفه حركة جمعية مستمرة بوصفه تطوراً حقيقياً لا محيص عنه.

وناحية الطرافة في النظر إلى التاريخ هي الطريقة التي يدرك بها ابن خلدون حركة التغير فالتاريخ بوصفه حركة مستمرة في الزمان هو حركة مبدعة صحيحة.

أما فضله الأكبر ففي دقة إدراكه لروح الحركة الثقافية التي كان هو من أنضج ثمارها، وفي عرضه لها على شكل مذهب منسّق».

خلاصة نظرية العمران البشري أو الاجتماعي الإنساني[1]:

يرى ابن خلدون في هذه النظرية أن التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وبذلك تكون نظرية العمران الإنساني ذات شقين:

١- شق يتعلق بالتاريخ.

٢- شق آخر يتعلق بالعمران (المجتمع).

وهذا الشق الثاني يعتمد في تأصيل مكوناته التي تشكل العمران على دقة الشق الأول ومصداقيته، لذلك اهتم ابن خلدون بادئ ذي بدء بتنقية التاريخ مما لحق به من شوائب فوضع قواعد لفهمه وأسساً لتميز بين الروايات الصادقة والكاذبة على النحو الذي بيّناه.

ويبدو أنه كان متأثراً بعلماء الحديث وجهودهم في النقد وهذا ما جعل منه صاحب منهج دقيق في التحليل ورؤية صادقة في الاستنتاج، **ونعني بذلك استقراء أحداث التاريخ وتحليلها واستنطاقها وفرز الحقائق والتنبيه إلى الأكاذيب. ثم استثمار العطاء التاريخي في النطاق الاجتماعي** وتوصل من خلالها على تلك النتائج التي صارت فيما بعد منهجاً اختص به وقوانين عزيت إليه.

ولقد لقيت نظرية العمران وغيرها من أفكار ابن خلدون الكثير من العناية من قبل مئات الدارسين خلال القرن ١٩-٢٠م على مستوى العالم المتحضر سواء في القبول أو المعارضة.

---

(١) باختصار من كتاب للدكتور مصطفى الشكعة: الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون.

ولكن الحقيقة التي لا شك فيها أن أحداً قبل المفكر المسلم لم يعرض لدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة تحليلية بمثل طريقته في البحث أو نتائجه...

فقد أخضع دراسة الظواهر الاجتماعية لمنهج علمي مثلى تدرس الظواهر الطبيعية بحثاً عن القوانين الاجتماعية الثابتة التي أودعها الله عز وجل في الظواهر المطردة مؤكداً أنها تسير من خلال قواعد مُحكمة وليست وليدة المصادفات والأهواء.

وبهذا يُرجع طبيعة الاجتماع الإنساني والتطور العمراني إلى قانون إلهي من لدن خالق البشر والكون بيّنه في كتابه العزيز. وكان يردّد في نهاية عرضه للظواهر الاجتماعية التي يعرضها عرضاً تاريخياً علمياً منهجياً إلى أنها ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ (الأحزاب: ٦٢/٣٣).

وإن ابن خلدون من منطلق منهجه هذا قد جعل المجتمع الإنساني كله مادة لدراسته وتأملاته وحقلاً لتجاربه وتحليلاته وتتبع الظواهر التي تحيط بالمجتمع وتؤثر فيه في مختلف أحواله وتتابع أطواره في نشأته الأولى في مرحلة البداوة وفي استقراره في الحضر وفي مرحلة الدولة وتأرجحها بين القوة والضعف، والنهوض والسقوط، والنصر والهزيمة وأحوال المجتمع وعناصر تكوينه وأساليب حياته وأنماط سلوكه وطرائق سعيه وما يفضي إلى نضجه ورفاهيته ويؤذن بفساده وانحلاله كل ذلك مع الاهتمام بنظام الحكم وأسلوبه والحياة الاقتصادية والنشاط الثقافي والتعليمي وتعدد المهن.

وكان يحمل عناصر نظرية ابن خلدون كالتالي:

١- التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني.

٢- الاجتماع الإنساني ضروري للعمران (الإنسان مدني بالطبع).

٣- البدو أصل العمران ثم التحول إلى الحضر.

٤- وجوه المعاش والصنائع من ضروريات العمران.

٥- العلم والتعليم ضروري للعمران.

٦- حسن اختيار مواقع المدن والأمصار ضروري لاستدامة العمران.

٧- الملك المنظم وضرورته للعمران ومنهجه.

ومن أهم نظرياته التي استمدها من ظواهر المجتمع:

١- نظرية أعمال الدول وكيف أنها لا تقوم إلا بالعصبية **﴿لكل أمة أجل﴾**.

٢- الظلم مؤذن بخراب العمران.

٣- المغلوب مولع دائماً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده.

٤- التجارة من السلطان مضرة بالرعاية والدولة.

وهكذا نجد أن نظرية العمران متشعبة النواحي متزاحمة الموضوعات لأن ابن خلدون كالبحر في علمه، عميق الرأي، دقيق الفكر. وإن معظم ما كتبه عن واقعات العمران يعدّ دراسةً في صميم علم الاجتماع الإسلامي.

وقد جاءت نظريته إسلامية الأسس والتكوين.. إسلامية المبتدأ والمنتهى.. حيث أنه اتخذ من مصدري الدين الإسلامي القرآن والسنة منطلقاً هاماً في معالجة أسس علم التاريخ واستفاد من دراسته للتاريخ الإسلامي ومعرفته بأصول علوم الحديث والعلوم الإسلامية ودراسته لتاريخ الشعوب.. مما جعله يصل إلى قانون عام لتطور المجتمع البشري وبذلك سبق (مونتسكيو ودركهايم) في التنبيه إلى أهمية القواعد الاجتماعية أو القوانين الاجتماعية (السنن) فكان بحق رائد علم الاجتماع.

فيما يلي أقوال لابن خلدون في مقدمته الشهيرة:

١- يرى القارئ بصفحات الافتتاحية تعريفاً أخاذاً للتاريخ:

«بأنه في ظاهره لا يزيد عن إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى. وفي باطنه نظرٌ وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلمٌ بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق...».

٢- وقد أوجز في (ص٣٣) أهمية علم العمران ومادة علمه فقال:

«إنها ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال عمران في الملك والكسب والعلوم أو الصنائع بوجوه برهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامة وتدفع بها الأوهام والشكوك».

٣- وقد دعا إلى تكوين علم العمران بتواضع جمّ فقال:

«ونحن أَلْهَمَنا اللهُ إلى ذلك إلهاماً فإن كنت استوفيت مسائله فتوفيقٌ من الله وهداية وإن فاتني شيء في إحصائه واشتبهت بغيره مسائله فللناظر المحقق إصلاحه ولله الفضل لأني نَهّجت له السبيل وأوضحت له الطريق».

٤- ويقول عن طريقته في إنشاء علم العمران (الاجتماع الإنساني):

«واخترعته من بين المناحي مذهباً عجيباً وطريقة مبتدعة وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني والقوانين ما يمتعك بعلل الكوائن وأسبابها ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها».

٥- وكان الغرض من هذا العلم الكشف عما يحكم الظواهر الاجتماعية من قوانين.

وقد وجد أن أهم ميزاتها أنها لا تجمد على حال واحد فكان التطور هو سنة الحياة الاجتماعية وهو يقول في ذلك:

«ومن الغلط الخافي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام وهو داء دوّي شديد الخفاء إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة. ذلك لأن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الأوقات والأقطار والأزمنة والدول سنة الله التي خلت في عباده».

المبحث الثاني
لمحة عن تطور الفكر الأوربي الحديث
وأثر الفلسفة الغربية في المجتمع الإسلامي[1]

لمحة عن تطور الفكر الأوروبي الحديث:

قال محمد إقبال في كتابه تجديد الفكر الديني في الإسلام: «لقد كانت أوروبة بطيئة نوعا ما في إدراك الأصل الإسلامي لمنهجها العلمي، وأخيرا جاء الاعتراف بهذه الحقيقة. وسأقرأ عليكم فقرة أو فقرتين من كتاب "بناء الإنسانية Making of Humanity" الذي ألفه Briffault.

يقول "Briffault": «إن "روجر بيكون" درس اللغة العربية والعلم العربي والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس. وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهم الفضل في ابتكار المنهج التجريبي. فلم يكن روجر بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبة المسيحية، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة. والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي، هي طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوروبية، وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون قد انتشر انتشارا واسعا، وانكب الناس في لهف، على تحصيله في ربوع أوربة».

«لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج. إن العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب في إسبانيا لم تنهض في

---

(١) باختصار عن كتاب فلسفة إقبال للدكتور علي حسون، تجديد الفكر/ إقبال ص١٤٩-١٥٠.

عنفوانها إلا بعض مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام. ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوربة الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوربية» (ص٢٠٢).

«إن هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ماتكون في نشأة تلك الطاقة التي تكون ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة، وفي المصدر القوي بازدهاره» (ص١٩٠).

«إن ما ندعوه العلم فقد ظهر في أوروبة نتيجة لروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة، والملاحظة والمقاييس، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان. وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي» (ص١٩٠).

اعتباراً من القرن الرابع عشر الميلادي (ق١٤م) وبعد الاحتكاك الأوربي الإسلامي في بلاد الأندلس ٧١١-١٤٩٢م/ق٨-ق١٥م.

بدأ الصراع بين الدين والعقل والحس أو الواقع كمصادر للمعرفة اليقينية.

وبدأت تتكون المذاهب الفكرية الفلسفية الحديثة ولكنها اصطدمت منذ بداية عهدها بالدين المسيحي ممثلاً بالبابوية الكاثولوكية. وأثناء الحروب الصليبية من عام ١٠٩٦-١٢٩١م/ق١١-١٣م جرى احتكاك آخر بين المسلمين والأوروبيين.. وكان ظهور (مارتن لوثر) ١٤٠٣-١٥٤٦م/ق١٥-١٦م من أبرز نتائجه.. الذي انبرى لمحاربة التعاليم البابوية والكنسية الكاثولوكية. وقد تصدى لعقائد صكوك الغفران والتثليث.. وجعل السلطة للكتاب المقدس.. وتبعه "كالفن" ولجأ رجال الدين الذين كانوا يتسلمون السلطة على تحطيم أهل العلم والفكر من رجال أوربا فنشأ الانشقاق والعداء بين الأرباب الأرضية التي أخضعت شعوب الغرب لعدة قرون.. كما قاومت معارضيهم من العلماء وأتباع العقل مثل "غاليليو" (الذي قال بدوران الأرض).. وشيئاً فشيئاً اتسعت دائرة الصراع.. وتجاوز الصراع ميدان العلم إلى مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع وتسربة الأفكار الإلحادية وتغلغلت تدريجياً بين صفوف الجماهير وألصقت بالدين كل مظاهر التخلف والجهل، الأمر الذي أدى إلى حدوث تغيرات

كبيرة في أنظمة الفكر **وفي خضم هذا الصراع الخطير تراجعت الكنيسة حتى تم الانتقال إلى عصر سيادة العقل في الفلسفة الأوروبية..**

واعتباراً من النصف الثاني للقرن الثامن عشر /ق١٨م/ بدأ عصر التنوير في أوربا... فكان العقل المصدر الأول في المعرفة متقدماً على الدين.. وبالتالي له الحق بالإشراف على كافة اتجاهات الحياة وما فيها من أنظمة.. **أما الإيمان عندهم:** فهو من الإيمان الفلسفي بإله غير خالق لهذا العالم وليس له وحي.. وبدلاً من وسائل القربى إلى الله التي كانت تسود من قبل.. حلّت (الأخوة الإنسانية) بديلاً عنها.. وعزل الدين في أوربا عن مجالات الحياة والمجتمع والاقتصاد والأخلاق والقانون والعلوم والفنون، وفصلت السياسة والدولة ككل عن الدين المسيحي.

وبنهاية القرن الثامن عشر انتهى عصر التنوير.. ودخل عنصر جديد في الصراع هو الطبيعة مال هذا الاتجاه الحسي إلى جعل سيادة الطبيعة على الدين والعقل..

وأبعدت هذه الفلسفة المادية البحتة جانب الوحي والإلهام، وتبنّت طرق العلم والبحث في معزل عن الدين الذي يتعارض مع العلم.. لذلك كان رجال الدين في أوربا يحاربون العلم والعلماء إذا قدموا معلومات تعاكس ما في كتبهم المقدسة.

ونشأت النظريات الفلسفية المختلفة التي أثّرت في حياة البشرية.. وفي هذا العصر **ظهرت الفلسفة الوضعية التي رغبت في معارضة الكنيسة باسم العلم.** واستبدال دينها بدين آخر هو **الإنسانية الكبرى.. فالطبيعة** في نظرهم تقرر الحقيقة وتنقشها في العقل وتوحي بها.. بل هي تكوّن العقل وتملي عليه.. أما ما يأتي من ورائها من وحي فهو خداع وبذلك فإن الدين الذي عرفوه كان خداعاً.. وعقل الإنسان عند هؤلاء (الحسين) هو من صنع الطبيعة. تؤثر فيه الوراثة والبيئة والاقتصاد والاجتماع.. والإنسان مقيد بحياته المادية وفكره من تفاعل هذا الوجود حوله. وإذا ما أراد الإنسان العيش في هذه الطبيعة فعليه أن يتبنى منطقها.. وطريق الإنسان يبدأ من الفرد وينتهي في الجماعة.. فالهدف من سعيه والغاية الأخيرة له هي الجماعة.. فهي الإله.. وحياته تفنى لتبقى الجماعة.

ثم ظهرت فلسفة "هيجل" للتاريخ.. ونظرية "داروين" للتطور الإنساني..

وكانت المرحلة الثالثة من مراحل تطور الفكر الغربي بظهور المادية الجدلية والتفسير المادي للتاريخ التي جاء بها "كارل ماركس".. والتي كان من نتائجها انتشار الشيوعية..

أثر الفلسفة الغربية في المجتمع الإسلامي:

حين زار "محمد إقبال" -الفيلسوف والشاعر الإسلامي- أوربا واطلع على أفكارهم وفلسفتها تعرّف على ذلك التيه والركام من التخبط والاضطراب الفكري والبعد النكد عن الله الذي لفّ أوربا تحت اسم مذاهب فكرية متصارعة. وقد تلازمت هذه الفلسفات - التي رافقت تطور الحضارة الغربية - مع نظريات في الأخلاق ترعرعت في جور من التحلل الديني.. وراجت فلسفة المنفعة (الذرائعية) واللذة واختلت موازين الخير والشر.. ومعايير الحق والباطل والحلال والحرام.

وبسرعة هائلة وَلجت سموم أوربة أرض المسلمين من أوسع الأبواب تحت وطأ الاستعمار الأوروبي الحديث الذي اقتسم إرث الدولة العثمانية التي أعلن إلغاؤها بعد عام ١٩٢٣م .. (بعد الحرب العالمية الأولى).. محققاً شعار **التحول من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري** الذي اعتمده الصليبيون بعدما فشلوا في الحروب الصليبية وعادوا إلى أوروبا بعد ٢٠٠ عام من استعمار الشرق.

على الرغم من أن الدين الإسلامي يختلف تماماً عن الكنيسة في موقفه من العلم والعلماء فقد بدأت فكرة عزل الدين عن الدولة في البلاد الإسلامية في نظر أولئك الذين تأثروا بالمبادئ الغربية تقليداً للأمة الغالبة.. وطالبوا باقتصار الدين وتعاليمه على المناسبات والاحتفالات.. وأصبح الشعب مصدر السلطات.. ودخل الصراع اللاديني في أرجاء العالم الإسلامي بين الترك والعرب والهنود والأفغان على حساب الرسالة السماوية السمحة اقتداءً بأوروبا.

وجرى العمل لتحكيم الأغلبية سواء أكانت على حق أم باطل.. سواء أكانت تلك الغالبية من الرعاع الجاهلة أو سواهم وبدأ ينحسر مفهوم الإسلام كنظام اجتماعي أو تنحسر بعض مظاهره حسب التأثر بالأساتذة المستعمرين أو

المستشرقين.. وازدياد التسابق في الإنتاج والاستهلاك.. وعشعشت سبيات وروب من نفعية ولذة وكذب ومكر وخداع وأطماع.. فازداد معها الدهاء وضعف الوفاء.. لأن الغاية تبرر الواسطة عند "ميكيافيلي".. وفي نفس الوقت سحرتهم صناعتها وتقدمها العلمي والتقني.. فاندفعوا في تقليد المظهر دون الجوهر، والقشور دون اللباب.. واحتدم الصراع الفكري..

كما أثرت الحضارة الغربية على بلاد الهند.. وكل بلاد المسلمين.. وتأثر النظام التعليمي والاقتصادي والسياسي **تحت وطأة الاستعمار..** وابتليت بلاد الهند بأضرار كان من أبرزها:

١- وراثة عصور الانحطاط والاستكانة دون ارتقاء.. أمام مدّ الحضارة الأوروبية الصاعدة.

٢- نفور الكثير من أبناء المسلمين من المزج غير المتجانس بين الإسلام والتقاليد البالية.

واتجهت عقولهم نحو أوروبة وانبهرت عيونهم ببريقها وسحرها فكانت هزيمة روحية فكرية ترافقت في الوقت ذاته مع هزيمة سياسية مريرة.. التي ابتدأت بتأسيس شركة الهند الشرقية في لندن بقصد نهب أموال هند، وحين ازدادت جرائمها تصدى لها المسلمون فلجأ الإنكليز إلى إقصاء المسلمين عن الوظائف الإدارية والمناصب الكبرى وصدّوا عنهم أبواب العيش الشريف وطاردوا المجاهدين بالسجن والنفي ومصادر الأملاك.. وكانت حصيلة هذه المعاملة القاسية تخلّف المسلمين في مضمار الثقافة والعلم، ومنعَهم دفاعهم عن أنفسهم وشرفهم ودينهم من مجاراة الشعوب التي كانت تتقدم بخطى وئيدة سريعة..

وهذا يذكرنا بما فعله الاستعمار في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ومصر وشمال أفريقيا الذي ترك إسرائيل في قدس الأمة العربية الإسلامية بعد أن مزق وحدتها.

وحين رأى محمد إقبال -شاعر الهند والباكستان- الأمة العربية الإسلامية تئن وتتوجع مع أنها الأمة الجديرة بأن تقود العالم إلى السلام والوحدة أنشد متألماً:

وي، كأن لم تشرقوا في الكائنات بهدى الإيمان والنهج الرشيد
ونسيتم في ظلام الحادثات قيمة الصحراء في العيش الرغيد
كل شعب قام يبني نهضةً وأرى بنيانكم منقسماً
في قديم الدهر كنتم أمةً لهف نفسي كيف صرتم أمماً؟
ألم يبعث لأمتكم نبي؟ يوحدكم على نهج الوئام
ومصحفكم وقبلتكم جميعاً منارٌ للأخوة والسلام
وفوق الكل رحمن رحيم إله واحد رب الأنام
فما لِنهار ألفتكم تولّى؟ وأمسيتم حيارى في الظلام؟
وكيف تغيرت بكم الليالي؟ وكيف تفرقت بكم الأماني؟
تركتم دين أحمد ثم عدتم ضحايا للهوى أو للهوان

❁❁❁❁

مرحلة أوغست كونت في منتصف القرن (١٨) (١٧٩٨-١٨٥٧م):

بنهاية القرن الثامن عشر انتهى عصر التنوير ومال اتجاه العلماء في أوروبا إلى سيادة الطبيعة على الدين والعقل. ودراسة الواقع الطبيعي، واكتشاف قوانينه..

وفي منتصف القرن الثامن عشر قام العالم الفرنسي (أوغست كونت) وبحث في علم الطبيعة الاجتماعية وسماه علم الاجتماع في كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية".

سبب إنشاء هذا العلم عند "أوغست كونت":

لإصلاح المجتمع وتخليصه من عوامل الفساد في الأخلاق التي ترجع برأيه إلى فساد التفكير واضطراب الفهم الناشئ من التردد بين الطريقة الوضعية في فهم الأشياء والطريقة الدينية.

وافترض لذلك ما يلي حتى لا يحدث الاضطراب في التفكير..

١- إما التوفيق بين الطريقتين وهذا غير ممكن عملياً برأيه.

٢- وإما القضاء على الطريقة الوضعية وفهم جميع الظاهرات بالطريقة الدينية وهذا غير ممكن برأيه.

٣- أو القضاء على الطريقة الدينية في التفكير وفهم الظاهرات بالطريقة الوضعية، ليتحقق الانسجام في التفكير. وهكذا صارت تُدرس الظاهرات دراسة وضعية ترمي إلى بيان طبيعتها والعلاقات التي تربطها وما ينجم عن هذه العلاقات وتطورها واختلافها باختلاف المجتمعات بعيداً عن الفكر الديني.

ويلاحظ أن **الأسباب الداعية لهذه الدراسات عند أوغست كونت هي أسباب خيالية** استمدّها من فلسفته ومنهجه الخاص لتطور التفكير الإنساني ومن مبادئه المبيّتة من قبل و لم يستمدها من الملاحظة الوضعية لحقائق الأمور.

أما منهج الدراسة: فيعتمد أوغست كونت على ثلاث خطوات:

١- الملاحظة: وهي صعبة في دراسة الظواهر الاجتماعية.

٢- التجربة غير المباشرة: أي المقارنة بين الحالات الطبيعية والأزمات.

٣- المنهج المقارن أو الموازنة: لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف بين المجتمع. والمهم اختيار المنهج المناسب للظاهرة المدروسة والمنهج التاريخي أو التجريبي أو الإحصائي.

نتائج دراسة "أوغست كونت":

آ - انتهى من دراسته للديناميك الاجتماعي أي ما يتعلق (بالتطور) إلى الكشف عن قانون عام سماه (قانون الحالات الثلاث) فهو يرى أن التفكير الإنساني ينتقل في إدراكه وفهمه للأشياء من:

١- من أسلوب الفهم الديني (كأنْ تفهم ظاهرة النمو في النبات بنسبتها إلى الله تعالى خالقها لأنه مسبب الأسباب).

٢- إلى أسلوب الفهم الميتافيزيقي (كأن تفهم ظاهرة النمو في النبات بنسبتها إلى قوة الإنبات المستكنة في النبات نفسه أي إلى السبب الأول).

٣- إلى أسلوب الفهم بالطريقة الوضعية (كأنْ تفهم ظاهرة النمو في النبات ببيان الأسباب الكيماوية الحيوية المباشرة).

وملخص هذا القانون أنه يبين تطور التفكير في فهم الأشياء. ولكن أوغست كونت جعله (القانون العام للتطور الاجتماعي) في جملته بسبب أنه يرى أن الفكر هو الدعامة لكل نواحي الحياة الاجتماعية وكل تغير فيها إنما يكون نتيجة لتطور التفكير. ويرى (د. علي عبد الواحد وافي) أن هذا القانون ظاهر البطلان.

ب- وانتهى أيضاً من دراسته للستاتيك الاجتماعي أي ما يتعلق (بالاستقرار) إلى قانون عام سماه (قانون التضامن) وملخصه أن مظاهر الحياة الاجتماعية يتضامن بعضها مع بعض كما في أجهزة الجسم الحي. ولهذا الأمر بطلانه في الحياة الواقعية.

مقارنة تبين سبب إخفاق أوغست كونت (القرن ١٩م) ونجاح ابن خلدون (القرن ١٤ م):

نتيجة المقارنة بين الأسباب الداعية للدراسات الاجتماعية عند أوغست كونت وابن خلدون نجد:

أن "أوغست كونت" **أسبابه خيالية:** مما أدى إلى إخفاقه. فهو لم يلاحظ الواقع والتاريخ ملاحظة أمينة وإنما استوحى قوانينه تلك من مبادئه وفلسفته وآرائه في الكون وفهمه الخاص لتطور التفكير الإنساني وتصيّد لهذه الآراء ما يؤيدها من الحوادث، وحال هواه بينه وبين النظر إلى مئات الشواهد الواقعية التي تدل على بطلانها.

أما "ابن خلدون": فقد كانت له **أسباب واقعية:** لأن التاريخ كان عهده مملوءً بالأخطاء نتيجة الجهل بالقوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع. وهو لم يحاول أن يستخلص قانوناً عاماً وإنما درس كل طائفة من الظواهر على حدة واستخلص من دراسته ماهدته إليه ملاحظاته من أفكار وقوانين. وكان منهجه أقرب إلى المنهج العلمي.

وإذا كان ابن خلدون لم يوفق كل التوفيق في بعض النظريات والقوانين التي انتهت إليها دراسته فإنه لاينتظر من منشىء العلم أن يُنشأه كاملاً مبرأً من كل عيب. ولكن حسبه شهادة العلامة (سميث) ١٩٣٠م إذ يقول: «إن ابن خلدون قد تقدّم في علم الاجتماع إلى حدود لم يصل إليها "كونت" نفسه في النصف الأول من القرن التاسع عشر».

المبحث الثالث

علم الاجتماع الإسلامي

المطلب الأول: نشأة علم الاجتماع الديني:

علم الاجتماع الديني: هو علم وصفي تقريري يرمي إلى دراسة المجتمعات الدينية من نظم وظواهر وعبادات وطقوس دينية.

وهذا العلم غربي النشأة يقوم على دراسة تحليلية لواقع الدين في المجتمع ويبين ما هو كائن وليس ما ينبغي أن يكون ويدرس أثر الدين في أفراد المجتمع، ويهتم هذا العلم بوصف أفراد المجتمع وهم يمارسون الطقوس الدينية. مُستخدماً أسلوب النقد لهذه الممارسات والطقوس معتبراً إياها ضرباً من الجهل وذلك دون استثناء أو تخصيص لأي دين فمعظم علماء الاجتماع الغربيين يتحدثون عن التدين في المجتمع واصفين إياه بأنه حالة بدائية صنعها الإنسان البدائي لجهله بما يحيط به ولعدم استخدام ملكاته العقلية.

لذلك برزت عند هؤلاء مفاهيم خاصة عن الدين والتدين:

١- اعتبروا الدين والتدين ظاهرة اجتماعية من صنع المجتمع وبذلك هدموا حقيقة الأديان السماوية من أنها من عند الله عز وجل.

٢- نظروا إلى الدين ورجال الدين نظرة سلبية باعتبارهما يستغلان البُسطاء والسذج من الناس من خلال تقديم مفاهيم مغلوطة حول حقائق علمية يُسلم بها العقل.

ولقد أفرد "أوجست كونت" تقسيماً لمراحل مرَّ بها الدين منذ نشأة الإنسان الأول وحتى عصر الصناعة وفق تنبؤات توصل إليها بناءً على ما تشربه ذهنه من نظرة سلبية حول الدين ولا سيما في أوربا.

فقال إن الدين مرَّ بمراحل ثلاث:

أولاً- الحالة الدينية: يعتقد الإنسان البدائي بوجود قوى خارقة وخارجة عن السيطرة، متحكمة بمصيره فيتخذ منها آلهة وإله.

ثانياً- الحالة العقلية "الميتافيزيقية" يبدأ الإنسان في مرحلة متقدمة باستخدام عقله ويبدأ بتفسير ما حوله تفسيراً عقلياً بعيداً عن الوهم وخداع الحواس.

ثالثاً- الحالة الوضعية: يتعرف الإنسان على حقيقة الدين من أنه لا يتسم بالقدسية فمصدره عقل الإنسان البدائي وعلى الإنسان المتحضر ألا يُسلم بما يعرضه عليه الدين بل يجب أن يتخذ من التجربة والبرهان مساراً يهتدي به إلى الصواب.

ولقد اعتبر "كونت" أن الدين من الأخطاء العقلية ويجب التخلص من هذا الخطأ بالاستناد لحكم العقل والابتعاد عن الدين، ولعل هذه النظرة السلبية حول الدين والتدين عند "كونت" وأمثاله ترجع إلى:

١- ما مرَّت به أوربا ولا سيما في العصور الوسطى من تصادم فكري وعقلي واجتماعي بين رجال الدين وعامة الناس فمعظم ما عُرض على الناس من قيم وتعالي صاغها رجال الدين "كصكوك الغفران، طاعة النبلاء، دفع الأتاوات، بيع قطع من الجنة، التسليم بالتقسيم الطبقي للمجتمع..." جعل حاجزاً بين الناس والدين فبدأ يتكون عند الناس مفهوم سلبي حول الدين ورجال الدين وهذا الوضع تأزم مع مرور الزمن وأثمر في مطلع القرن الثامن عشر بثورات قادت هذه المجتمعات الأوربية إلى التحرر من هيمنة تسلط النبلاء ورجال الدين وكان من آثار هذه الثورات رفض الدين في المجتمع والدعوة إلى تحجيمه داخل دور العبادة وذلك بطرح شعار "الدين للكنيسة" واستبدلت الأحكام الدينية بقوانين وقيم مدنية ارتآها بعض الإصلاحيين الغربيين.

من يتتبع رأي بعض علماء الاجتماع الغربيين حول الدين والتدين في المجتمع يُلاحظ عدم الموضوعية في الحكم على الأديان السماوية.

١- فلقد اتضح إنكار هؤلاء للأديان السماوية وذلك باعتبار أن الأديان من صنع الإنسان البدائي وهذا الادعاء يُكذبه حقيقة الأديان السماوية التي أنزلها الله عز

وجل لعباده بما يحقق استخلافهم في هذه الأرض.

والأديان السماوية بما تحويه من أدلة نقلية وعقلية تدل على أن مصدرها سماوي من عند الله عز وجل.

٢- ما مرَّت به أوربا منذ العصور الوسطى وحتى عصر ثورات التحرر في أوربا جعل مفهوم الدين ورجال الدين يأخذ توجهاً سلبياً مما جعل بعض علماء الاجتماع يؤرخون لنشأة الدين بناء على تصورات سلبية ثم تنبؤا بأن الدين سيتلاشى في عصر تسود فيه المعرفة والعلم.

ولا يُعذر هؤلاء بهذا الخطأ لأن التشوه الذي أصاب مفهوم الدين عندهم كان مقتصراً على الديانة السائدة عندهم وهي المسيحية، وعلمهم ببعض التحريفات لا يبرر لهم رفض الدين بل كان عليهم أن يبحثوا عن المسار الصحيح الذي يعيد لهذه الديانة قدسيتها.

وكما لا يجوز تعميم النتائج التي توصلوا إليها على باقي الأديان فمن المعلوم أن الدين الإسلامي كان وما زال شعلة مضيئة تنير دروب السعادة لكل البشرية ولم يدخله أي تحريف أو أي تشويه وذلك فضلاً من الله ومِنَّـة فالقرآن الكريم باقٍ ومحفوظ بحفظ الله عز وجل له وكذلك السنة النبوية.

وعندما يدرس أي إنسان تعاليم الدين الإسلامي بموضوعية يتوصل إلى قدسية هذا الدين وعظمته ويرى الكمال في جميع أحكامه ومناسبتها لكل مجتمع وفي أي عصر كان.

وأما بالنسبة لتقسيم "كونت" لمراحل الدين فيتضح للقارئ خطأ هذا التقسيم.

فمن أخبره أن الإنسان الأول هو الذي صنع الدين؟ وأين الدليل على ما ساقه من تقسيم؟

والإجابة مجرد تخمينات أرضت غروره وملأت حيز الفراغ الذي حار في ملئه.

أما في الإسلام فالدليل واضح على أن الدين من عند الله عز وجل قد رضيه لأول البشر آدم عليه السلام ولكل ذريته.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

فالآية الكريمة من سورة البقرة تبين أن الإنسان الأول خلقه الله عز وجل وأعده للحياة على هذه الأرض وأمده بتعاليم توصله للسعادة في الدنيا والآخرة وهذه التعاليم بما فيها من أوامر ونواهي وأحكام واجبة الالتزام عند كل إنسان لأن فيها صلاح الإنسان وسعادته.

ومع امتداد الزمان وتكاثر البشر تكفل الله عز وجل أن يبقي في هذه الأرض من يبلغ رسالات الله إلى البشر فاصطفى الله عز وجل الرسل وزودهم برسالات سماوية فيها دستور الحياة وفيها مكمن السعادة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ .

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾.

وختم هذه الرسالات برسالة الإسلام وحمّل هذه الرسالة خاتم النبيين وخير المرسلين سيدنا محمد ﷺ.

فما يذكره الغربيون عن أصل التدين والدين فهو غير صحيح إضافة إلى أن توقعهم لزوال الدين في عصر المعلومات والصناعة فالواقع يكذب ذلك بل الدين لا يزال في أوجه ويشكل عند معظم الناس منهجهاً مقدساً واجب الاتباع.

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

وذكر أبو العالية تفسير قوله تعالى: (مني هدى) بأن الهدى هو الأنبياء والرسل والبينات والبيان، وقوله تعالى (فمن تبع هداي) أي أقبل على ما أنزلت به الكتب

وأرسلت به الرسل فسوف ينال السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة ومن أنكر ذلك وكفر بالله وبما أنزل فسيلقون جزاءً شديداً هو الخلود في نار جهنم والخطاب في هذه الآية عمَّ جميع بني آدم مما يبين أن الدين من عند الله عز وجل وليس من صنع الإنسان.

ولقد عرض بعض علماء الاجتماع الغربيين آراءً حول تغير الدين وفقاً لتطور وتغير المجتمع ويبرز ذلك من خلال أن كل مجتمع برزت في ساحته مفاهيم خاصة عن الدين وهذا عرض موجز لتصورهم:

١- المجتمعات البدائية: ساد في هذه المجتمعات تأليه كل خارق وكل ما يتفلت من سيطرة الإنسان، فالبعض يقدس الريح ويعبدها والآخر الجبال والشمس ... وهكذا.ثم أتت في هذه المجتمعات مرحلة الخلط بين عدة معتقدات مبتدعة وأُضيف إليها أساطير وخرافات أخذت شكلاً من الاعتقاد يدين به كل جماعة تشترك في هذه المعتقدات. وفي هذه المرحلة لم تنشأ الأنظمة الدينية بعد ثم ما لبثت أن تحولت هذه المعتقدات إلى تعاليم دينية منتظمة تحت ما يُسمى بشعائر دينية.

«وهذا الكلام مردود لأنه سبق وبُين أن أصل الدين سماوي من عند الله عز وجل، وأن الإنسان الأول آدم عليه السلام لم يكن مشرعاً من نفسه بل كرمه الله عز وجل وذريته بتشريع سماوي».

٢- المجتمعات الحديثة "ما قبل الثورة الصناعية": أخذ التدين في هذه المجتمعات شكلاً متطوراً عن المجتمعات البدائية حيث بدأت تظهر الديانات المتعددة وفق أنظمة دينية محددة تستقل كل ديانة بأفكار وتعاليم وطقوس خاصة بها وكما تشترك بعض الديانات ببعض المعتقدات كالاتفاق على وجود حياة بعد الموت وأن مصير الإنسان إما الجنة وإما النار.

«يتبين من هذا السرد أن علماء الاجتماع الغربيين يطالون في نقدهم الديانات السماوية ويدَّعون أنها من صنع البشر وهذا الكلام ضرب من التخبط في الأوهام والخيالات التي زينوها لأنفسهم محاولين إقناع من حولهم بأن الأديان السماوية وما

تحمه من أنظمة دينية وتعاليم ماهي إلا من صنع البشر. وهذه النتيجة التي توصلوا إليها تخرجهم من الموضوعية في الحكم على الأديان السماوية.

والسبب في ذلك أن بناء الحكم كان يستند إلى دراسة الديانة المسيحية في أوربا وبسبب ما اعترى هذه الديانة من سلبيات في العصور الوسطى كون موفقا سلبيا من قبل العامة والمثقفين فضربوا صفحا على جميع الأديان السماوية وسموها بأنها مجرد معتقدات صاغها الإنسان الأول وتطورت مع تطور المجتمع. وأما بالنسبة لقولهم بأن الديانات تختلف في بعض التعاليم وتتفق في بعضها الآخر فأما الاتفاق فهو دليل على أن مصدرها إلهي، وأما الاختلاف فهو دليل على تعدد الشرائع».

٣- المجتمعات الحديثة "إبان الثورة الصناعية": بدأ الإنسان يعرض الدين على العقل وبدا له التناقض واضحا بين ما يعرضه الدين من تعاليم وما يسلم به العقل، كرفض العقل لوجود صفوة من رجال الدين أو مصير التكفير والغفران بأيدي بعض رجال الدين...».

ثم تأتي مرحلة خاتمة يتوصل فيها الإنسان لمعرفة حقيقة الدين؛ وهي أن الدين مجرد أوهام وخيالات صاغها الإنسان البدائي وتطورت هذه التعاليم حتى أخذت شكلا منظما ظن معها الإنسان أن أصلها مستمد من الخالق ثم ما لبث أن كشف هذا التوهم والخطأ وعلم أن الدين خطأ يجب التخلص منه.

وهذا الكلام مردود كما سبق. لأن هذا التنبؤ والتصور للدين بعيد كل البعد عن الحقيقة.

وما توصل إليه علماء الاجتماع الدين من خلال القول بأن الدين من صنع الإنسان ما هو إلا مجرد ابتعاد عن الموضوعية في الدراسة فلم يستند هؤلاء إلى دراسة استقرائية وتاريخية تبرز لهم حقيقة الدين ولو أرادوا البحث الحقيقي في حقيقة التدين لأمكنهم ذلك من خلال مراجعة ما أكده الدين الإسلام خاتم الديانات من خلال ما أورده من أدلة نقلية وعقلية يذخر بها القرآن الكريم والسنة النبوية من أن الأديان السماوية من عند الله عز وجل.

المطلب الثاني: مقارنة علم الاجتماع الديني مع علم الاجتماع الإسلامي:

علم الاجتماع الديني درس المجتمعات وأثر الدين فيها من خلال ماسبق طرحه على حسب كل مرحلة من مراحل تطور المجتمع وهي دراسة خاصة لا يصح تعميمها على المجتمعات الإسلامية وذلك بسبب اختلاف الإسلام عن غيره من الأديان والمنهج المتبع في دراسة المجتمعات الإسلامية يختلف عن غيره من حيث الهدف والغاية وهو لا يقتصر على الدراسة النظرية والتحليلية بل يحدد الوجوه الصحيحة الموافقة للدين ويضع الحلول للوجوه الاجتماعية المخالفة لتعاليم الإسلام إضافة إلى أن علم الاجتماع الإسلامي له منهجٌ خاصٌ ومصادرُ خاصة به لذلك لايمكن أن يدرس المجتمع الإسلامي بناءً على دراسات علم الاجتماع الديني. إنما عن طريق علم الاجتماع الإسلامي فقط.

إن علم الاجتماع الديني له نظرة خاصة لا تقيم وزناً للدين وإنما كان الاهتمام بالدين كظاهرة اجتماعية. بينما علم الاجتماع الإسلامي مستمد من الإسلام الدين العظيم وهو دستور دائم يستمد المسلم منه الأسلوب الأمثل في حياته.

إن كان علم الاجتماع الإسلامي يشابه علم الاجتماع الديني من حيث تحليل المجتمع وسلوكه الديني كما يظهر في أفراد المجتمع، ولكن لعلم الاجتماع الإسلامي جانب آخر ومهم يتميز به من حيث دراسة المجتمع ومدى تمثله لدين الإسلام وتعاليمه لذلك له جانب تطبيقي وليس مجرد دراسة نظرية لأثر الدين في المجتمع.

إن الباحث الاجتماعي الإسلامي يبحث في ضوء القرآن والسنة ويستنبط منهما المسار الحقيقي للمجتمع المسلم ويدرس ظواهر المجتمع المسلم ويحللها ويعرضها على ميزان الشرع.

وعلم الاجتماع الإسلامي له ميادين كثيرة فلا يمكن اعتباره فقط فرعاً من فروع علم الاجتماع العام بل هو علم خاص ومستقل يدرس جميع النواحي في المجتمع ونعد من بعض فروعه[1]:

---

(١) نحو علم اجتماع إسلامي، زكي: ١٠٨.

علم الاجتماع العائلي الإسلامي: ويتحدث حول البناء الأسري، والزواج وتنظيمه والتنظيم العائلي وعلاقة أفراد الأسرة...

علم الاجتماع الحربي الإسلامي: يتحدث عن المغازي وغزوات رسول الله ﷺ والفتوحات الإسلامية ويذكر أداب الجهاد وأنواعه...

علم اجتماع المسجد: يتحدث عن دور المسجد في المجتمع الإسلامي من حيث كونه داراً للعبادة والتعليم ونشر التعاليم الإسلامية ومجمع للمسلمين و...

ملاحظة: لا يمكن دراسة المجتمعات الإسلامية ضمن إطار علم الاجتماع الديني لأن المجتمعات الإسلامية لها خواص تتميز بها عن غيرها لذلك تدرس ضمن علم الاجتماع الإسلامي.

المطلب الثالث: هل التدين يعتبر ظاهرة اجتماعية؟

هناك من أخذ برأي "دوركهايم" وقال إن التدين هو ظاهرة اجتماعية وتتوفر فيها خصائص الظاهرة الاجتماعية لأن الظواهر تطفو على السطح بصورة تلقائية تنشأ من العقل الجمعي وبذلك تستوي الظواهر الدينية والأخلاقية والسياسية و...الخ[1].

واعتبروا أن كل الأديان تنبع من محيط التاريخ تبدأ بالطوطمية[2] حيث يقدس كل جماعة شيء خاص بهم أو من حيث ما يعتقدون.

ويظهر الدين في المجتمعات بصورة تلقائية وهو ذو خاصية موضوعية وله جاذبية خاصة لأفراده المعتنقين له وله قوة قاهرة وملزمة.

هذا رأي علماء الاجتماع الغربيين وتجسد ذلك الرأي من خلال دراستهم للدين في مجتمعاتهم باعتباره ظاهرة اجتماعية.

ولا يمكن اعتبار الدين ظاهرة اجتماعية لأن في ذلك هدماً للديانات السماوية وتنكراً لها وهذا وهم فارغ لا أساس له، ويناقض الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

---

(١) نحو علم اجتماع إسلامي، زكي: ٢٩١-٢٩٢، علم الاجتماع الديني، الباقي: ٣٥-٣٦.

(٢) **الطوطمية**: وهي أقدم الديانات التي كانت تؤله الجد الأسطوري وتتخذه إلهاً وشعاراً، وتأليه بعض الحجارة والأصنام.

وليس قول "دوركهايم" أن كل ما هو ديني هو اجتماعي، بل الصحيح أن كل ما هو ديني هو فطري «لأن الإنسان بفطرته يميل للتدين».

ولا عبرة لتصوره أن الدين كظاهرة اجتماعية يمتزج بغيره من الظواهر الاجتماعية كالظواهر العائلية والاقتصادية والسياسية.

كما لا يمكن استخلاص الدين كظاهرة من خلال دراسة أفراد المجتمع وهم يمارسون طقوساً وشعائر، أو من خلال معرفة التزامهم بتعاليم الدين المعتنقين له.

ولا تنطبق سمات الظاهرة الاجتماعية على التدين ولا سيما الدين الإسلامي.

١- الموضوعية: تعتبر الموضوعية خاصية من خواص الظاهرة الاجتماعية ولا يمكن اعتبار الدين ذو خاصية موضوعية لأن الدين الإسلامي يقتضي الإيمان بالله عز وجل وهو إيمان فطري غُرس في نفس الإنسان منذ أن ولد فهو نزّاع دائماً إلى التدين.

وليس الدين نابعاً من مجرد أفكار أو اعتقادات فردية ناشئة عن فكر جمعي. يقول "دوركهايم": «إن الموضوعية للظواهر الدينية كونها مسطورة وبعضها محفوظ ولها موجات فعلية حيث تبلغ ظاهرة التدين مداها في بعض الشهور كالأعياد والمناسبات..»[١].

إن قول "دوركهايم" بأن الموضوعية في التدين كونها مكتوبة في كتب دينية وحفظ البعض لها، ولها طقوس كالصوم والصلاة والأعياد، هذا لايعني الموضوعية من حيث الإيمان، لأن الإيمان فطري مغروس في النفوس، والالتزام بالدين ناشئ عنه.

٢- التلقائية: قالوا إن التدين تلقائي ويطفو على سطح المجتمع حيث لا يحتاج الأفراد إلى تكلف في إظهاره شعورهم الديني.

إن التلقائية تظهر عند الأفراد في معرفة الخالق والتزام أوامره بالقناعة والإيمان، فلا يمكن أن نجد أي طقوس يبتكرها أفراد ثم تصبح تلقائية يتوارثها المجتمع، ثم نقول أن هذا الالتزام الديني تلقائي، لأن التلقائية نابعة من الفطرة، قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»[٢].

---

(١) علم الاجتماع الديني، الباقي: ٣٥-٤٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟، رقم ١٣٩٢.
صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل مولود...، رقم ٢٦٥٨.

٣- خاصية القهر والإلزام: قد يلتزم الأفراد بدين ما ويفرض عليهم هذا الالتزام القيام بجميع الطقوس والخضوع لهذه التعاليم، ولكن بالنسبة لدين الإسلام فالمسلم عند اعتناقه للإسلام يشعر بعظمة خالقه وحاجته إليه وإلى رضاه ورحمته، فيلتزم بأداء الأوامر واجتناب النواهي، وهذا يولد عنده الالتزام. فهذا الالتزام والقهر ناتج عن الخضوع لله عز وجل وليس عن مجلس ديني أو غيره.

٤- العمومية: هي تعميم الدين على سائر المجتمع وعلى جميع أفراده، فهو بالنسبة لدين الإسلام يعم جميع الناس الذين يعتنقون هذا الدين ولا يقتصر على جماعة أو مجتمع بل يعم جميع المسلمين في أنحاء العالم وهذا ما يؤكد عالمية الإسلام ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المؤمنون: ٢٣/٥٢].

٥- الجاذبية: القول بأن الظاهرة الاجتماعية لها خاصية الجاذبية لأفرادها بالمجتمع والدين كذلك، هذا إن صدق على بعض المجتمعات والديانات فهو يبعد عن الفهم الأعم للجاذبية الدينية بالنسبة للإسلام، لأن خاصية الجذب حاصلة من قناعة المسلم وإيمانه بالله عز وجل ومعرفته بعظمة هذا الدين الذي رضيه الله لعباده.

إن القول بأن الدين ظاهرة اجتماعية لتحقق السمات المختصة بالظاهرة الاجتماعية لا يصح، لأن الدين شيء فطري وخواصه مطلقة وعامة تصدق على أي فرد في أي مجتمع، وليس سمة مجتمع خاص له ظواهر أخلاقية ودينية خاصة وغير ذلك من الظواهر، لأن الدين ليس من صنع المجتمع أو فرد من المجتمع بل شيء خارج عن قدرات الأفراد والمجتمع لأنه من الله عز وجل فهو إلهي سماوي والقصد بالدين هنا الإسلام.

أما كون المجتمع متديناً أو غير متدين أو متفاوت الالتزام فهذه سمات تظهر على المجتمع وعلاقاته، وذلك يكون معلوماً حسب إدراك الفرد لها وليس من حيث الدين نفسه، فالدين موجود ولكن التزام الفرد والمجتمعات متفاوت فبذلك يتبين أن الدين ليس ظاهرة اجتماعية، ولكن مدى التزام الفرد أو عدمه أو تفاوته هو الذي يظهر بشكل ظواهر تطفو على سطح المجتمع عن طريق علاقة الأفراد وممارستهم لنشاطاتهم الدينية.

المطلب الرابع: مصادر علم الاجتماع الإسلامي:

تتنوع مصادر علم الاجتماع الإسلامي وأهم هذه المصادر:

١- القرآن الكريم: فالقرآن الكريم هو دستور البشر في الحياة، وهو طريق السعادة في الدنيا والآخرة ولقد ساق القرآن الكريم كثيراً من المواقف والأحوال الاجتماعية، فبين أحوال الأنبياء مع أقوامهم وبين أن التنشئة الفاسدة مآلها الخراب قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١٢/١١١].

وذكر أن طريق النجاة والنجاح هو اتباع أوامر الله عز وجل ورسوله. وفي القرآن الكريم تعاليم كاملة تتحدث عن المجتمع وعلاقاته من حيث تنظيمها وتهذيبها، وبين القرآن الحدود من أجل صيانة المجتمع وبين المعاملات الجائزة فقد أحل البيع وحرم الربا، وبين أضرار الخمر وحرمته وحرم قتل النفس ودعا لتكاتف المجتمع ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٠] وحض على الإيثار ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٥٩/٩] ومن حيث الأخلاق حض على الصدق والإخلاص وصلة الرحم والصدقة و.... وحرم الغيبة والنميمية والاستهزاء و... الخ.

٢- السنة النبوية: وهي كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، في مقتضى التشريع. قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤] لذلك كل ما صدر عن النبي ﷺ إنما هو تبليغ لأوامر الله وبين النبي ﷺ الإسلام العملي الحقيقي وبين كيفية العبادة الحقيقة. قال ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» وقال أيضاً معلماً للناس مناسك الحج «**خذوا عني مناسككم**»[1] فبين النبي ﷺ كيفية العبادة وكذلك المعاملات والتعامل في المجتمع سواء في بيعهم وشرائهم وبيّن لهم أوامر الله عز وجل وكيفية فهم كتاب الله عز وجل وتطبيقه في حياتهم العملية.

ولقد حفظ الله عز وجل هذا العلم بأن يسر من يجمعه ويحفظه لتستمر سنة رسول الله ﷺ لذلك كتب الأحاديث الشريفة وشروحها تملأ المكتبات الإسلامية، وتتوفر عند جميع المسلمين.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، رقم ٦٠٥.

٣- الإجماع: وهو ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية بما تراه من خير لهذه الأمة وما كان أدوم لطاعة الله واتباع أوامره على أن يكون هذا الإجماع مستنداً إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وموافق لهما قال رسول اله ﷺ: «**إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة**»[1].

٤- وكذلك القياس: وهو إلحاق أمر لم ينص عليه في الكتاب والسنة بأمر نص عليه لاشتراكهما بالعلة.

فيمكن من حيث ما استجد من أحداث عصرية أن نسقطها على عصر سول الله ﷺ ونعرضها على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فنلحق بالحكم ما وافقهما ونطرح ما خالفهما.

وبذلك يبقى المجتمع في حصانة من كل ما يراد به بدعوى التجدد والتحديث.

إضافة إلى وجود مصادر تبعية من أقوال الصحابة والمصالح المرسلة وسد الذرائع والعرف والاستحسان والاستصحاب و...، كل ذلك يعين المجتمع الإسلامي في معرفة الصواب ودفع الخطأ ومجابهته مما يزيد المجتمع الإسلامي حصانةً وانتماءً.

٥- آراء العلماء والمفكرين والفلاسفة وعلماء الاجتماع المسلمين الذين اختصوا بهذا العلم كالفارابي والغزالي وابن جبير.. وابن خلدون وابن مسكويه وغيرهم، فهؤلاء رحمهم الله بينوا قواعد هذا العلم ودرسوا المجتمعات الإسلامية وكانت دراستهم عملية تدعو للأصلح ولإعادة تأهيل المجتمع الإسلامي والرقي به ليكون على نهج المجتمع الإسلامي الذي رسمه النبي ﷺ القائم على نهج الله عز وجل.

٥- لدفع الأباطيل والشبه يؤخذ بأقوال علماء الاجتماع الغربيين ومقارنتها مع أقوال العلماء المسلمين والاستفادة من الصحيح وطرح المخالف لتعاليم الدين مع التأكيد على أن الدراسات الغربية لاتنطبق على المجتمعات الإسلامية.

٦- التاريخ يعتبر مصدراً أساسياً لعلم الاجتماع الإسلامي فهو يبين المراحل التاريخية التي مر بها المسلمون[2].

---

(١) السنن للترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم ٢١٦٧.

(٢) المدخل لعلم الاجتماع الإسلامي، الفوال: ٧٨-٧٩، نحو علم الاجتماع الإسلامي، زكي: ٨٥.

المطلب الرابع: أهداف علم الاجتماع الإسلامي:

ولعلم الاجتماع الإسلامي أهداف كثيرة أذكر منها[1]:

١- إظهار سنن الاجتماع وقواعد العمران من القرآن الكريم والسنة ودراسة ظواهر المجتمع الإسلامي في ضوئهما.

٢- إحياء تراث المفكرين الاجتماعيين المسلمين، والتعريف بهم وبما قدموه من دراسات قيمة أَثْرَت هذا العلم، فلم يكونوا مجرد علماء يضعون النظريات بل كانوا أيضاً يبينون كيفية التطبيق الصحيح وهذا سبق لهم

٣- إظهار الأسلوب العلمي في الدين الإسلامي من خلال وضع شريعته لقواعد ونظم الاجتماع الإنساني والعلاقات الاجتماعية الإسلامية.

٤- إيضاح أن الدين الإسلامي هو الأداة الأمثل للضبط الاجتماعي وللتطوير والتغيير الإيجابي وذلك بعد أن تهاوت النظريات والمثل الوضعية وعجزت عن إعطاء الحلول القيمة والمفيدة.

المطلب الخامس: استنتاج تعريف علم الاجتماع الإسلامي:

عرّف "زكي اسماعيل" علم الاجتماع الإسلامي بأنه: «علم وصفي تكاملي يهدف إلى دراسة شؤون الحياة الاجتماعية المستمدة من التعاليم الإسلامية، بما تتضمنه من ظواهر ونظم وعلاقات وتفاعلات اجتماعية، من مختلف جوانبها دراسة علمية تحليلية لبيان ما هو كائن وليس ما ينبغي أن يكون».

وهذا تعريف شامل ولكن لتبيين أن علم الاجتماع الإسلامي يسعى دائماً لدفع أفراد المجتمع للالتزام بتعاليم الإسلام، فيمكن أن نحدد في التعريف بعد دراسة المجتمع ومدى تمثله للإسلام، الوجوه المخالفة للتعاليم وذكر ما هو الوجه الأمثل والأصح الموافق للشريعة الإسلامية، وبذلك تتحقق الغاية من هذا العلم، وليس مجرد الاقتصار على الوصف كما هو الحال في علم الاجتماع الديني.

---

(١) نحو علم الاجتماع الإسلامي، زكي: ٨٥-٨٦، دراسات في علم الاجتماع، الجوهري: ٧-٩.

وبذلك يمكن القول أن علم الاجتماع الإسلامي: علم يدرس مدى التزام أفراد المجتمع بتعاليم الدين الإسلامي في جميع الشؤون الحياتية، وتأكيد الجوانب السليمة، وتبيين التصرفات المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي وذكر التصرف الصحيح الذي يجب على المجتمع والفرد تمثله.

وذلك يُحقق التغيير الاجتماعي الإيجابي ويكون دافعاً للمجتمع الإسلامي نحو التطور والتقدم.

المبحث الرابع
الظاهرة الاجتماعية

المطلب الأول: تعريف الظاهرة الاجتماعية – خواصها:

الظاهرة الاجتماعية:

«هي سلوك متكرر الحدوث يتسم بمجموعة مواصفات أهمها التكرار والتلقائية والجبرية والشيئية»[1].

ويظهر من التعريف أن كل ما يحدث في المجتمع لا يعتبر ظواهر اجتماعية كالأكل والنوم والشرب.. إنما الظواهر توجد في المجتمعات بسمات خاصة قد يتعذر تفسيرها، فهي تطفو على سطح المجتمع بشكل تلقائي من غير تصنع أو إحداث لها، وكذلك هي متكررة الحدوث وليست أشياء نادرة الحدوث بل تظهر دائما في المجتمع وهي جبرية ملزمة وقاهرة، حيث توجد هذه الظواهر في المجتمع بشكل إلزامي تفرض على أفراد المجتمع سلوكا محددا.

وكونها شيئية ذلك لأنها ظاهرة مستقلة يمكن مشاهدتها وتلمسها.

اعتبر علماء الاجتماع أن الظاهرة الاجتماعية هي أساس المجتمع، فالمجتمع عبارة عن مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي تأخذ أشكالا متعددة من نظم، ومؤسسات، وجماعات، و... الخ.

وهناك أمثلة على الظواهر الاجتماعية، العزوف عن الزواج، تزايد نسبة الطلاق، ارتفاع نسبة الجريمة، تعدد الزوجات، عمل المرأة .... الخ. في بعض المجتمعات وتختلف الظواهر حسب كل مجتمع.

---

(١) موسوعة علم الاجتماع، الحسن: ٣٦٧.

خواص الظاهرة الاجتماعية:

تقسم الظاهرة الاجتماعية بعدة خواص وهي:

١- الظاهرة الاجتماعية من صنع المجتمع وليست مثالية، لذلك التدين ليس ظاهرة اجتماعية بل هو شيء فطري.

٢- الظاهرة الاجتماعية تتسم بالعمومية فهي تعم المجتمع ويأخذ جميع أفراد المجتمع بها.

٣- الظاهرة الاجتماعية تعتبر خارجية وليست داخلية كالحالة النفسية، وهذه الصفة تعطيها صفة الاستمرار في العلاقات الزمنية.

٤- الظاهرة الاجتماعية نسبية تختلف باختلاف المجتمعات، وتختلف في المجتمع الواحد باختلاف العصور.

٥- الظاهرة الاجتماعية مترابطة ومتشابكة حيث تترابط الظواهر الاجتماعية مع بعضها في المجتمع ويؤثر بعضها في بعض.

٦- الظاهرة الاجتماعية آمرة قاهرة وملزمة لجميع أفراد المجتمع.

٧- ذات جاذبية وتأثير وخاصة في الأعياد والمناسبات ويتمثل الجذب في الظواهر من حيث تمثل الأفراد لها وتزداد الجاذبية مع مناسبات خاصة تعم جميع الأفراد.

المطلب الثاني: بنية الظاهرة الاجتماعية:

للظاهرة الاجتماعية بنية معقدة حيث تتكون من عنصرين أساسيين:

أولاً: **الأساس المادي:** ويتضمن: البيئة، ونمط الإنتاج، والوظيفة[١].

ثانياً: **البناء الرمزي:** الذي يحوي الأعراف والتقاليد والعادات والقيم والمعايير والقانون والطرق الشعبية.

وهناك **عنصر ثالث** وهو الارتباطات بين الأساس المادي والبناء الرمزي.

ولا تنشأ الظاهرة الاجتماعية من فراغ وإنما تنتج من تفاعل الأفراد وهم

---

(١) انظر علم الاجتماع، حمش: ٦٢-١٢٠.

يشبعون حاجاتهم في بيئة معينة ولها خصائص محددة تمارس عليهم درجة من الضغط والإلزام فتحدد حاجاتهم ووسائل إشباعها.

الأساس المادي:

أولاً: البيئة: ويقصد بها البيئة الطبيعية والاجتماعية، ومن المعلوم أن البيئة الطبيعية بما تحويه من مناخ وتربة ونبات ... الخ تؤثر في العادات والتقاليد كما أكد ذلك ابن خلدون وبيّن أن البيئة الخصبة يمتاز أهلها بالمرونة والتسامح والميل للهو وقلة العمل، أما البيئة الجافة فيغلب على سكانها الجمود والقسوة وشدة التحمل. وذلك يؤكد مقولة: «إن الإنسان ابن بيئته».

كذلك البيئة الاجتماعية تورث عادات وتصرفات خاصة على حسب هذه البيئة فالمجتمع الريفي (بما فيه من بساطة وعلاقات قرابية) يختلف عن المجتمع المدني والعلاقات السائدة فيه من علاقات خاصة وقلة الروابط الاجتماعية.

ثانياً: نمط الإنتاج: يمارس نمط الإنتاج تأثيره المستقل على الظواهر الاجتماعية، ويؤدي لإنتاج ظواهر اجتماعية تتناسب معه. فنمط الإنتاج الزراعي يضفي على المجتمع: ١- ملكية مشاعية للأرض. ٢- تعصب قرابي، علاقات مترابطة أسرية... أما نمط الإنتاج الصناعي فتبرز فيه استقلالية الفرد والأسر الصغيرة والعلاقات المحدودة.

فعلى حسب نمط الإنتاج تظهر الظواهر الاجتماعية وتتغير مع تغيره.

ثالثاً: الوظيفة الاجتماعية: إن مفهوم الوظيفة الاجتماعية يبين أن النظم الفرعية والوحدات الجزئية لها دور في المحافظة على استمرار هذا المجتمع من خلال قيامها بوظائف متعددة تتعلق بإشباع حاجات الأفراد ويحقق أهداف الجماعات وهذا نوع من إسهام الجزء في المحافظة على الكل.

مثال توضيحي: إن سلوك اختيار الزوجة هو نمط اجتماعي وله وظيفة اجتماعية مهمة وذلك من خلال اختيار الفرد لشريكة حياته على أن تكون مناسبة لوضعه الأسري والعائلي وعاداته وتقاليده وكذلك اشتراك الأهل في الاختيار يقوم بنفس الوظيفة، وهذا الاختيار يدعم التقسيم الطبقي الأسري ويصونه من خدش هذا التنظيم العائلي.

الظاهرة الاجتماعية توجد على مستويين مترابطين وهما:

١- المستوى المجتمعي: تكون على شكل نُظم مستقرة راسخة وخاضعة لأنظمة وقوانين وممارسات رسمية.

٢- المستوى الفردي: يحتوي على تفسيرات خاصة لنظم اجتماعية وقد يختلف بسبب بعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية، حيث كل فرد يحمل تفسيرات خاصة به مختلفة لمحتويات النظم الاجتماعية[1].

يمكن أن نجد تفسيراً لاختلاف المجتمعات الإسلامية بين عصر وآخر أو من مجتمع لآخر، فمن المعلوم أن الإسلام كدين سماوي له أساس وممارسات فعلية ثابتة، فإذا التزم بها المسلمون التزاماً عقائدياً وسلوكياً في الحياة نشأت مجتمعات إسلامية متشابهة على المستوى المجتمعي، أما لو اختلف التطبيق وتفاوت الالتزام في المجتمع سواء على مستوى المجتمع أو على مستوى الأفراد فسنجد تفاوتاً في هذه المجتمعات.

فالمجتمعات الإسلامية في هذا العصر اكتسبت هذه التسمية من خلال الدين الشائع في المجتمع، ولكن لو قسنا هذه المجتمعات بالمجتمع الإسلامي الذي كان في عصر النبي سيدنا محمد ﷺ وصحابته الكرام وعصر الخلفاء الراشدين لوجدنا تفاوتاً كبيراً، وسبب التفاوت أن الإسلام الصحيح يقوم على ثلاث دعامات:

١- الإيمان العقلي: وحدانية الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٣/١٨]. والتصديق بجميع أركان الإيمان.

٢- إيمان قلبي عاطفي قائم على حب الله ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥/٥٤] ولا يمكن الاستثناء في هذا المقام، لأن الطائر لا يطير إلا بجناحين ولو كان مجنحاً لسقط.

٣- الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية بما فيها من أوامر فتؤدى ونواهي فتجتنب، والسير بالمجتمع وفق هذه التعاليم الشرعية لضمان صلاحه.

---

(١) المرجع السابق: ٦٦.

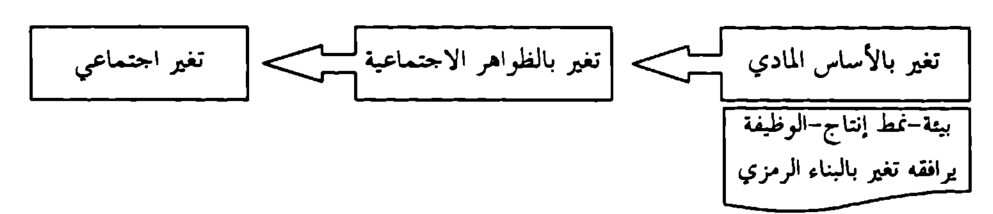
المطلب الثالث: علاقة التغيير الاجتماعي بالظواهر الاجتماعية:

إن التغيير الاجتماعي ينتج عن تغير الأساس المادي في الظاهرة الاجتماعية، فتغير البيئة وتحولها من زراعية إلى صناعية يؤدي إلى ضعف وانحلال عدد من الظواهر وحلول ظواهر جديدة مناسبة للبيئة الجديدة، فتغيب ظواهر كالتعصب والثأر وزواج الأقارب، وتحل محلها المواطنة والعلاقات المحدودة وغياب النزعة الانتمائية للعائلة..

وكذلك من حيث نمط الإنتاج يرافق تغيره تغيراً بالظواهر الخاصة بنمط الإنتاج، فالمجتمع الرعوي الذي تسوده روح الجماعة والكرم والانتماء القبلي يتغير عندما يسود الإنتاج الزراعي أو الصناعي.

ومن حيث الوظيفة الاجتماعية يؤدي تغيرها إلى حدوث التغيير الاجتماعي فتربية الأطفال ورعايتهم هي من وظيفة الأم والأسرة، ولكن قد تقوم دُوْر الحضانة بذلك بسبب انشغال الأم في عملها ومشاركتها لزوجها في تحمل النفقات المنزلية وهذا في مجتمع المدينة فعندها نلاحظ تغيراً بالوظيفة الاجتماعية وبالتالي تغيراً اجتماعياً.

ويرافق التغيير بالأساس المادي تغيراً في البناء الرمزي وفي تفاعلهما أيضاً لأن التغير بالأساس المادي يؤثر على العادات والقيم والتقاليد و...



الفصل الثاني

يتكون هذا الفصل من مبحثين:

أحدهما في التغيير الاجتماعي والآخر في الانحراف الاجتماعي.

المبحث الأول: التغيير الاجتماعي

- تعريف التغيير الاجتماعي - عوامل التغيير الاجتماعي.

- نظريات التغيير الاجتماعي:

النظرية الخطية التطورية: ابن خلدون، نظرية ماركس.

النظرية الدائرية: شبنلجر - توينبي.

نظرة الإسلام إلى التغيير الاجتماعي.

ضرورته - درجاته.

- التغيير الاجتماعي وأثره على الدين.

البوذية - اليهودية - المسيحية - الإسلام.

المبحث الثاني: الانحراف الاجتماعي:

- تعريف الانحراف الاجتماعي - منشأه.

- مستويات الانحراف الاجتماعي، على المستوى الشخصي والجمعي وعلى مستوى النظم وعلى مستوى التنظيم والأساليب الإدارية.

- المفهوم الاجتماعي للانحراف - علاج الانحراف.

المفهوم الإسلامي للانحراف - العلاج الوقائي - أساليب الضبط الاجتماعي للانحراف: ١- التشريع السماوي. ٢- الضغط الاجتماعي. ٣- إحياء الضمير. ٤- التعزيز الإيجابي والسلبي.

- الجريمة في المفهوم الاجتماعي وعلاج جريمة الزنا اجتماعياً وقانونياً.

علاج جريمة الزنا في الإسلام:

١- العلاج الوقائي. ٢- عقوبة الزنا للمحصن والبكر.

٣- دراسة إحصائية لعدد العقوبات على جريمة الزنا في عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدون تَبيناً لنجاعة العلاج الإسلامي.

المبحث الأول
التغيير الاجتماعي

المطلب الأول: تعريف التغيير الاجتماعي وعوامله:

التغيير الاجتماعي: هو التحول التلقائي أو المخطط الذي يطرأ على البنية التحتية والفوقية إذ تتحول هذه البنى من نمط بسيط إلى نمط معقد ومتشعب يتماشى مع طموحات وأهداف النظام الاجتماعي[1].

إن التغيير الاجتماعي هو سنة كونية، ولا يستلزم دائماً التغير نحو الأفضل بل يمكن أن يكون تغييراً سلبياً، حيث إن كثيراً من الظواهر الاجتماعية المثالية تُفقد ويحل محلها ظواهر جديدة.

عوامل التغيير الاجتماعي:

يرجع إلى عدة عوامل منها:

١- التطور التكنولوجي: ولقد حدث هذا التطور مع بداية القرن العشرين، فبينما كان العمل الإنتاجي يعتمد على الإنسان أصبح يعتمد على الآلة واستخدمت بنسبة ٩٠٪ في عمليات الإنتاج، وهذا التطور التكنولوجي أدى إلى آثار إيجابية كالسرعة في الإنتاج، وإغراق السوق بالمنتجات، والاستفادة المثلى من المواد الأولية...الخ. وأيضاً له آثار سلبية كانتشار البطالة والروتين وحصول الاغتراب النفسي عند الإنسان ... الخ.

لذلك يلاحظ أن التطور التكنولوجي والتقدم العلمي أَثَّـرَ على المجتمعات وأنشأ ظواهر اجتماعية، وسبب ذلك تغييراً اجتماعياً يتناسب مع الطروحات الجديدة.

---

(١) موسوعة علم الاجتماع، الحسن: ١٩٤، مقدمة في علم الاجتماع، عثمان: ٣٣١.

٢- التحضر والتصنيع: أدت عملية التحضر وقيام المؤسسات الصناعية التي جذبت العمالة، وزادت الهجرة إلى المدن وأدت لسيادة العلاقات المصلحية والروح الاستقلالية في العمل مما أدى إلى حدوث تباين اجتماعي واقتصادي وثقافي.

٣- تطور ونمو المؤسسات الرسمية التي لها تنظيم ومخطط معين يسعى لتحقيق أهداف محددة، وأصبحت علاقة العاملين بالمؤسسات علاقة تعاقدية، وصار للمؤسسات الأثر الأكبر على حياة الفرد، مما أدى لبروز علاقات جديدة تدفع الفرد للتلاؤم مع هذا الوضع الجديد، وذلك أدى لانتشار العلاقات غير الشخصية[(١)]، وبحث الفرد عن مصالحه الخاصة، وسعيه لتحسين معيشته من وجهته الشخصية.

هذه بعض عوامل التغيير الاجتماعي مع العلم أن مرور الزمن وتغير الأجيال يؤدي لتغيير اجتماعي، لأن لكل جيل مفهومه الخاص لعصره ولموروثه الذي ورثه عن سابقيه، كما يحاول كل جيل إضافة خبرته لعصره، وكل ذلك يؤدي إلى تغيير اجتماعي.

إن التغيير الاجتماعي يكون على جميع المستويات الاجتماعية:

١- على المستوى الفكري: بحيث تظهر أفكار وعقائد وأيديولوجيات جديدة تختلف من جيل إلى آخر.

٢- على مستوى الفعل والسلوك: حيث تنبعث في المجتمع عمليات مستحدثة تتفاعل مع علاقات جديدة وتنتشر وحدات اجتماعية وتنظيمات جديدة تتلائم مع هذا التغيير.

٣- مستوى المصالح: ويظهر ذلك من خلال تشكيل أنظمة جديدة وانتشار أشكال جديدة يسعى فيها الفرد لتلبية حاجاته وتحسين معيشته على حسب النمط السائد.

٤- مستوى التنظيم والنظم: يظهر ذلك من خلال وجود معايير وقواعد سلوكية تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع[(٢)].

---

(١) انظر مقدمة في علم الاجتماع، عثمان: ٣٣٢-٣٣٤.

(٢) مقدمة في علم الاجتماع، عثمان: ٣٣٢.

المطلب الثاني: نظريات التغيير الاجتماعي ومناقشتها:

نظريات التغيير الاجتماعي:

لجأ علماء الاجتماع لتفسير حدوث التغيير الاجتماعي وذلك من خلال دراسة تاريخية استقرائية للتوصل إلى نظرية تحدد كيفية التغيير الاجتماعي وهل يسير بطريق محدد؟ بحيث يمكن التنبؤ بحدوث التغيير الاجتماعي وشكل هذا التغيير.

وسندرس بعض هذه النظريات التي توصل لها علماء الاجتماع ثم نبين نظرة الإسلام للتغيير الاجتماعي.

١- النظرية الخطية التطورية: تقوم هذه النظرية باستخدام مفاهيم محددة كالنمو والتطور والتقدم، وتقوم على افتراض وجود مراحل للتطور تمر بها المجتمعات، من مرحلة إلى أخرى نتيجة عوامل معينة، وأول من قال بهذه النظرية ابن خلدون حيث بين أن تغير المجتمع من مرحلة البداوة إلى مرحلة التحضر يرجع إلى عدة عوامل تؤدي إلى هذا الانتقال، وهي تغير نُحل العيش ونمط المعاش والعصبية السائدة، وهذا الانتقال من النمط الرعوي «الذي يقوم على استغلال البيئة الطبيعية» إلى نمط تجاري في البيئة الحضرية يرافقه تغير في نمط الإنتاج والعلاقات بين الأفراد، ففي البداوة سادت العصبية القوية والتعاون في العمل بين الأقارب لتشابه الحاجات.

أما في المجتمع الحضري ضَعُفت فيه العلاقات القائمة على العصبية، وحلت محلها علاقات جديدة غير قرابية تقوم على المنفعة[١].

بيَّن ابن خلدون أن التغيير الاجتماعي يحدث عند تغير البيئة ونمط الإنتاج وهذا التغير يرافقه تغير في العادات والعلاقات بحيث تتناسب العلاقات الجديدة مع النمط الاجتماعي الجديد.

وهذه النظرة عند ابن خلدون خاضعة لقواعد علمية صحيحة حيث ربط التغيير الاجتماعي بتغير الأساس المادي للظواهر الاجتماعية سواء في البيئة أو نمط الإنتاج أو الوظيفة الاجتماعية، وهذا يعتبر سبقاً لابن خلدون ويعتبر الواضع الأول لهذه النظرية.

---

(١) علم الاجتماع، حمش: ١٩٥-١٩٨، مقدمة في علم الاجتماع، عثمان: ٣٤٦-٣٤٧.

النظرية التطورية: أخذ كارل ماركس بهذه النظرية من وجهة نظره الخاصة القائمة على المادية الصرفة.

حيث انشغل في تحليل انتقال المجتمع الأوربي من الإقطاع إلى الرأسمالية الحديثة، وبيَّن أن المجتمع ينتقل ويتطور من مرحلة إلى أخرى بفعل تطور قوى الإنتاج والتحول الثوري، ويستمر هذا التطور حتى يصل إلى مرحلة نهائية وهي المرحلة الاشتراكية التي تحقق السعادة وتنهي التطور حيث يصل المجتمع إلى الكمال.

وقسم مراحل التطور إلى[1]:

١- المرحلة المشاعية: كان الإنسان يعتمد فيها على الجمع والالتقاط لإشباع حاجاته و لم يكن يوجد قانون أو تجمع بشري.

٢- مرحلة التجمع البدائي: تطورت قوى الإنتاج ونشأت الملكية الفردية وانقسم المجتمع إلى طبقتين الأحرار المالكين والعبيد.

٣- مرحلة الإقطاع حيث انحصرت ملكية الأراضي بايدي قلة وانقسم المجتمع إلى طبقتين: إقطاع يملكون الأرض يتنعمون بثمرات الإنتاج، وفلاحين محرومين من جهدهم يعيشون في بؤس وشقاء.

٤- الرأسمالية: قامت على أنقاض الإقطاع وبدأ عصر التصنيع والإنتاج وتمكنت مجتمعات صناعية في أوربا بتهيئة ظروف معيشية جيدة لسكانها على حساب مجتمعات أخرى، حيث ظهرت الرأسمالية التجارية الاستغلالية التي استغلت الشعوب وثرواتها ثم اتبعت الرأسمالية طريقاً جديداً وهو الاستعمار لاستنزاف خيرات الدول ومواردها الأولية، ثم أخذت لباساً جديداً في هذا العصر لتحقق الهيمنة الاقتصادية والسياسية على دول العالم وفرض سيطرتها وقوتها، هذا الشيء أنشأ في العالم طبقتين طبقة مُستَغِلة تنعم بخيرات الشعوب، وطبقة مُستغَلة (هي الدول النامية) تعاني من التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

بيّن ماركس أن كل مرحلة تحمل بذور تغييرها فيها، وأن هذا التغيير حاصل لا

---

(١) علم الاجتماع، حمش: ١٩٩-٢٠٧، مقدمة في علم الاجتماع، عثمان: ٣٤٧-٣٤٩.

محاله. وهذه المراحل الأربعة هي مراحل تاريخية معلومة حاول ماركس أن يتنبأ بالمرحلة القادمة وهي الاشتراكية.

٥- الاشتراكية: اعتقد ماركس أن المجتمعات البشرية ستصل لهذه المرحلة وهي خاتمة المراحل التي تحقق السعادة والرفاهية، حيث تصبح إدارة قوى الإنتاج في المجتمع بأيدي الطبقة العاملة في المجتمع وهي ملكية عامة للجميع وتنعدم فيها الطبقية حيث يعيش الجميع في مستوى واحد من الكفاية.

وتوقع تحول بريطانيا من رأسمالية إلى اشتراكية ثم تتبعها دول أوربا ولكن العكس صار. فبقيت بريطانيا رأسمالية مسيطرة، وانتهج الاتحاد السوفياتي نهج الاشتراكية و لم يؤد ذلك للسعادة المنتظرة بل إن تجاهل الفئات الخاصة في المجتمع وكبح الملكية الفردية وإبداعاتها وإن عدم خلق التوازن في المجتمع أدى لانهيار الاتحاد السوفياتي وكما تقول القاعدة: الدعوة تحمل نقيضها.

لذلك نظرية ماركس باءت بالفشل لأنها قامت على التنبؤ المبني على الأمور المادية ولا أحد يعلم الغيب إلا الله وما ستؤول إليه المجتمعات في المستقبل. ولا يمكن بالتجرد عن الدين وتأليه المادة أن يجد الإنسان مكمن السعادة والصورة الأمثل للمستقبل، لذلك ليس غريباً انهيار الشيوعية وتحملها تبعات آرائها وأفكارها.

النظريات الدائرية: وهناك نظريات فسرت التغيير الاجتماعي بناءً على نشوء سقوط الحضارات فالأمر يدور بين نهوض وسقوط ومن رواد هذه النظرية: (ادوار شبنلجر، وآرنولد توينبي) وتقوم هذه النظريات على أن الحضارة تمر بمرحلة دائرية (ولادة – نضج – موت).

قال شبنلجر أن عمر الحضارة ١٠٠٠ عام ثم تبدأ بالانهيار، وتوقع في القرن التاسع عشر انهيار الحضارة الغربية، وهذه النظرية أثبتت عدم صحتها وأن توقعه ذهب أدراج الرياح لأن الحضارة الغربية تطورت وازدادت قوة وهيمنة[١].

وكذلك طرح توينبي نظرية الحضارة التي تتعرض للضعف والانهيار بعد

---

(١) علم الاجتماع، حمش: ٢١١-٢١٥، مقدمة في علم الاجتماع، عثمان: ٣٥٢

نضجها، إلا أنه كان أقل تشاؤماً وقال بأن المجتمع في فترة الانهيار يستطيع أن يتماسك ويستعيد قواه وعندها لا ينهار بل يستمر في التقدم.

إن هذه النظريات تدور في فلك واحد وقانون محدد تسير ضمنه جميع الحضارات من البداية حتى الفناء، بغض النظر عن وجود قوى خارجية أو خوارق أو قدرات. وسبب هذا الرأي أن واضعي هذه النظريات وضعوها بناءً على المادة وتجرداً عن الدين، متجاهلين ومتناسين خلق الله عز وجل للبشر وتقديره لحياتهم، وأنه وحده المتصرف وأن المجتمعات بحسب اتباعها لأوامر الله عز وجل والسير على النهج القويم تستمر الحياة وتزدهر بهذه المجتمعات قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧/١٦].

المطلب الثالث: نظرة الإسلام إلى التغيير الاجتماعي:

إن الإسلام دين عظيم ارتضاه الله لعباده وهو يصلح لكل زمان ومكان وهو أداة للتطور والتغيير الاجتماعي الإيجابي، حيث دائماً يسعى الإسلام لتنمية الفرد والمجتمع ودفعها نحو الأصلح والأفضل.

وأكد الإسلام أن التغيير هو سنة كونية وأنه لا حياة بلا تغيير لأنه لا يمكن السير في الحياة على نسق واحد وإلا أصبحت الحياة جحيماً لا يطاق.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص: ٢٨/٧١-٧٢].

فلا يمكن أن يدوم الحال ودوام الحال من المحال، لذلك التغيير في المجتمع يكون من حال إلى حال أفضل وفي تغيير إيجابي دائم ولعل هذا جعل في الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً كفائياً يأثم جميع المسلمين بتركه ما لم يقم البعض بأدائه، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أداة تغيير في المجتمع. حيث دائماً

يأمر بالأصلح والأمثل وينهى عن الخطأ ويصحححه لتبقى دائماً حياة المسلم في حصانة من التدهور والعشوائية[1].

والتغيير الاجتماعي في الإسلام يشمل الفرد والمجتمع، ويجب التنبه إلى أن التغيير يطرأ على حياة المسلم دفعاً للتقدم، ويؤثر في تصرفاته ضمن الحدود الشرعية مع المحافظة على الدين العظيم الأمثل الذي لايتغير، وهو ثابت محفوظ بحفظ الله عز وجل له، فالأحكام الإسلامية ثابتة لا تتغير «فالعقيدة والعبادات والمعاملات والحدود والأخلاق ... ثابتة لا تتغير» فهي تشريع خالد كامل والكمال لا يتغير لأن الغاية من التغيير الوصول للكمال فإذا كان الشرع كله كمال فلا يتغير، أما التغير في المجتمع الإسلامي يكون بدفع عجلة التقدم والاستفادة من العلم والتقنيات المستحدثة، وذلك لإظهار قوة الإسلام وسبقه كما كان في العصور الوسطى عندما كان الإسلام قوياً بالعلم والاقتصاد والثقافة ... فكان المنبع المضيء الذي يستنير به العالم، وعندها ظهر الإسلام بحلته الحقيقية دين العمل والعلم والتقدم لذلك تعتبر العلاقة متميزة جداً بين الدين والتغيير الاجتماعي في المجتمع الإسلامي. فمنذ ظهور الإسلام كان التداخل بين الدين والمجتمع واضحاً[2]، والدليل على ذلك التغيير الذي أحدثه سيدنا محمد ﷺ في تحويل المجتمع الوثني إلى مجتمع مؤمن موحد يؤمن بإله واحد، ومجتمع متحد يمثل المسلمون فيه جسداً واحداً في التعاطف والتضامن كأنهم بنيان مرصوص، ولقد انتشر العلم في هذا المجتمع التقدمي الإسلامي فأنتج علماء زودوا البشرية بصنوف العلوم، فكان لهم الفضل في ذلك والسبق، ومن خلال ما فعله سيدنا محمد ﷺ يتبين أن التغيير الاجتماعي في الإسلام هو تغييرٌ إيجابي يسعى دائماً لتحقيق التقدم والتطور على صعيد المجتمع والفرد مع الحفاظ على التمسك بالدين والالتزام به.

إن التغيير الاجتماعي هو مسؤولية كل فرد عندما يلاحظ ما يخالف الدين، والجماعة والفرد في المجتمع مسؤولون عن تغيير الشيء السلبي وذلك وفق درجات كما بينه الحديث الشريف.

---

(١) عوامل التغيير الاجتماعي، الحائري: ١٤-١٦.

(٢) الدين والتغيير الاجتماعي، غضبيات: ٢١-٢٢.

قال رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[1].

ويمكن أن نستمد من هذا الحديث الشريف درجات التغيير الاجتماعي:

١- الإنكار القلبي: وهو أدنى الدرجات وهو يلزم كل مسلم عندما يشاهد منكراً ولا يستطيع أن يغيره بيده أو لسانه.

٢- الإنكار اللفظي: وهذا لمن أوتي الحجة باللسان وعليه التحدث وتبيين الصواب وتصحيح الخطأ.

٣- الضغط الاجتماعي واللجوء للمقاطعة لفاعل المنكر لعدم رجوعه عنه وتأثير النصح فيه.

٤- تغيير المنكر باليد إذا استمر فعل المنكر و لم ينزجر فاعله وذلك بفرض العقوبة المناسبة وإزالة المنكر.

هذه النظرة الإسلامية هي نظرة مثالية للتغيير الاجتماعي على مستوى الفرد والمجتمع[2].

ملاحظة: التغيير الاجتماعي في الإسلام قائم على التوازن بين المادة والروح لارتباط الدين الإسلامي بالمجتمع، ولا ينفك أحدهما عن الآخر بينما نظرة الغربيين للتغيير والتطور الاجتماعي كانت نظرةً مادية، واعتبرت كل ما سوى المادة ظواهر اجتماعية حتى الدين.

المطلب الرابع: التغيير الاجتماعي وأثره على الدين:

أكد الباحثون الاجتماعيون أن التغيير الاجتماعي يؤثر على الدين ويغيره ولا يخفى هذا الرأي من أنه مستنبط من كون الدين ظاهرة اجتماعية كما يرى "دوركهايم" و"كونت" و"ماركس" وغيرهم من الباحثين، فطالما أن الظاهرة الاجتماعية تتغير فإن الدين بصفته ظاهرة اجتماعية فهو قابل للتغيير.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ٧٨/٤٩.

(٢) عوامل التغيير الاجتماعي، الحائري: ٦٥-٦٦.

وإن كان هذا الكلام يصح على بعض الأديان من حيث تغيرها مع الزمن تبعاً للتغير الاجتماعي وليس باعتبار الدين ظاهرة اجتماعية، ولكنه لا يصح على الدين الإسلامي فهو دين ثابت محفوظ تكفل الله بحفظه وحفظ للمسلمين القرآن الكريم وتعهده بالحفظ الدائم قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ١٥/٩]. وكذلك حفظ الله سنة نبيه سيدنا محمد ﷺ لذلك الدين الإسلامي لا يلحقه تغيير ولا تطوير لأنه كامل وثابت.

وسأعرض لبعض الديانات التي قيل أن التغيير الاجتماعي أثر فيها:

آ – البوذية: نشأت البوذية على يد بوذا وكان اسمه "سدهارثا" ولقب "ساكياموني" أي المتبتل والمنقطع عن الدنيا، حيث اعتزل بوذا الناس بعد أن كان أميراً وغنياً، لأنه شعر أن السعادة تزول بالمرض أو الشيخوخة أو الفقر لذلك ترك كل شيء وأخذ يبحث عن السعادة التي لا تزول ورآها بالتخلص من الشهوات وميول النفس، وبوذا لم يصنع معابداً ولا طقوساً خاصة ولكن بسبب خلو البوذية من المعتقدات ومن وجود الإله والتعاليم الدينية تغيرت البوذية حسب المجتمعات، وأخذ كل مجتمع يحتك بما يحيط به ويستمد من الديانات المحيطة[1] فنجد أن البوذية اليابانية تختلف عن البوذية الصينية، فاليابانية اعتبرت بوذا إلهاً حالاً في الكون واستمدت طقوسها من المجوسية وبعض الديانات الأخرى، أما الصينية لم تقل بفكرة النرفانا وتختلف طقوسها واعتقاداتها عن البوذية اليابانية.

وبذلك يلاحظ أن البوذية صارت تتقلب حسب المجتمع وأصبح لها دُور عبادة وإلهاً هو بوذا بعد أن كان بوذا مجرد زاهد و لم يتخذ معبداً و لم يقل بوجود الإله أصلاً وهذا التغير في المجتمع من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي حيث تغيرت فيه البوذية واعتبر بوذا الرجل إلهاً.

وأكد الباحثون أن بوذا اليابان يخالف ما يوجد في سيلان من حيث هو، وكذلك مفهوم الخلاص والنرفانا يختلف من منطقة لأخرى. وترجع تلك الاختلافات إلى تعديلات في أنساق العقائد والتشريعات حسب تغير المجتمعات[2].

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني: ١/٢٦، المدخل إلى دراسة الأديان، أسود: ٨٥-٨٦.

(٢) علم الاجتماع الديني، بيومي: ٣٦٠-٣٦٣.

ملاحظة لقد اعتبر كثير من الباحثين أن البوذية فلسفة وليست ديناً بالمعنى الصحيح لذلك هي قابلة للتغيير لأنها لاتقوم على أساس ثابت كالدين.

ب- المسيحية: لقد طرأ تغيرات على الديانة المسيحية فقبل بولس الرسول "شاؤل" كانت المسيحية ديانة توحيد وتعتبر عيسى عليه السلام نبي الله ورسوله ولها تعاليم دينية، أما بعد بولس فأصبحت المسيحية تعتبر عيسى ابن مريم ابن الله ونشأت تعاليم جديدة تخالف التعاليم الأساسية[١] ثم في العصور الوسطى ابتدع رجال الكنيسة أموراً مصلحية واعتبروها من الدين كصكوك الغفران وحجرة الاعتراف والوقوف إلى جانب النبلاء في وجه الفقراء والثوار.

ملاحظة: إن تلقح المسيحية الدين السماوي بأفكار وثنية وفلسفات شرقية أثر بها ولا يكون ذلك من حيث الدين السماوي بل من حيث انحراف البعض بقصد التشويه والإضلال.

جـ- اليهودية: وهي ديانة سماوية، بعث الله رسلاً كُثر إلى بني إسرائيل ومع ذلك لم يؤثر فيهم الهدي السماوي، بل كانوا يعمدون إلى قتل الرسل والأنبياء وعمد بعضهم إلى تحريف كتاب الله عز وجل التوراة وحرفوا تعاليم الله عز وجل بقصد الإضلال والتخريب، وهذه التعاليم التي ابتدعوها تخالف الديانة اليهودية السماوية الحقيقة، فالذي يقوم اليهود به اليوم ليست هي تعاليم سيدنا موسى وهارون وإسحاق عليهم السلام أجمعين.

ملاحظة: إن التغير طرأ على اليهود أنفسهم من حيث تحريفهم لتعاليم الله عز وجل، وليس التغيير طارئ على الديانة السماوية اليهودية وكذلك المسيحية وهاتان الديانتان السماويتان بريأتان من كل أفعال المنحرفين المنتسبين[٢] إليهما.

أما الإسلام لم يطرأ عليه تغيير وذلك فضل من الله ومِنَّة، أراد الله عز وجل أن يختم الرسالات بالإسلام على يد خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ، لذلك جعل هذا الدين محفوظاً،

---

(١) مقارنة الأديان المسيحية، شلبي: ٧١-٧٣.

(٢) مقارنة الأديان - اليهودية، شلبي: ٩٣-٩٤.

أما من يحاول أن يعطي أمثلة من مراحل تاريخية مرَّ المسلمون بها ونشأت فيها فرق مُدعياً أن ذلك تغيراً في الدين الإسلامي رافق التغيير الاجتماعي فهو كلام مردود وباطل.

لأن الإسلام دين كامل لا يقبل التغيير لوصوله لدرجة الكمال، والتشريع الإسلامي يصلح لكل زمان ومكان ويوافق كل مجتمع وهو دافع للتقدم والتطور الاجتماعي، أما ترهل المسلمين في بعض العصور وظهور أفكار وفلسفات اعتنقها البعض ودافع عنها، فذلك لايُحمل على الدين الإسلامي إنما ذلك سلوك فردي اتبعه بعض الأشخاص بأهداف خاصة الله أعلم بها، والمهم أنها لم تؤثر على الدين الإسلامي الحقيقي ويكفي دليلاً أن من يقارن تعاليم الإسلام وثبوتها في نفوس المؤمنين بهذا العصر وكل عصر يجدها واحدة وتنتمي إلى زمن رسول الله ﷺ.

إذاً التغيير الاجتماعي لا يؤثر على الدين من حيث هو، ولا سيما الأديان السماوية. إنما التغيير قد يطرأ على الأفراد في المجتمع ومدى التزامهم بتعاليم الأديان وفهمهم وتطبيقهم لها، لذلك فالتغيير ينسب إلى أفراد المجتمع وليس إلى الدين نفسه وهذا تأكيداً لحقيقة أن الدين ليس ظاهرة اجتماعية.

- أثر التغيير الاجتماعي على المجتمعات الصناعية الحديثة من حيث التدين: في المجتمعات الصناعية الحديثة سادت القيم العلمانية على حساب الدين، ولقد أثرت التكنولوجية وحركة التطور في جميع جوانب الحياة في النظرة الرافضة للدين، وسبب هذه النظرة الاستنكارية يرجع إلى دور الكنيسة، ومواقفها السلبية في العصور السابقة، فالكنيسة منذ العهد الروماني لم تأخذ دورها الديني المطلوب منها بل اكتفت بأخذ المناصب والمحافظة على رتبتها في الامبراطورية الرومانية، ولم يكن حالها فيما بعد أفضل من السابق فأصبحت الكنيسة في العصور الوسطى تطرح مفاهيم مخالفة للدين بهدف الكسب المادي والمنصب السلطوي والوقوف إلى جانب النبلاء والأمراء مما عمق النظرة السلبية في المجتمعات لدور الكنيسة ومع استمرارها في لعب الدور المنافي لمهامها بدأت الثورات في أوربا ضد النبلاء ورجال الكنيسة وبدأت هذه الثورات في فرنسا عام ١٧٨٩م ورفع الثوار شعار (الحرية والمساواة والإخاء) وأخذوا موقفاً سلبياً من الكنيسة لذلك رفضوا الدين كما عرض عليهم.

ولذلك اتخذوا شعار (الدين للكنيسة) أي يبقى فيها ولا يخرج للعامة بل مجرد طقوس وشعائر تؤدى بها.

ومع التقدم الصناعي والتكنولوجي بقيت هذه النظرة للدين في أوربا بل تعمقت وسادت مكانها العلمانية وقيمها[1]. والخطير في الأمر أن هذا المفهوم المتجرد عن الدين حاول الغرب تصديره إلى العالم وذلك دفعاً للتجرد عن الدين والأخلاق.

والسؤال هو: هل يعتبر ما حدث في هذه المجتمعات الغربية من تغيير في مفهوم الدين واستبداله بالعلمانية هو تغير ديني ناتج عن التغيير الاجتماعي.

والجواب: إن زوال القيم الدينية وحلول العلمانية مكانها هو دليل على أن الدين لم يكن يوجد في هذه المجتمعات الغربية، فلم يكن أفراد المجتمع معتنقين له ولا ينتمون إليه بل العكس لقد تحامل الجميع على رجال الدين ودورهم السلبي فهذا الإنكار والدعوة للتغيير هي نتيجة طبيعة، لأن التبعة في ذلك يتحملها من شوه صورة الدين في نظر أفراد المجتمع، لذلك العلمانية هي رد فعل للطرح السلبي للدين من قبل رجال الدين وهذا التشويه دفع الكثير لرفض كل ما عُرض عليهم مما ينافي العقل والفطرة، وبسبب وجود فراغ ديني لم يملأ حيزه أي دين صحيح فوجد أفراد المجتمع أنفسهم أمام هذا الفراغ فطرحوا العلمانية وأخذت مكان الدين.

ولم تكن هي الحل الأمثل فقد انتشر في المجتمعات الانحلال الأخلاقي والجريمة وتفشي الأمراض الاجتماعية وتفكك الأسر... الخ وذلك لعدم وجود الرابط والوازع الديني لذلك هذه المجتمعات منها من رجع إلى المسيحية لشعوره بالحاجة إلى الدين، ومنهم من هو قائم على دراسة الأديان واعتقاد ما تقبله ذهنه وفكره، ولقد كان للدين الإسلامي أثراً كبيراً بالتأثير في نفوس الأفراد مما دفعهم لاعتناقه حيث وجدوا فيه ضالتهم ونداء فطرتهم.

---

(١) طبقية المجتمع الأوربي، البهي: ٢٠، علم الاجتماع الديني، بيومي: ٢٨٨.

المبحث الثاني
الانحراف الاجتماعي

المطلب الأول: تعريف الانحراف الاجتماعي ومنشأه:

الانحراف الاجتماعي: «هو السلوك الذي لا يتماشى مع القيم والمقاييس والعادات والتقاليد الاجتماعية التي يعتمدها المجتمع في تحديد سلوكية أفراده»[1].

يتضح من التعريف أن الانحراف الاجتماعي يتمثل في أي سلوك لا يكون متوافقاً مع التوقعات والمعايير التي تكون معلومة داخل النسق الاجتماعي، ويواجه الانحراف بالرفض والمعارضة من قبل المجتمع وينشأ من خلال هذا الرفض ردود أفعال تتناسب مع نوع الانحراف.

١- فقد يكون رد الفعل تسامحياً لا يوقع عقوبة على الشخص كتصرف الشخص تصرفات غير مثالية متعارف عليها.

٢- أو يكون رد الفعل بسيطاً لسلوك غير مقبول، ويُقتصر فيه على تقديم النصح وهذا يحدث عندما يخالف الفرد سلوكاً متعارفاً عليه في المجتمع.

٣- أو يكون رد الفعل قوياً لسلوك مرفوض يعاقب عليه الشخص من قبل المجتمع وذلك عندما يرتكب جرماً يعاقب عليه القانون الذي يحكم المجتمع كالسرقة والرشوة...[2].

ملاحظة: عند دراسة الانحراف الاجتماعي ندرس السلوك غير الوظيفي والسلوك الشاذ الذي يتناقض مع الأحكام الاجتماعية والعرفية الضرورية لعملية التماسك

---

(١) موسوعة علم الاجتماع، الحسن: ١٠١، قاموس علم الاجتماع، الجوهري: ٣٦.

(٢) الانحراف الاجتماعي، شتا: ١٦، الانحراف الاجتماعي، سامية جابر: ١٤٩.

لاجتماعي، ولا بد من ملاحظة أن كل مجتمع له معايير خاصة وأحكام اجتماعية خاصة لذلك ما يُعد في مجتمع انحرافاً قد لا يُعد في مجتمع آخر كذلك.

منشأ الانحراف الاجتماعي:

يرى بعض العلماء أن الانحراف ينشأ من خلال الصراع القائم بين الرغبات والغرائز الفردية التي يسعى لها الفرد، ويقابل ذلك ضغوط اجتماعية، تحول دون تنفيذ هذه الرغبات لذلك يكون الانحراف ناتجاً عن فشل الضبط الاجتماعي، وكأن الانحراف هو تفلت من الضبط الاجتماعي.

وذهب البعض للقول بأن سبب الانحراف يرجع للفرد الذي يسعى لأهداف بوسائل محددة، وعندما لاتتم الأهداف بهذه الوسائل يلجأ لوسائل أخرى مرفوضة اجتماعياً أو قد يغير الأهداف التي يسعى لها مع بقاء الوسائل مقبولة اجتماعياً، وقد يغير الأهداف والوسائل ويكون كلاهما مرفوضاً اجتماعياً[1].

أما علماء النفس فقالوا إن سبب الانحراف قد ينشأ عن سوء التوافق الاجتماعي وذلك عندما يعجز الإنسان عن العيش في مجتمعه بسبب عدم تحقق رغباته وأهدافه أو إخفاقه في الانسجام مع أحكام المجتمع، وذلك يسبب صراعاً عند الفرد وإحباطاً فيلجأ إلى العدوان الذي يدفعه للخروج عن نطاق المجتمع، وبالتالي ارتكاب أفعال عدوانية تكون في شدتها متمثلةً في السلوك المعاقب عليه والمخالف للقيم الاجتماعية[2].

- ونظر الدين الإسلامي إلى منشأ الانحراف بأنه ناتج في المجتمع بسبب ضعف الإيمان والوازع الديني وضعف الشعور بمراقبة الله عز وجل لأفعال الفرد.

ويمكن تجنب الانحراف في المجتمع، وذلك من خلال التربية الإيمانية القائمة على تقوى الله وطاعته في السر والعلن وتعميق الشعور بمراقبة الله عز وجل بحيث يعلم الفرد المؤمن أن الله مطلع على أفعاله ومحاسبه عليها، فيولد ذلك عنده ضبطاً لتصرفاته فيتوخى أن تكون على نهج شريعة الإسلام فعندها لا يحدث الانحراف.

---

(١) الانحراف الاجتماعي، شتا: ١٧.

(٢) أصول علم النفس، راجح: ٥٦٧-٥٧٠.

المطلب الثاني: مستويات الانحراف الاجتماعي:

الانحراف الاجتماعي لا يقتصر على الفرد بل يمكن أن ينحرف المجتمع بكمه وكذلك تنحرف نظم اجتماعية[1]. وتتعدد مستويات الانحراف الاجتماعي ومنها:

١- انحراف على مستوى السلوك الشخصي أو الجماعي:

آ - فقد يظهر الانحراف في مجال الأسرة من خلال العلاقة بين الزوجين وأفراد الأسرة والرابطة العائلية .. وتكون هذه العلاقات مخالفة للعلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع. ومنها: «انعدام الرابط الأسري بين الأبوين والأبناء، وتشرد الأبناء بسبب الخلافات الزوجية، وتربية الأبناء تربية سيئة ... الخ» كل هذه أمثلة لانحرافات في السلوك التي تكون على المستوى الشخصي أو الجماعي.

ب- وقد يظهر الانحراف في مجال التكاليف الدينية والشعائر والطقوس فالالتزام الديني إذا تم التخلي عنه واستخدمت بدائل صنعية فذلك سيؤدي لانحرافات كترك بعض العبادات والمجاهرة بالمعصية واتخاذ سلوك مخالف للتعاليم الدينية.

جـ- وقد يظهر الانحراف في مجال العمل: ويظهر ذلك من خلال الخروج عن معايير العمل وقواعده ومخالفة أنظمته كاستخدام الرشوة والتهرب من الدوام ...

د- وفي مجال السلوك الشخصي يظهر الانحراف عند مخالفة السلوك المتعارف عليه في المجتمع كالسرقة والاختلاس والنهب... وهو نابع من تصرف الشخص نفسه.

٢- انحراف النظم الاجتماعية: الانحراف لا يقتصر على الفرد أو الجماعة بل قد يتعدى للنظم الاجتماعية أيضاً وذلك بسبب وجود ثغرات عديدة تعوق النظم في أداء وظائفها.

وبسبب انعدام القيم الدينية والأخلاقية في المجتمع حلت مكانها تشريعات وضعية فاسدة لم تستطع أن تحقق للمجتمع الأمن والاستقرار بل على العكس زادت نسبة الجرائم وتنوعت أشكالها.

---

(١) الانحراف الاجتماعي، سامية جابر: ٢٨٥-٢٨٦.

٣- انحراف على مستوى التنظيم: قد يحل الانحراف بالأمور التنظيمية التي تتولى إدارة شؤون المجتمع على جميع المستويات:

١- انحراف الصفوة الإدارية وذلك بانعدام شعور المسؤولية، وانتشار الرشوة بين الإداريين...

٢- انحراف التنظيم الإداري حيث يتغير المسار الإداري وينتشر الروتين والمحسوبية وتنشأ علاقات تخالف الأنظمة الإدارية.

٣- انحراف في الأساليب الإدارية المستخدمة: وهذا ناتج عن انحراف الصفوة الإدارية والتنظيم الإداري وهذا الانحراف يتطلب أساليب منحرفة للتعامل مع هذا الوضع.

المطلب الثالث: علاج الانحراف الاجتماعي:

كيف يمكن معالجة الانحرافات في المجتمع ومنع حدوثها وما هو الطريق الأسلم لإعادة التأهيل الاجتماعي للمنحرفين؟ لقد نظر علماء الاجتماع إلى الانحراف الاجتماعي على أنه ناشئ من الفرد والمجتمع معاً وأما بالنسبة لعلاج الانحراف من الوجهة القانونية فيتم بإيقاع العقوبة المناسبة التي يُعتقد أنها رادعة للمنحرف وسندرس بالتفصيل رأي علماء الاجتماع والقانونيين وعلاج الانحراف في الإسلام.

١- المفهوم الاجتماعي للانحراف:

إن الانحراف يأخذ مستويين، المستوى الأول: هو الانحراف الأولي وينشأ من السلوك المخالف لقيم ومعايير المجتمع. والعلاج القائم على رد الفعل المقابل للسلوك المخالف سواء كان تجريحاً أو عقاباً... قد ينشأ عنه انحراف ثانوي[1] وهو المستوى الثاني وسبب هذا الانحراف الثانوي أسلوب الضبط المتخذ بحق المنحرف.

ولقد خصص علماء الاجتماع فرعاً لتحديد الانحرافات وأسبابها وعلاجها وأسموه علم اجتماع الجريمة، وأكدوا أن تنوع الانحرافات وظهورها بشكل جرائم في

---

(١) الانحراف الاجتماعي، سامية جابر: ١٦١-١٦٢.

نهاية القرن العشرين، يرجع إلى تبدل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغالباً ما يؤدي إيقاع العقوبة والأسلوب الخاطئ لضبط الانحراف إلى تطوير الإجرام وتحول الانحراف إلى انحراف شديد، لذلك قال علماء الاجتماع بوجوب تغيير النظرة القديمة بأن المجرم هو عدو المجتمع[1] أما النظرة الجديدة والصحيحة هي توجيه الإصلاح إلى المجتمع جميعاً وليس لبعض الأفراد، لأنه لا يمكن جعل الفرد هو مصدر الشر بل يجب توجيه التوعية والإصلاح إلى جميع أفراد المجتمع، فليس من العدل تحميل المنحرف تبعات جنايته دون محاسبة المجتمع لما له من دور في ذلك فقد يكون أحد الأسباب في دفع هذا الفرد للانحراف لما يجده من عقبات تحول دون تلبية رغباته.

ويمكن أن يتمثل الحل بالتنظيم الاجتماعي من خلال:

١- تلبية الدوافع والرغبات الأساسية للسلوك البشري من حيث الحاجات الأساسية من طعام وشراب ومسكن، ومن حيث العمل من تأمين فرص العمل - والدخل المناسب وتلبية الحاجات الحياتية «من هدوء نفسي وعاطفي - وحياة جنسية يرتضيها المجتمع...» إضافة لتعميم التربية الاجتماعية، من أجل تعميق فهم الفرد لواجباته نحو المجتمع وتمثله لأخلاق وقيم المجتمع.

٢- الضبط الإيجابي للسلوك، وهو ضبط مستمر يتضمن عملية قائمة على تحقيق الأهداف والقيم التي يرتضيها المجتمع وذلك يؤدي للسيطرة على السلوك الفردي والجماعي إضافة لتأهيل الأفراد للحياة في المجتمع والتكيف مع ضغوطات الحياة وذلك عن طريق تعميم التربية في المجتمع[2].

ولكن تلك الحلول الاجتماعية فشلت وذلك لعدة أسباب منها:

١- التناقض في التقاليد والمعايير فهناك محرمات وممنوعات في المجتمع ويوجد من يمارسها، فمثلاً يحرم شرب الخمر وبيعه في المجتمع، ومع ذلك يوجد من يشرب الخمور ويبيعها فهذا التناقض الحاصل بين التعاليم والتطبيق يحدُّ من الضبط الاجتماعي.

---

(١) التفسير الاجتماعي للجريمة، عبد الجليل: ٣٥-٣٦.

(٢) التفسير الاجتماعي للجريمة، عبد الجليل: ٤٢، الانحراف الاجتماعي، سامية جابر: ١٦٢.

٢- التصادم الحاصل بين المؤسسات الاجتماعية، وعدم وجود تعاون فيما بينها حيث تعمل كل مؤسسة باستقلالية لتحقيق أهداف خاصة بها، دون الأخذ بالاعتبار أهداف المؤسسات الأخرى، مما جعل تمايزاً فيما بين المؤسسات وكأنها تحولت لأهداف فردية تهتم بمصالح شخصية وبالتالي تخلت عن دورها الاجتماعي.

٣- التصادم الحضاري واختلاف المفاهيم من جيل إلى جيل فما كان يعتبره المجتمع انحرافاً وتصرفات غير لائقة قد يعتبرها جيل آخر تصرفات مقبولة ويرفض الضوابط التي وضعها السابقون..[١].

هذا من وجهة نظر الاجتماعيين، ولعل سبب الفشل في الضبط الاجتماعي يرجع لرفض الضبط الديني، والاعتماد على أفكار اجتماعية تهدف للتأهيل الاجتماعي من دون أن يكون هناك إحياء للضمير والوازع الديني داخل نفس الفرد.

لقد طبق في السجون التأهيل الاجتماعي وذلك لتمكين الباحثين والخبراء الاجتماعيون من اللقاء مع المجرمين داخل السجون وذلك لإعادة تأهيلهم للحياة الاجتماعية ولكن النتائج لم تكن مرضية. حيث أصبحت السجون أماكن لتطوير الإجرام وزيادة المنحرفين انحرافاً. مع العلم أن التأهيل الاجتماعي داخل السجون كان له بعض الأثر الإيجابي عند بعض المنحرفين.

علاج الانحراف الاجتماعي في القانون:

إن العلاج السائد في المجتمعات هو القانون حيث لا يخلو مجتمع من وجود أنظمة وقوانين تلزم الأفراد باتباعها وتوقع العقوبة بمن يخالف قوانين المجتمع.

ولقد أكد القانون أن أي انحراف في السلوك يضر بالمجتمع ويخالف الأنظمة يعتبر خروجاً عن المسار الاجتماعي وهو جريمة، وبصفة ظهور الدولة كمؤسسة اجتماعية أوكلت إليها رعاية المصالح الاجتماعية وحفظها اعتبرت الانحراف والجريمة خطراً يهدد سلامتها وأمنها استعملت الضبط القانوني بإيقاع عقوبات بحق المجرمين على حسب نوع الجرم وتراوحت العقوبة بين السجن والأعمال الشاقة والنفي والإقامة الجبرية والتجريد المدني... الخ.

---

(١) التفسير الاجتماعي للجريمة، عبد الجليل: ٤٤-٤٦.

إن الضبط القانوني لم يكن رادعاً بالصورة الاجتماعية التي تضع الضبط بغية تأهيل الفرد وإعادته للمجتمع كفرد من أفراده، بل أثر ذلك عليه فلا يزال المنحرف بعد تنفيذه للعقوبة مرفوضاً اجتماعياً، ويُنظر إليه نظرة سلبية قد أدى ذلك لإصابته باغتراب نفسي وتولد انحراف ثانوي كرد فعل على رفض المجتمع له.

علاج الانحراف الاجتماعي في الإسلام:

إن العلاقة بين البشر وما يخضعون أنفسهم له من قوانين وضعوها هم بأنفسهم لينظموا العلاقات فيما بينهم في المجتمع، وما وضعه الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمفكرون من أفكار ومُثل مِن وجهة نظرهم الخاصة لهذه الحياة، لتبيان الطريق الأمثل ليسيروا بالمجتمع وأفراده نحو تحقيق السعادة للمجتمع، إلا أن هذه الوعود لم تتحقق ولعل السبب في ذلك أن هذه القوانين والمثل كانت مصاغة من قبل أفراد في المجتمع نظموا العلاقة بين فرد مُشرِع وأفراد مشرَع لهم.

ولا بد من معرفة أن هناك علاقة أسمى وهي علاقة الفرد بخالقه، الذي وضع له تشريعاً ومنهجاً يحقق له السعادة الحقيقية، وينظم علاقات الأفراد في المجتمع، «لقد أخفق الفلاسفة وعلماء الاجتماع والأخلاق في تحرير الإنسان من غوائل الصفات التي متعه الله بها.. والسبب أن حصيلة مادفعت هذه المذاهب أن غايتها توجيه الإنسان إلى ما هو أفضل وأصلح له من وجهة نظرهم الخاصة، لذلك فهي بحوث منطوية على نتائج إنشائية توجيهية صادرة عن أناس مثلنا، ومهما كان للكلام التوجيهي من قيمة فكرية ومنطقية ومهما أوتي صاحبها لباقة في البيان والعرض فإنه أضعف من أن يتغلب على نوازع الحرية الهائجة بين جوانب جوانح الإنسان...

هم يدعون لسلوك أفضل من وجهة نظرهم والفرد يستشعر في داخل كيانه أن هناك حريةً توجهه إلى ما تراه أفضل لذلك يستجيب الإنسان للتوجيه المنبثق من ذاته وداخل كيانه...»[1].

إن الإنسان لا يتنازل عن حريته وأفكاره لإنسان مثله، لأنه يعتقد أنه أقدر على صوغ ما يناسبه في حياته، وهذا ما يلاحظ من تبدل الأفكار من جيل إلى جيل فكثيراً

---

(١) الإسلام ملاذ كل المجتمعات، بوطي: ٣١٠-٣١١.

ما يلاحظ رفض الأجيال الجديدة لأفكار الأجيال السابقة، بل حتى ضمن الجيل الواحد قد يوجد رفض لأفكار بعضهم البعض.

فلو قيل لمجموعة من الناس تعالوا لنسير خلف رأي واحد منكم فستجد أن كل شخص من هذه المجموعة قد وضع مخططاً ودستوراً يريد إخضاع الجميع له من دون أن يتنازل أحدٌ للآخر. وعلى فرض تم إلزامهم برأي واحد ووضعت ضوابط وزواجر لدفع هؤلاء لاتباع هذا الرأي، وامتثل الجميع لذلك إلا أن هذا الامتثال ليس نابعاً من إيمان الفرد بجودة هذا الرأي، ولا يعتبر امتثاله دليلاً على القناعة. أما لو ألزمت الجميع لقانون خارج عن قدراتهم ومحيطهم وفيه مكمن السعادة وهو التشريع الإلهي الذي رضيه لعباده فستجد الجميع يقبل على ذلك بكل رضاً وتسليم، ولا يكون هذا الالتزم قسري بل ناتج عن قناعة تامة، وتعظيم لهذا التشريع، لذلك خضوع المجتمع للتعاليم الإلهية، التي تنظم الحياة للأفراد بما فيه صلاحهم وسعادتهم، هي العلاج الواقي من أي انحراف، بل لايوجد دافع للانحراف لأن الفرد لا يصطدم مع آراء شخصية وأفكار اجتماعية تحول دون تحقيق رغباته المتفقة مع هذا التشريع.

الإسلام يقدم العلاج الوقائي قبل حدوث الداء وذلك لمنع حدوثه، وذلك من خلال الحض على اتباع أوامر الله ورسوله واجتناب النواهي، لأنه من يسير على النهج الذي رضيه الله له لا يقع في الانحراف والخطأ.

وحرص الإسلام على تعميق التربية في المجتمع وتحديد المسؤولية في التوعية والتربية الإسلامية الصحيحة التي تجعل الفرد صالحاً في المجتمع.

قال رسول الله ﷺ: «**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول**»[1].

يتبين من الحديث الشريف أن هذه المسؤولية تعم جميع أفراد المجتمع وهي مسؤولية عظيمة، وتعتبر تكليفاً من الله عز وجل ولذلك على كل مكلف أن يؤدي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم ٨٥٣.

دوره على أكمل وجه وبما يرضي الله عز وجل، وإذا قام كل شخص بدوره الذي كُلف به يسود في المجتمع الانسجام والتوافق الاجتماعي فلا ينشأ الانحراف أبداً.

- المسؤولية حددت على مستوى الأسرة بتأكيد حقوق الزوج والزوجة والحض على تربية الأبناء التربية الصالحة، وأكد الإسلام على الالتزام بأوامر الله عز وجل واتباع شرعه الحكيم الذي يكمل فيه أداء المسؤولية على أحسن وجه، وألغى الإسلام العادات الجاهلية المحرمة وأبدلها خيراً منها[1].

فلما كان وأد البنات خشية العار وقتل الأولاد خشية الفقر والمجاعة أتى الأمر الإلهي بمنع هذه الأفعال المنافية للدين، وإبدالها بالتربية الصالحة والعناية بالأبناء قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء: ١٧/٣١]، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨١/٨-٩].

فبين القرآن الكريم العادات الجاهلية الاجتماعية الخاطئة وأبدلها علاقات اجتماعية بلغت من الرفعة والرقي بالإنسان إلى أعلى الدرجات.

فحض الإسلام على تكريم البنات وتربيتهم تربيةً صالحة وجعل جزاء ذلك الجنة. قال رسول الله ﷺ: «**ما من أمتي من أحد يكون له ثلاث بنات أو أخوات يعولهن حتى يبلغن إلا كان معي في الجنة هكذا** وجمع بين السبابة والوسطى»[2].

ونظم الإسلام علاقة الأبناء بآبائهم وحض على البر وطاعتهم في غير معصية الله.

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٢٩/٨].

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧/٢٣-٢٤].

---

(١) الفكر التربوي العربي الإسلامي، الشريف: ٤٤٨-٤٥٣.

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، كتاب الأدب، باب ١٠٥، رقم ٨/١٣٠٧٩.

واعتبر الإسلام عقوق الوالدين من أكبر الكبائر.

وحض الإسلام على التعاطف والتلاحم بين أفراد المجتمع وتعميق صلات القربى فحض على صلة الرحم وإكرام الجار والتآخي بين المسلمين جميعاً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [النحل: ١٦/٩٠].

وقال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ [النساء: ٤/١].

وتعميق الصلات في المجتمع ككل يمنع الانحراف في المجتمع على مستوى الفرد والمجتمع وقال رسول الله ﷺ: «**خير الناس من نفع الناس**»[٢].

فالحفاظ على التوادد والترابط الاجتماعي يُحصن المجتمع من الانحراف، ولغرس هذه الأخلاق في المجتمع حث الإسلام على التعاون والمساواة وإفشاء السلام والمحبة... وبالتالي حرم الإسلام الغيبة والنميمة والكذب ودعا لتجنب الحسد والكبر ونبذ الخيانة ... الخ.

ويتبين الضبط الإسلامي للانحراف الاجتماعي من خلال[٣]:

١- **التشريع السماوي** فلقد ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية الحدود والعقوبات على الأفعال المخلة بنظام المجتمع والتي تؤثر على الفرد نفسه وذلك بغية تحصين المجتمع من الانحراف وإعادة تأهيل المنحرف وإرجاعه إلى مجتمعه، والآيات والأحاديث كثيرة بينت الحدود التي يجب ألا يتعداها الفرد حتى لا تقع عليه العقوبة، قال تعالى: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ﴾ [البقرة: ٢/٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢/١٧٩].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان، رقم ١٣. صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب الدليل على أن .. رقم ٤٥.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، كتاب (٥٣)، باب في التعاون والبر والتقوى.

(٣) انظر الفكر التربوي الإسلامي، الشريف: ٤٧٨-٤٨١.

فهذه الآية تبين الضبط للحياة الاجتماعية القائمة على الاقتصاص من نفسه وإيقاع العقوبة عليه بسبب جناياته وذلك إنصافاً لأفراد المجتمع.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٥/٣٨].

وهذه العقوبة مناسبة لهذا الجرم لكي لا تمتد اليد للمال الحرام بل يسعى الفرد دائماً لكسب الحلال، ولايخفى ماتسببه السرقة من إخلال بأمن المجتمع.

وقال رسول الله ﷺ: «**والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**»[1].

وهذا يبين أن التشريع الإسلام يعم الجميع ولا يستثنى منه أحد لأن الغاية في ذلك الحفاظ على سلامة المجتمع.

ومع ذلك الإسلام حريص كل الحرص على ألا يقام الحد حتى يثبت على وجه اليقين إضافة لجعل الشبهات تدرأ الحدود، وفي حال وقعت العقوبة على المنحرف تعتبر هذه العقوبة كفارة لهذا الذنب، ويرجع إلى مجتمعه من دون أن يحمل جريرة ذنبه أو يقف المجتمع منه موقف المستنكر، وبذلك يتبين سمو الإسلام وكبحه للانحراف الثانوي فهو لا يسمح بحدوثه بل يعالج الانحراف الأولي معالجة قطعية ولا يعتبر الفرد بعدها منحرفاً، لأن المقصود من إقامة العقوبة على المنحرف هو ردعه وزجر الآخرين عن ارتكاب المحظورات التي تلحق الضرر بالأفراد والمجتمعات.

ولقد قال أكثر العلماء أن العقوبات الشرعية فضلاً عن أنها أصلاً للزجر في الدنيا تعتبر تبعاً بالنسبة للمسلم جوابر لسقوط عقوبتها في الآخرة إذا استوفيت في الدنيا[2]. قال رسول الله ﷺ: «**تبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب شيئاً من ذلك، فستره الله عليه وأمره إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه**»[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في حد إذا رفع للسلطان: ٦٤٠٦.

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي، زحيلي: ٦/١٧٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب الحدود كفارة، ٦٤٠٢.

وفي حديث آخر «**من أذنب ذنباً فعوقب به في الدنيا لم يعاقب به في الآخرة**».

وهذا يبين عظمة الشريعة الإسلامية، ونجاعة هذا التشريع في إعادة تأهيل المنحرفين، وإسقاط جرمهم أمام المجتمع وكأنه لم يكن، وبالتالي يرجع الفرد ويتمتع بكامل حقوقه من دون أن يتعرض له أحد أو يزدريه.

قال رسول الله ﷺ: «**من عيَّر أخاه بذنبٍ لم يمت حتى يعمله**»[1]، وقوله ﷺ: «**من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله يوم القيامة**»[2].

٢- **الضغط الاجتماعي**: إن الفرد لا يستطيع العيش بمعزلٍ عن الجماعة لذلك عليه أن يضبط سلوكه وتصرفاته بحيث تكون مقبولة في المجتمع، والمسلم في مجتمعه الإسلامي عليه أن يلتزم تعاليم الإسلام في جميع نواحي الحياة وعند مخالفته لهذه التعاليم سيجد استهجاناً من مجتمعه قد يصل للمقاطعة إن لم يغير مساره ويرجع إلى الاستقامة، ويكفي مثالاً على ذلك ما حدث في غزوة تبوك عندما تخلف الثلاثة المؤمنون عن الجهاد مع نفر من المنافقين، وعندما رجع رسول الله ﷺ أمر جميع أفراد المجتمع الإسلامي أن يقاطعوا هؤلاء الثلاثة وذلك لعظم جنايتهم وتخليهم عن الجهاد في سبيل الله، وهذا الأمر شمل جميع أفراد المجتمع الإسلامي حتى نسوة هؤلاء الرجال أُمرن ألا يتحدثن مع أزواجهن وامتثل الجميع لرسول الله ﷺ، فأحس هؤلاء بالندم الشديد على مافعلوه وكان كعب بن مالك ﷺ وهو أحد الرجال الثلاثة المتخلفين عن غزوة تبوك قال كنت أخرج فأشهد الصلاة فلا يكلمني أحد وأطوف في الأسواق وألقي السلام ولا يرد عليّ أحد.. هذه المقاطعة أثرت في نفوسهم حتى رجعوا جميعاً يستغفرون الله عز وجل، ويتمنون لو أنهم ماتوا ولم يفعلوا هذا الفعل، وعلم الله عز وجل صدقهم فتاب عليهم وعندها عفا الرسول ﷺ وأمر أفراد المجتمع جميعاً أن يُقبلوا على أخوتهم ويعاملونهم ويتحدثون إليهم وكأن شيئاً لم يكن.

---

(١) السنن للترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ٥٣، رقم ٢٥٠٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه، ٢٣١٠. صحيح مسلم، كتاب البر، باب تحريم الظلم، ٢٥٨٠.

٣- **إحياء الضمير**: القائم على مجاهدة النفس ومراقبة التصرفات والعلم بأنه محاسب عليها لذلك يشعر الفرد بمراقبة الله عز وجل له، وأنه سيحاسبه على كل فعلٍ يفعله. وهذ يضمن سلامة الفرد والمجتمع من الانحراف وانتهاج سلوكٍ يرضي الله عز وجل.

مرَّ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما على عبدٍ يرعى أنعاماً لسيده في يومٍ حار فطلب عبد الله منه أن يسقيه بعض اللبن فاستجاب العبد لذلك وسقاه، فقال ابن عمر: للعبد ألا تشرب فقال العبد لا، إني صائم. فقال له أفي مثل هذا اليوم الحار تصوم، فقال أصوم في مثل هذا اليوم لأتقي حر يومٍ أشد منه (فأراد أن يمتحنه ابن عمر ﷺ) فقال: هلا ذبحت لنا شاة فنأكلها فقال العبد إنما سقيتك اللبن لأن سيدي أذن لي بذلك وأمرني أن أسقي اللبن للسائل وابن السبيل ولم يأذن لي بأن أذبح شاةً وأطعم أحدا، فقال ابن عمر: إذبح لنا شاة، وقل لسيدك أن الذئب أكلها، فأخذ العبد يصيح فأين الله، فأين الله، ويكررها فذهب ابن عمر إلى سيده واشتراه منه وأعتقه.

هكذا يظهر أثر التربية الإيمانية في نفس الإنسان، وذلك عندما يتشرب الإنسان تعاليم الله عز وجل فتنقلب في كيانه عملاً والتزاماً وسرعان ماتصبح علاقة محبة عظيمة بين العبد وربه. فهل مثل هذا الفرد في المجتمع ينحرف؟.. وهل من الممكن أن ينحرف مجتمع كل أفراده أصحاب ضمائر حية ملتزمة بتعاليم الله وتشعر بمراقبته لهم؟

وهذا الإحياء للضمائر المؤمنة تعدّ إلى جميع أفراد المجتمع كبيرهم وصغيرهم رجالهم ونسائهم.

مرّ سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ على صبية يلعبون فرأى طفلاً لا يلعب معهم فقال له لما لا تلعب مع أصحابك، فقال الطفل أو للعب خلقنا، فقال سيدنا عمر: مازلت طفلاً صغيراً على هذا الكلام -أي غير محاسب- فقال الطفل إني رأيت أمي تُشعل الحطب الكبير بالحطب الصغير، وإني لأخشى أن يجعلني الله جطبةً في نار جهنم يُشعل بها المذنبين الكبار.

- وبينما كان سيدنا عمر يسير في إحدى طرق المدينة يتفقد رعيته ليلاً سمع امرأة تأمر ابنتها أن تخلط الحليب في الماء فقالت البنت إن عمر أمير المؤمنين نهى عن

ذلك فقالت الأم وأين عمر ليعلم مانفعل فقالت يا أماه إذا لم يكن عمر يرانا أفليس الله يرانا.. فخطبها سيدنا عمر لأحد أبنائه وولدت له سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ.

هذه أمثلة قليلة تدل على الضمائر المؤمنة ولو اردنا أن نحصي مثل هذه القصص لما وسعها مئات الصفحات...

٤- ومن أساليب الضبط (التعزيز الإيجابي) وذلك بالتأكيد على الأفعال الصحيحة والحض عليها وتعليمها لأفراد المجتمع، ونقض الأمور السلبية والحض على تركها وتنفير المجتمع منها وذلك بالتعريف بهذه السلوكيات الصحيحة والخاطئة، والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تبين فضل عمل الخير والجزاء لأهله من جنة ونعيم ورضوانٍ من الله وهذا تعزيز إيجابي، وتبين مصير الكافرين وأفعالهم المنافية لتعاليم الله ومالهم من عقوبات قاسية ومستمرة، والتعذيب في نار جهنم والحشر مع العصاة والكفار...

فذلك يولد عند الفرد رغبةً في الطريق الصحيح ورهبةً من سلوك الطريق الخاطئ.

وهناك أساليب كثيرة في الإسلام تستخدم في الضبط من الانحراف الاجتماعي، والتي تقي الفرد والمجتمع من الانحراف وتبعاته وهي كلها أساليب وقائية.

ومن خلال معالجة الانحراف الاجتماعي من وجهة نظر علماء الاجتماع والقانون ومقارنتها بعلاج الإسلام للانحراف فنتعرف من خلال الاستقراء والاستنتاج ما هو العلاج الأمثل لظواهر الانحراف.

وسأقتصر في هذه الدراسة على «جريمة الزنا» وسميت جريمة لأنها لا تخص الزناة فقط، بل لها انعكاسات على جميع المجتمع، ومن خلال دراسة العلاج لهذه الجريمة يتبين الأسلوب الأمثل والأصح في ضبط الانحراف، ومنع وقوعه لأنه لا بد من تبيين أن العلاج الأمثل يكون بوضع ضبطٍ يمنع حدوث الانحراف في المجتمع ككل وليس عند هؤلاء الأفراد الذين وقعوا في هذا الانحراف.

المطلب الرابع: الجريمة في المفهوم الاجتماعي وعلاجها:

لم تعتبر الجريمة بالمفهوم الاجتماعي خطأ الفرد بل هي خطأ المجتمع ويجب أن يكون

الإصلاح شاملاً للمجتمع ومع ذلك أسند إلى القانون تقرير العقوبة المناسبة هذه الانحرافات، وبقي الرأي الاجتماعي مجرد مفهوم مثالي، حيث يختلف علماء الاجتماع في وجهة الإصلاح الموجهة للمجتمع.

جريمة الزنا:

باعتبار أن الزنا انحراف عن التعاليم الاجتماعية فيمكن اعتباره جريمة لأنه يمس المجتمع ككل، ولكن كيف يعالج هذا الانحراف ..؟

١- في المفهوم الاجتماعي: الزنا فعل منافي لقيم وعادات المجتمع لأن إرواء الغريزة الجنسية لا يتم إلا عن طريق العلاقة التي يقرها المجتمع وهي الزواج، ولذلك تعتبر كل علاقة خارج هذا الإطار، انحرافاً اجتماعياً.

كيفية معالجة هذا الانحراف:

على المجتمع أن يُيسر لأفراده تلبية الدوافع والرغبات الأساسية للسلوك البشري، وتأمين هذه الحاجات الأساسية، ومنها الحاجات الحياتية التي تتضمن تأمين الحياة الجنسية وتيسيرها عن طريق الزواج وتهيئة ما يحتاج الفرد من مؤنة خاصة بالزواج ليتمكن من ذلك.

وفي حال وقع الزنا؛ يُسند إلى القانون الذي يحكم المجتمع فرض العقوبة على الزناة.

وفي بعض المجتمعات لم يعتبر القانون فيها أن الزنا جرماً بحق الأفراد والمجتمع لكونه نوعاً من ممارسة الحرية -بغض النظر عن آثاره المنعكسة على المجتمع- وهذا سبب انتشار الفاحشة والانحلال الأخلاقي.

ويعتبر الزنا جرماً إذا وجد المدعي الذي قد مُست حقوقه في المجتمع، كأن تكون حادثة اغتصاب، أو ادعاء الزوج ضد الزوجة أو العكس.

أما إذا لم يوجد مُدعي فلا يعتبر هذا الفعل جرماً، بل يبقى ضمن إطار ممارسة الحريات في المجتمع.

لذلك لا يعتبر الزنا انحرافاً وجرماً إلا في المجتمعات المحافظة، والتي تعتبر هذا الفعل جرماً كبيراً يمس بأمن المجتمع وأخلاقه، سواء وجد المدعي أو لم يوجد فالعقوبة قائمة على هذا الفعل الجرمي.

وفي بعض المجتمعات المحافظة التي فرضت عقوبة على جريمة الزنا اشترطت وجود المدعي الذي قد مس شرفه سواء زوج أو أب أو أخ ... .

وهذا يعني أنه لو أراد إسقاط الدعوى كان له ذلك وإن تم الفعل بإرادته ورضاه لا يعتبر جرماً.

وفي حال أوقع القانون الوضعي عقوبة لجرم الزنا فإن مدته تكون من ثلاثة أشهر إلىسنتين، وهذا بحق الزاني والزانية بعد الادعاء. أما إن كان أحد الزناة أو كلاهما غير متزوج فمدة الحبس تكون من ثلاثة أشهر إلى سنة.

لا يخفى هذا الرأي السلبي للقانون بالنسبة لجريمة الزنا، وتجاهله للمجتمع لأن جرم الزنا يمس بالمجتمع ويؤثر بقيمه وعاداته وتقاليده، وذلك قد يؤدي إلى انحراف اجتماعي وتغيير اجتماعي سلبي يقود المجتمع إلى الهاوية.

وجعل العقوبة معلقة بالادعاء والحق الشخصي (وكأنها حق للعبد) مع العلم أنها حق لله عز وجل، فهذا فيه مخالفة شديدة لأوامر الله عز وجل الذي أمر بإقامة الحدود، والمعاقبة على الجناية لأنها عظيمة تؤثر بالفرد والمجتمع.

وعلى فرض وجد المدعي وطبقت العقوبة (وهي الحبس) هل تعتبر هذه العقوبة رادعة عن الزنا بالنسبة لمن طبقت العقوبة بحقهم، وهل شكلت العقوبة رادعاً للمجتمع عن الإقدام على هذا الجرم؟.

والجواب واضح وصريح: لم تستطع هذه العقوبة الحد من انتشار الفاحشة والزنا، بل أدى التساهل في العقوبة وجعل هذا الفعل من غير ادعاء لا أثر له كجناية، دافعاً لانتشار الزنا والإباحية والانحلال الأخلاقي بدعوى ممارسة الحرية مما أوقع المجتمعات في شرك الزنا، وانتشرت دور الدعارة والنوادي الخاصة بذلك مما جعل هذا الأمر يستفحل، ولا يمكن السيطرة عليه، و لم تعد تنفع توجيهات الاجتماعيين ورجال الدين وأقوال الأطباء في ردع المجتمع عن هذا الفعل.

وبدأت الآثار تظهر على هذه المجتمعات:

١- التفلت الاجتماعي حيث لم يعد الأفراد يخضعون لتقاليد المجتمع وعاداته وقيمه معتقدة.

٢- انتشار أمراض جنسية تنتقل عبر العلاقة الجنسية غير الشرعية بين الممارسين هذا الفعل فانتشرت أمراض خطيرة كالإيدز والسلفس والالتهابات التناسلية الحادة...الخ، التي عجز الطب عن إيجاد الأدوية لها حتى هذا الوقت ومع انعدام الأمل في إيجاد الدواء الشافي في المستقبل.

وهذه نتيجة طبيعية لمن يخالف أوامر الله عز وجل، ويستبدل الحلال بالحرام.

«لقد أكد الأطباء أن جميع المصابين بالإيدز وبعض الأمراض الجنسية التي عجزوا عن تفسير حدوثها، أن هؤلاء معرضون للموت خلال ثلاث سنوات من اكتشاف المرض، وإن جميع الأدوية التي يسعى الأطباء لإيجادها لم تعط أي نتيجة أو أي أمل للمصابين...»[١].

وهذا العجز سيبقى مستمراً وسيكون هلاك المجتمع نتيجة للبعد عن تعاليم الله عز وجل الذي حرم السفاح وأباح الزواج، والموت هو مصير هذا المجتمع وأفراده إذا تفشت فيهم هذه الرذيلة، وهذا مصداقاً لحديث سيدنا محمد ﷺ حيث قال: «**وما شاعت الفاحشة في قوم قط إلا كثر فيهم الموت**»[٢].

هذه حقيقة ذكرها النبي ﷺ -الذي لا ينطق عن الهوى- منذ أربعة عشر قرناً أن الموت سيحل بالمجتمع الذي ستشيع فيه الفاحشة.

وهذا ما يحدث بالمجتمعات التي تمارس الزنا. فالإصابة بالإيدز تعرضهم للموت خلال ثلاث سنوات.

ولقد أظهرت الإحصائيات العالمية حول مرض الإيدز أن أول حالة إصابة في العالم كانت عام ١٩٨١م حيث اكتشفت أول حالة إصابة بالإيدز في مجموعة تمارس الرذيلة والفاحشة.

وفي عام ١٩٨٩م وصل عدد حالات الإصابة بالإيدز إلى (١٣٧٨٥٦) فاق العدد مئة وأربعون ألف إصابة.

---

(١) الإيدز، د. جنسن بندبورغ: ٣٦-٣٧.

(٢) الموطأ، للإمام مالك، باب الزنا، رقم ٢٦-٢/٤٦٠.

وفي عام ٢٠٠٠م وصل عدد حالات الإصابة إلى أكثر من مئة مليون[١] إصابة مع العلم أن هناك أعداد كثيرة قد ماتت خلال هذه الإحصائية لأن من اكتشف مرضه خلال ثلاث سنوات يواجه الموت. و لم تحد الضوابط الاجتماعية والقانونية من تفشي هذا المرض فكل التوجيهات والتحذيرات لم تستطع السيطرة على انتشار هذا المرض وما يماثله من الأمراض الجنسية.

من هنا يبرز أن الحل الاجتماعي المدعم بالقانون لم يعط النتائج المرجوة.

فالتوجيهات الاجتماعية والطبية باءت بالفشل، وكذلك العقوبة القانونية كانت حافزاً على الجريمة بدلاً من الحد منها.

فالحبس للزناة لم يكن رادعاً لهم و لم يؤدِّ ذلك لهجر الفاحشة بل كانت ضرباً من إشاعة الفاحشة والفساد داخل السجون، مما زاد في عددهم بدلاً من إنقاصه و لم يجد المجتمع في هذه العقوبة رادعاً للأفراد وهجراً للزنا.

ويتبين ذلك من خلال هذه العقوبة التي أدت إلى زيادة الجناية بدلاً من الحد منها.

المطلب الخامس: علاج جريمة الزنا في المجتمع بالتشريع الإسلامي:

العلاج في الإسلام:

اعتبر الدين الإسلامي أن الزواج هو الطريق الوحيد لإرواء الغريزة الجنسية التي أودعها الله عز وجل في الإنسان، ولا تجوز أي علاقة خارج إطار الزوجية لأن القاعدة الأصولية تقول: «أن الأصل في الإبضاع التحريم» والنكاح أي الزواج المشروع هو الذي يستثنى من ذلك.

والذي يليق بكرامة الإنسان وتكريم الله له أن جعل الزواج له مشروعاً فهو يرتفع بالإنسان من مستوى البهيمية إلى مستوى الإنسانية المكرمة.

ولا يخفى أثر الزواج في المجتمع لما فيه من حفظ الأنساب، والمودة والرحمة القائمة على العلاقة بين الزوجين وأفراد الأسرة جميعاً وذلك ينعكس على المجتمع.

---

(١) مجلة العلوم الحديثة، العدد ١١، ١٩٩٧، ص٢٠-٤٥.

أما الزنا فآثاره السيئة كثيرة لا تخص الزناة فقط بل تؤثر على المجتمع ككل.
فيؤدي الزنا إلى انتشار الفاحشة والانحلال الأخلاقي وضياع الأنساب وتفشي جريمة وتفكك الأسر وفقد الروابط العائلة والاجتماعية القائمة بين أفراد المجتمع...

والإسلام منع مقدمات الزنا وحرّمها لذاتها ولكونها وسيلة لفاحشة الزنا.

١- حرم النظر إلى العورة وإلى الأجنبية فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٢٤/٣٠]، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: ٢٤/٣١].

فالنظر يؤدي إلى تأجج الشهوة عند الإنسان، ولذلك اعتبرت النظرة إلى الحرام سهم من سهام إبليس.

٢- حرم الخلوة بالأجنبية لأن في ذلك خطورة توصل إلى الزنا، قال رسول الله ﷺ: **«لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم»**[1].

٣- دعا الإسلام إلى الزواج فقال رسول الله ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**[2].

ويتبين من الحديث الشريف أن الزواج هو الدواء الذي يحقق التحصين للإنسان ويدفع عنه شر الزنا وغوائله، وفي حال عجز الإنسان عن مؤونة الزواج فعليه بالصيام لأن فيه كسرٌ للشهوة. وعليه بالصبر والتحمل حتى يقي نفسه شر هذه الفاحشة.

إن الإسلام دين عظيم يعالج الحوادث قبل وقوعها وتحولها إلى مشاكل لاتُحمد عقباها.

وأما في حال وقع الزنا فما هي العقوبة التي قررها الإسلام بحق الزناة؟

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته، ٣٠٠٦. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم، ١٣٤١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة رقم ٤٧٧٩. صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، رقم ١٤٠.

ففي ذلك تفصيل:

إذا كان الزاني غير محصن - أي غير متزوج - فعقوبته الجلد، قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢٤/٢].

وقرر جمهور الفقهاء بضم عقوبة التغريب عاماً بالنسبة للرجل الزاني وبالسجن للمرأة الزانية مدة سنة في بيتها، وذلك استدلالاً بحديث سيدنا محمد ﷺ: «**خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام...**»[1].

وفي ذلك حكمة عظيمة لأن في تغريب الزاني وإبعاده عن مجتمعه، فرصة لكي ينسى المجتمع فعله فلا يكون موضعاً للاستهزاء والازدراء، وكذلك يعلم الزاني في هذه السنة سوء فعله وما سببه له من تغريب مما يدفعه للابتعاد عن هذه الفاحشة.

ولا يقام حد الزنا إلا بشهادة أربعة عدول من المسلمين، ووصفهم للفعل وصفاً واحداً دقيقاً، أو بإقرار الزاني بزناه.

وتنفذ هذه العقوبة في ساحة عامة لكي يشاهد الناس ذلك، لأن القصد من العقوبة الزجر وبمشاهدة هذه العقوبة القاسية ينزجر المجتمع بأكمله قال تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢٤/٢].

أما عقوبة الزاني المحصن وهو المتزوج أو الذي سبق له الزواج على أن يكون متمتعاً بكامل الأهلية فهي الرجم، وهي عقوبة أشد من عقوبة الزاني غير المحصن لأن فعله أشد جرماً وحرمةً، فقد يسر الله له طريقاً حلالاً ولكنه استبدله بمحرم وبدلاً من أن يجازي النعمة وهي الزواج بالشكر واجهها بالنكران بممارسة الفاحشة، فكان عقابه أشد ويكفي ما طالعنا به هذا العصر من انتشار الأمراض الجنسية القاتلة والناشئة عن الاتصالات الجنسية المحرمة المتكررة التي تولد هذه الأمراض، لذلك كان الرجم علاجاً لإنقاذ المجتمع من انتشار الأمراض القاتلة والمؤدية إلى انهياره.

قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني**

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب حد الزنا رقم ١٦٩٠.

النفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة»[1].

إضافة إلى أحاديث كثيرة تدل على عقوبة الرجم بحق الزاني المحصن "حدثة العسيف" قصة ماعز والغامدية.

- والسؤال هو: هل كانت هذه العقوبة رادعة للزنا «أي لهذا الانحراف الاجتماعي؟» أم أنها كانت كعقوبة القانون الوضعي حيث أثرت العقوبة سلباً وأدت لانتشار الزنا بدلاً من كبحه وذلك بسبب جعل العقوبة متوقفة على ادعاء الإنسان إن شاء أقامها وإن شاء منعها.

وتتبين نجاعة العقوبة من خلال أثرها في المجتمع، وإيقافها للجرم المرتكب. ومن يتتبع عصر سيدنا محمد ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين يجد أن جريمة الزنا كُبحت لأن الحدود التي أمر الله بإقامتها أُقيمت وأُطيع أمر الله عز وجل.

فالمجتمع كان ملتزماً بالإسلام قولاً وعملاً مطبقاً للحدود ويظهر ذلك من خلال الدراسة الإحصائية لعدد العقوبات التي أُقيمت على جريمة الزنا «وذلك في عصر النبي ﷺ وخلفائه الراشدين».

- عقوبة الجلد في عصر النبوة[2]:

أقيمت العقوبة ثلاث مرات فقط مع العلم أن المكان الذي أُقيمت فيه العقوبة، لم يتكرر فيه إقامة الحد مرة أخرى.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى: (إن النفس بالنفس)، ٦٤٨٤. صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، ١٦٧٦/٢٥.

(٢) - حديث العسيف: وهو حديث مشهور حيث زنا خادم بامرأة متزوجة وسأل أبوه النبي ﷺ عن العقوبة التي تجب على ابنه فقال النبي ﷺ: «**وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام**».

- أرسل النبي ﷺ إلى خادمة قد زنت من يجلدها بعد أن برأت من النفاس.

- حادثة المقعد: حديث سهل بن سعد أن وليدة بعهد النبي ﷺ قد حبلت فسئلت من أحبلك فقالت: المقعد، فضربه بمائة عثكول.

- وقد يتكرر الحديث عدة مرات في كتب الحديث كحادثة العسيف، ولكن ذلك يدل على قوة الحديث وعلى عقوبة واحدة فقط.

- عقوبة الرجم في عهد رسول الله ﷺ[1]:

أُقيمت عقوبة الرجم ثلاث مرات مع العلم أنها كعقوبة الجلد اختلف مكان إقامة الحد و لم يتكرر في مكان واحد إقامة حدين، وهذا دليل على تحقق الزجر وهو الغاية المقصودة من العقوبة.

إذاً خلال عصر النبوة وإلى أن التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى لم تقم عقوبة الجلد سوى ثلاث مرات وكذلك الرجم أي عدد العقوبة «ست عقوبات= ست جنايات».

ثانياً: عصر الخلفاء الراشدين:

- عقوبة الجلد[2]:

أُقيمت عقوبة الجلد أربع مرات في عصر الخلفاء الراشدين، وشبه انعدام هذا النوع من الجرم يرجع إلى تمكن الإيمان في قلوب المؤمنين وتمثل المجتمع لتعاليم الإسلام.

- عقوبة الرجم[3]:

أُقيمت عقوبة الرجم مرتان فقط- ولا يخفى أن هذه الإحصائية التي بينت عدد

---

(١) - حادثة ماعز والغامدية: وهي قصة مشهورة ذُكرت كثيراً في كتب الحديث من طرق صحيحة.
- حادثة المرأة الجهينية التي زنت فأمر النبي ﷺ أن تُشد عليها ثيابها ثم ترجم، ويجب الإشارة إلى أن الجهينية هي نفسها الغامدية لأن غامداً بطن من جهينة.
- ثبت أن النبي ﷺ جلد رجلاً ثم تبين أنه أحصن فرجمه.
- حديث خالد بن اللجاج أن امرأة أتت ومعها طفل إلى النبي ﷺ، فسأل من أبوه، فقال: شاب أنا أبوه أحصنت فرجمه.

(٢) - رجل اشتكا إلى أبو بكر الصديق ﷺ بأنه استضاف رجلاً فوقع على ابنته. فقضى سيدنا عمر ﷺ بالجلد والتغريب.
- أُتي أبو بكر الصديق برجل وقع على جارية لم يكن قد أُحصن فجلده.
- قضى سيدنا علي ﷺ برجل تزوج امرأة زنا بها قبل أن يتزوجها، بجلدة والتفريق بينهما.
- قضى سيدنا علي ﷺ يوم صفين في رجل زنا و لم يحصن بالجلد.

(٣) قضى سيدنا عمر ﷺ في رجل ادعى على امرأته أنها زنت فقال أبو واقد دعاني عمر ﷺ عاشر عشرة فسألناها فاعترفت فرجمت.
- رجم سيدنا علي ﷺ سراحة يوم الجمعة بعد أن جلدها الخمسين.
- ويجب الإشارة إلى أنه ورد أن سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما أنهما رجما، ولكن استناداً للمراجع السبعة في كتب الحديث إضافة لسنن البيهقي وموطأ الإمام مالك لم يرد سوى هذه الحوادث.

المرات التي أُقيمت فيها عقوبة الزنا كانت دليلاً على نجاعة هذه العقوبة حتى زالت هذا الانحراف نهائياً-.

والتساؤل الذي يرد إلى الأذهان هل من المعقول أن مجتمعاً استطاع منع جرم يمس به وبأفراده ولا تقام العقوبة في مدة أثنتي وخمسين عاماً إلا خمس مرات بحق المحصنين وسبع مرات بحق الأبكار، أي أثنتا عشرة عقوبة فقط في مجتمع كامل من دون أن تخصص سجونٌ أو يكلف شرطة في متابعة هذه الجناية، أو وضع محاكم تختص بذلك ولا يخفى ما يكلف خزينة المجتمع من دفع رواتب وأجور كثيرة لضبط هذه الأمور، أما في الإسلام فلم يكن هناك سجونٌ بل كان الجاني نفسه يأتي ويعترف بجرمه ويطلب إقامة الحد عليه، وذلك دليلٌ على الإيمان القوي الذي تشربته قلوب أفراد المجتمع.

ولا وجه للمقارنة بين المجتمع الإسلامي الملتزم بتعاليم الإسلام مع أي مجتمع وضعي قد قيد نفسه بقوانين لم تعط الدواء النافع للمجتمع، بل أدى إلى فعل عكسي ومع تطبيق العقوبات القانونية فالانحراف الاجتماعي يزداد حتى الأفراد الذين طبقت عليهم العقوبة رجعوا لارتكاب نفس الجرم، لأنه لم يكن هناك رادعاً قوياً، ولا تنمية للوازع الديني الذي يهذب سلوك الأفراد ويعمق صلتهم بالله عز وجل.

ولا نستطيع التوصل لإحصائية في المجتمعات المتحررة بالنسبة لجناية الزنا لأن هذه المجتمعات اعتبرتها ممارسة للحرية، ولذلك انتشر الزنا وتضاعفت حالات الإصابة بالإيدز والأمراض الجنسية حتى وصلت في عام ٢٠٠٠ إلى أكثر من مئة مليون إصابة وإن كان هذا العدد لايدل على ارتكاب الزنا ولكن بلا شك أن ارتكاب الزنا في هذه المجتمعات يفوق هذا العدد بكثير.

ما الغاية من عقوبة الجلد والرجم للزناة؟

١- إقامة الحد الذي أمر الله المؤمنين بإقامته وذلك حفاظاً على سلامة المجتمع والأفراد. قال رسول الله ﷺ: «**حد يعمل في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً**»[1].

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب إقامة الحد، ١٧/٢٥٣٨. سنن النسائي، كتاب الحدود، باب إقامة الحد، ٤٩٠٤.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٤/٥٩].

٢- الزجر للعامة وردعهم عن هذا الفعل المنحرف الذي يبغضه الله عز وجل لذلك كانت هذه العقوبة القاسية مناسبة لتحقيق الزجر.

ولا يُصغى لادعاءات بعض المستشرقين والمارقين الذين يدَّعون أن الإسلام قاسٍ ويفرض عقوبات منافية لكرامة الإنسان.

ويكفي رداً على هذه الادعاءات بأن العجز عن إيجاد عقوبة رادعة للزناة في جميع المجتمعات، دليلٌ على أن العقوبة التي جعلها الله عز وجل لهذا الجرم هي العقوبة المناسبة، وإن شدة العقوبة تحقق الزجر للناس وتمنعهم من ارتكاب الزنا حيث يدرك الجميع أن مصير من يفعل هذا الفعل الخروج على رؤوس الأشهاد وتلقيه عقوبة أمام الناس جميعاً فيزجره ذلك ويزجر الآخرين.

ولا يعتبر الرجم عقوبةً منافيةً لكرامة الإنسان بالمقارنة مع العقوبات التي وجدت في هذا العصر من شنق وصعقٍ كهربائي أو قتل بالرصاص فهذه العقوبة مماثلة لغيرها من حيث النتيجة وهي الموت ولكنها تفوق غيرها بأنها تحقق الزجر.

وأما الجلد: فيتم بسوط لا قاسٍ ولا لين ولا يخرق جلداً.

والجلد في ساحة عامة من أجل تحقيق الزجر، وكانت هذه العقوبة (أي: عقوبة الجلد) سائدة إلا أنها ألغيت عام ١٩٣٧م، ولا يزال رجال القانون يدعون لإعادتها لأنها تحقق الزجر أكثر من عقوبة الحبس علماً أن عقوبة الجلد لا تزال سارية في بعض القوانين العسكرية[(١)]. لذلك لا تعتبر عقوبة الجلد قاسية لأن غايتها الزجر.

والحدود التي شرعها الله لو طبقت في المجتمعات لأدت إلى تحقيق الغاية ومنع الجرائم وضمان سلامة المجتمع من أي انحراف اجتماعي.

(حد الزنا - حد القذف ثمانون جلدة - حد السرقة القطع - حد الحرابة قتل

---

(١) التشريع الجنائي، عودة: ٤٥-٥٠.

أو قطع أو نفي - حد الخمر الجلد ثمانون جلدة - حد الردة القتل...) وذلك حسب نوع الحد المناسب للجرم المرتكب.

وفي المجتمعات الإسلامية التي طبقت أحكام الشريعة الإسلامية انعدمت الجرائم فيها. فقطع يد سارق جعلت مجتمعاً بأكمله لا يقدم فيه أي فرد على السرقة، وتطبيق هذه الأحكام الشرعية في بعض الدول العربية كالسعودية وليبيا والسودان وباكستان، أثبتت انعدام الجريمة حتى إنه في المملكة العربية السعودية لم يقطع خلال عشر سنوات سوى ثلاثة سُراق، وما عاشه العالم مع تطبيق الأحكام الإسلامية في الإقليم الشمالي من نيجيريا لدليلٌ على نجاعة هذه الأحكام فمجرد إقامة حد ردع جميع المجتمع عن هذا الذنب.

أما في المجتمعات المعاصرة ولا سيما في الدول المتقدمة تشير الإحصائيات إلى ارتفاع معدلات الجريمة، وتعدد صورها بين الأحداث والراشدين، من سرقة وسطو وقتل واغتصاب وانتشار الاتجار بالمخدرات وتعاطيها وهذا الانحراف يبدأ بالأحداث ويكثر في صفوفهم أكثر من الراشدين ولعله صار سمة هذه المجتمعات كما هو الحال في الولايات المتحدة وأوربا وعزى العلماء حدوث ذلك إلى وجود اغتراب اجتماعي نفسي، وفقدان المعايير والأخلاق[1].

إن الحلول الاجتماعية التي تجسدت بالقوانين الوضعية لم تعط حلولاً للانحرافات الاجتماعية، ومكمن الحل بل والحل الوحيد هو تنشئة أفراد المجتمع على الدين الصحيح الذي يكبح هذه الآفات ويطهر المجتمع منها، وتبين من خلال الدراسة السابقة القائمة على الاستقراء والإحصاء العلمي أن الإسلام هذا الدين السماوي كان هو الحل لمنع الجريمة بكل صنوفها، لأنه يقوم على تربية الإنسان تربيةً إيمانية تقوي الوازع الديني فيه وتدمج الأفراد بعضهم ببعض كأنهم جسدٌ واحد، إضافة لتعميق الشعور وتوجيهه لمحبة الله عز وجل الذي خلق البشر ووضع لهم هذا المنهج وهو الإسلام من أجل سعادتهم في الدنيا والآخرة.

(المجتمع - القانون - الدين) (القانون - الدين) = قانون ديني.

(المجتمع - قانون ديني - الدين) مجتمع متدين مجتمع ملتزم يأمن الانحراف.

---

(١) الانحراف الاجتماعي، شتا: ١٣٦.

الفصل الثالث

ويتكون هذا الفصل من مبحثين عن: الشذوذ الاجتماعي وأثر التربية في المجتمع.

المبحث الأول: الشذوذ الاجتماعي.

مفهوم الشذوذ الاجتماعي - أمثلة.

أثر الشذوذ الاجتماعي على المجتمع.

نظرة الإسلام للشذوذ الاجتماعي ومعالجته.

دراسة للحرابة والردة.

الحرابة - تعريفها - عقوبتها - أسباب شدة العقوبة.

الردة - تعريفها - أسبابها - عقوبتها والأدلة على ذلك.

المبحث الثاني: أثر التربية في المجتمع

تعريف التربية عند علماء الاجتماع.

مفهوم التربية في الإسلام.

التربية الأسرية - التربية في المجتمع.

تعميق التربية: ١- بالعلم، ٢- بالعبادات، ٣- الآداب.

والأخلاق المأمورين بها، والكف عن الأخلاق المنهي عنها.

دراسة لبعض الآداب: أدب الحديث والمجلس - أدب السلام - أدب الزيارة - أدب إكرام الضيف - أدب الجدال والحوار.

- الأخلاق: الصدق - الأمانة...

الأخلاق المنهي عنها: الحسد - الغيبة - التجسس...

تعميم السلوك والآداب عن طريق العلم والتعليم.

دور المسجد في تعميق التربية الإسلامية في المجتمعات.

- بناء المجتمع الإسلامي.

المبحث الأول

الشذوذ الاجتماعي

المطلب الأول: مفهوم الشذوذ الاجتماعي:

قد يزداد الانحراف الاجتماعي في المجتمع وزيادة هذا الانحراف تؤدي إلى الشذوذ الاجتماعي، حيث يصبح سلوك الأفراد مناقضاً للمعايير والقيم الاجتماعية حتى إذا ماحصل الشذوذ في المجتمع قَلَّت فرص المعالجة والإصلاح، لأن الشذوذ لا يوجد له طريق مقبول مماثل يمكن الاستعاضة به عنه، فمثلاً اللواطة فعل محرم وشواذ جنسي لا يمكن أن نجد له حلاً أو علاجاً ندفع به هذا الفعل الشنيع.

ولتقريب معنى الشذوذ الاجتماعي أضرب بعض الأمثلة التي تبين الفرق بين الفعل الصحيح والمنحرف والشاذ.

المثال الأول: الزواج فعل اجتماعي وطبيعي وموافق للدين.

- الزنا فعل شهواني غير اجتماعي ولكنه طبيعي وغير موافق للدين. "انحراف اجتماعي".

- اللواطة فعل شذوذي غير اجتماعي وغير طبيعي، وغير موافق للدين. "شذوذ اجتماعي".

لذلك يعتبر هذا الفعل الشاذ من الأفعال المخالفة لطبيعة الإنسان، وفيه إثم كبير، واللواطة تعتبر أشد الأفعال حرمة وإن عرش الرحمن ليهتز من هذا الفعل.

المثال الثاني:

- كسب المال بطريق الحلال فعل اجتماعي، وطبيعي وموافق للدين.

- اختلاس المال والسرقة فعل غير اجتماعي وطبيعي من حيث اندفاع الإنسان لجمع المال لإرواء حاجاته ولكنه غير موافق للدين. "انحراف اجتماعي".

- القتل لأجل المال فعل غير اجتماعي وغير طبيعي وغير موافق للدين، ويعتبر هذا القتل جناية عظيمة وكما سماه الإمام مالك (قتل الغيلة) وهذا النوع من القتل لا يصح فيه العفو ولا الصلح، ويعتبر هذا الفعل (القتل لأجل المال) شذوذاً. "شذوذ اجتماعي".

المطلب الثاني: أثر الشذوذ الاجتماعي على المجتمع:

- إن انتشار الشذوذ في المجتمعات دليل على انعدام المعايير الدينية والأخلاقية، وإن التقدم العلمي والتقني لم يستطع الرقي بأخلاق المجتمعات بل سادت الفاحشة كاللواطة والسحاق والقتل لأجل المال وقتل الأبرياء واستغلال الضعفاء والأطفال... الخ وهذه نتيجة طبيعية تصيب المجتمع عندما يتخلى عن التعاليم الدينية.

ويسبب الشذوذ في المجتمع انهياره الحتمي.

- لقد نظر علماء الاجتماع إلى الشذوذ على أنه ناتج عن أمراضٍ نفسية ودوافع ورغبات لا يؤيدها المجتمع، أو ناتجة عن انحرافات تحولت إلى شذوذ ولا يوجد علاجٌ لذلك، لأنه مرض محمول على النفس البشرية وليس الجسد، أما القانون فقد وضع عقوبات أشد من العقوبات المترتبة على الانحراف الاجتماعي.

المطلب الثالث: نظرة الإسلام للشذوذ الاجتماعي ومعالجته لذلك الشذوذ (الحرابة – الردة):

والإسلام نظر للشذوذ على أنه جرم مضاعف وفيه مخالفة شديدة لأوامر الله عز وجل، وضربٌ من التحدي والعناد والمجاهرة بالإثم لذلك كانت العقوبات شديدة.

فاللواطة عقوبتها القتل وقال النبي ﷺ: **«من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»**[1].

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب من عَمِل عَمَلَ قوم لوط، ٢٥٦١.

والحرابة تُعَدُّ من الأفعال الشاذة لأنه يقصد بها أخذ المال على وجه يتعذر معه الاستعانة، وهذا يؤثر على سلامة أفراد المجتمع...

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [المائدة: ٥/٣٣].

فيتبين أن هذا الفعل أشد من السرقة لأن فيه تهديداً لأمن الناس وإشاعة الخوف في صفوف المجتمع، لذلك كانت العقوبة شديدة وتراوحت العقوبة بين القتل أو القطع من خلاف أي قطع يده اليمنى ورجله اليسرى أو العكس، أو الصلب على خشبة وذلك بعد قتله تشهيراً به لعظم ذنبه وزجراً للناس، أو النفي وهو الحبس في سجنٍ حتى تظهر توبة هؤلاء المحاربين وقد يُجمع بين عقوبتين أو تخصص عقوبة واحدة حسب الجرم وقد بُيِّن ذلك في كتب الفقه الإسلامي.

والشذوذ عندما يحدث داخل المجتمع فإنه يؤثر فيه ويمس بأمنه. ويعتبر هذا الشذوذ شديد الخطر على المجتمع ويجرد الشاذين من انتمائهم لمجتمعهم.

- من أمثلة الشذوذ المؤثر في المجتمع الإسلامي "الردة".

ففي جميع المجتمعات اعتبرت الخيانة التي تمس بكيان المجتمع، أخس الجرائم حيث يحاول الخائن النيل من وحدة المجتمع وأمنه ويعمل على تهديمه.

وتتمثل الخيانة بأشكال مختلفة كإثارة الفتن في المجتمع أو التجسس لصالح العدو، ونقل المعلومات إلى العدو التي تنال من أمن المجتمع... ولما لهذا من آثار تهديمية كانت عقوبته في جميع القوانين الوضعية هي الإعدام.

ولقد عَدَّ الإسلام الارتداد عن الدين الإسلامي خيانة عظمى، لأنه خروج عن الجماعة وتعريض بالدين، لذلك تعتبر الردة أشد الجرائم لأنها مماثلة لما يسمى في القوانين الوضعية (الخيانة العظمى).

والمجتمع الإسلامي مجتمع متسامح يعيش جميع أفراده (من مسلمين وذميين ومن

يعيشهم من مستأمنين) في جو من الحرية والكرامة سواء الدينية أو الاجتماعية على ألا يمس ذلك أمن المجتمع الإسلامي والدين الإسلامي.

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٦].

فلا يكره أحدٌ في المجتمع الإسلامي على الدخول في الإسلام، بل له كامل الحرية في الاعتقاد ولكن المسلم الذي اعتنق الإسلام عن قناعة ودراية ثم انخرط في هذا المجتمع الإسلامي كفردٍ منه، فليس له الخروج من الإسلام إلى أي دينٍ آخر، لأن هذا الخروج من دين الإسلام يعتبر شذوذاً فالغاية منه واضحة، وهي النيل من وحدة الدين الإسلامي وخيانة للمسلمين والقصد من هذا الخروج هو التخريب والتشكيك في الدين والنيل من وحدته، واستخفاف بهذا النظام العام للمجتمع وكل مجتمع يحق له أن يحافظ على نظامه وينزل أشد العقوبات في كل من يتلاعب به، وتنفيذ الحد على المرتد لا يتنافى مع حرية الفرد في الاعتقاد.

ويجب ألا نخلط بين المرتد ومعاملته وبين الذمي والمستأمن.

فالمرتد من المسلمين لا يجوز معاملته أبداً ولا يُسلَّم عليه ولا يُنكح ولايعامل ببيع ولا شراء ولا يُكلم وكأنه ليس موجوداً لأن جزاء جنايته القتل فهو بحكم الميت والميت لا يعامل، وتعتبر معاملته ذنب كبير وتحتاج إلى توبة وجميع المعاملات التي تتم مع المرتد لا أثر شرعي لها وهي باطلة.

أما الذميون من أصحاب الكتاب من نصارى ويهود فيجوز معاملتهم والتزوج منهم فهم أصحاب رسالات سماوية، ولكن لا يجوز تزويجهم من المسلمات لأن المسلم يؤتمن على دين غيره ويعترف بهذه الديانات وأنبيائها ويؤمن بهم، في حين قد لا يعترف الآخرون بنبوة سيدنا محمد ﷺ ولا يؤمنون به فلا يمكن أن يستأمنوا على النساء المسلمات. إضافة لكون المولود يتبع في الغالب أباه في الدين.

وأما الذميون من غير أصحاب الكتاب كالمجوس والسيخ ... من عاش في المجتمع المسلم فيجوز معاملتهم بالبيع والشراء ضمن الحدود الشرعية الإسلامية والتي يجيزها الإسلام ولكن لا يجوز التزويج ولا التزوج منهم.

تعريف الردة: هي الرجوع من الإسلام بعد الوقوف على دعائمه[1].

وهذا التعريف فيه من الدقة ما يكفي لتحديد أن المرتد هو الذي عرف الإسلام وأنه الحق المنزل من عند الله عز وجل، وبعد توصله لهذه الحقيقة يُعَدُّ خروجه من هذا الدين دليلاً على استبدال الحق بالباطل بدلاً من مقابلة النعمة (وهي الإسلام) بالشكر قابلها بالنكران والكفر، فكشف عن قصده وهدفه وهو النيل من هذا الدين والتشكيك فيه.

والردة تُعرف إما بقولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد أو شك في الدين، والاعتقاد والشك في الدين لا يتجليان إلا عن طريق القول والفعل لذلك نكتفي بذكر القول والفعل.

وأما القول: فهو كل ما يدل باللسان على الخروج من الإسلام سواء كان قاصداً أو مستهزءاً أو معانداً أو معتقداً، كمن يسب الله ورسوله والأنبياء، أو يبث أفكاراً تنكر وجود الله أو تنفي الرسل أو تحلل محرماً أو تحرم محللاً أو...

وأما الفعل: فهو منطوٍ على المشاهدة وإبراز هذا الفعل والمجاهرة به أو عن طريق شهادة المسلمين العدول أو إقرار المرتد بهذا الفعل كالسجود لصنمٍ أو إلقاء كتب مقدسة بالقاذورات أو فعل محرم والقول بأنه حلال أو الامتناع عن فعل واجب والقول بأنه حرام كنفي أن الصلاة ركوع وسجود أو كون صلاة الظهر أربع ركعات ويقول هي خمسة أو..[2].

ولا تعتبر الردة إلا من مكلفٍ عاقل بالغٍ محاسب على أعماله ولا عبرة لردة الصغير والمجنون. قال سيدنا علي ﷺ: «ألم تعلم أن القلم رفع عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ»[3].

ولاتتم الردة إلا بالاختيار والطواعية وأما الإكراه فلا يؤثر ولا يجعل المسلم مرتداً ولقد تعرض بعض الصحابة للتعذيب والإكراه على الكفر، وكان أحدهم إذا

---

(١) رد المحتار، ابن عابدين: ٤/٢٢١، روضة الطالبين، النووي: ١٠/٦٤، نهاية المحتاج، الرملي: ٧/٣٩٣، كشاف القناع، البهوتي: ٥/١٤٤، الشرح الكبير، الدردير: ٤/٣٠١، المغني، ابن قدامة: ١٣١-٨/١٣٧، القوانين الفقهية: ٣٥٦-٣٥٧.

(٢) نفس المراجع السابقة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإعلان والإكراه ٤٩٦٩، وروى الحديث من طرق عديدة موصولاً عن السيدة عائشة.

تنفظ بكفرٍ بسبب شدة التعذيب وأساليب الإكراه رجع إلى النبي ﷺ فأخبره النبي ﷺ بأن ذلك لا يؤثر على إيمانه، ثم يقول له إذا رجعوا لمثل هذا التعذيب فارجع إلى القول الذي يرفع عنك العذاب حتى يفرج الله عنكم ما أنتم فيه.

قال رسول الله ﷺ: «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»(١).

عقوبة المرتد: اتفق الفقهاء على وجوب قتل المرتد حداً لا كفارةً واستدلوا بعدة أدلة من القرآن والسنة والإجماع ...

ويستحب عند الفقهاء استتابة المرتد ثلاثة أيام أو مدة تزيد على ذلك طالما أنَّ هناك أملاً في الرجوع إلى الإسلام، وقد تصبح الاستتابة واجبة إذا دخل على المرتد شُبهةٌ حرفته عن دينه الصحيح.

لذلك يجب إزالة هذه الشبه وتبيين الحق ثم استتابته فإن لم يتب وأصر على الردة فتترتب عليه عقوبة القتل لأنه قد بان منه أنه يريد الإضلال والتآمر على الإسلام والمسلمين فهو خائن لمجتمعه ولأفراده أجمعين ونذكر بعض الأدلة على عقوبة المرتد:

١- القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥/٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [البقرة: ٢/٢١٧].

إن الإحباط الذي يلحق بالمرتدين هو الموت جزاء ما ارتكبوه من جريمة بشعة ولمقابلة الإحسان بالنكران(٢).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥/٥٤].

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب طلاب المكره والناسي: ١/٦٥٩.

(٢) أحكام القرآن، القرطبي: ٢/٤٤.

٢- ومن السنة:

قال رسول الله ﷺ: **«من بدل دينه فاقتلوه»**[1].

وقال رسول الله ﷺ: **«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى الثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**[2].

وهذه أحاديث صريحة تبين أن عقوبة من يرتد عن دينه هي القتل.

٣- الإجماع: نقل الإجماع عن الصحابة أجمعين بوجوب قتل المرتد[3].

٤- القياس[4]: يُعَدُّ جزاء القتل للقاتل مناسباً لمشروعية القصاص وكذلك يقاس المرتد على القاتل لأنه وصف مناسب للمشروعية. ويلاحظ أن كلا الجرمين القتل والردة ينالان من أمن أفراد المجتمع وسلامته وإقامة العقوبة عليهما فيه صيانة للمجتمع وردع لأفراده عن هذين الفعلين الشنيعين.

٥- درء المفسدة:

إن قتل المرتد واجب لما فيه من محو الكفر الذي هو أفسد الفساد، وإن كان قتل المرتد مفسدة في حقه ولكن المفسدة اكبر بالكفر فكان الواجب مراعاة دفع المفسدة الأكبر ومحو الكفر الذي هو أفسد الفساد وإبداله بالإيمان وهو أصلح الصلاح[5].

٦- الضرورة تقدر بقَدْرِها:

وعقوبة القتل موافقة لجرم الردة، وقد يتساءل البعض هل القتل مساوٍ لجريمة الردة؟ وهل يقاس المرتد على من أزهق روحاً؟ والجواب إن الله تعالى أنعم على الإنسان المسلم بنعمة الإسلام، فكان من واجب المسلم أن يشكر الله أعظم الشكر

---

(١) صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد واستتابته ٢٨٥٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى: إن النفس بالنفس، رقم ٦٤٨٤. صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم ١٦٧٦.

(٣) مراتب الإجماع، ابن حزم ١٢٧.

(٤) نهاية السول، الأسنوي: ٧٨-٤/٧٩.

(٥) قواعد الأحكام، العز: ٩٣-١/٩٦.

عى أعظم النعم وهي الإسلام ولكن المرتد قابل النعمة بدلاً من الشكر بالنكران والعصيان فكانت العقوبة مساوية لهذا الفعل الشنيع.

قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ ﴾ [الأحزاب: ٣٣/٣٠].

فالله عز وجل بعد أن أنعم على نساء النبي سيدنا محمد ﷺ بأن جعلهن زوجات لنبيه المصطفى، فكان لزاماً عليهن مقابلة هذه النعمة التي خصهن الله بها بأن يكن خير النساء، والمحاسبة تكون على قدر النعمة فجعل الله لهن ضعفين من العذاب إن أذنبن ذنباً لما اختصصن به من نعمة زائدة عن غيرهن من النساء[1]، وكذلك المسلم أكرمه الله بالإسلام وهي نعمة زائدة لذلك تستحق شكراً أكثر وإن إنكارها يستحق عقوبة اشد ﴿ لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٧]، ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [آل عمران: ٣/١٦٤]. وهي أعظم المنن.

٧- إن الإسلام له كيان ونظام وله الحق في الحفاظ عليه وعدم السماح لأحد أن ينال من وحدته وتماسكه وأمنه، وإن القوانين الوضعية نصت على معاقبة الخيانة العظمى التي تمس أمن الدولة والمجتمع بالإعدام، وكذلك الردة من حيث الأثر تماثل الخيانة العظمى، لأن قصد المرتد التهديم والتخريب للمجتمع الإسلامي.

«وعقوبة الإعدام هي أفضل وسيلة لاستئصال المجرمين الذين لا يُرجى إصلاحهم وهذه العقوبة توجد في جميع دول العالم لأن هذا الجرم وهو الخيانة اعتداء على أمن المجتمع والدولة وهو كفر برابطة الولاء التي تشد الفرد إلى مجتمعه لذلك يستحق أقصى عقوبة لأنه أكبر جرم»[2].

---

(١) قواعد الأحكام، العز: ٣٤-١/٣٥.

(٢) الموسوعة الجزائية، جندي: ٥/٤١، الموسوعة الجنائية، الزعبي: ٢/٣٠٧.

المبحث الثاني
أثر التربية في المجتمع

المطلب الأول: تعريف التربية ومفهومها عند علماء الاجتماع:

إن للتربية أثراً كبيراً في المجتمع فإن قيم وعادات وتقاليد المجتمع تتجسد من خلال التربية التي ينشأ عليها أفراد المجتمع، وهي ضرورة فردية واجتماعية.

ولقد اهتم علماء الاجتماع بالتربية في المجتمع وخصصوا فروعاً في علم الاجتماع العام تتحدث عن أثر التربية وأساليبها في المجتمع مثل علم الاجتماع التربوي وعلم اجتماع التربية.

والتربية هي عملية واعية مضبوطة تؤدي لإحداث تغيرات في سلوك الفرد وهي عملية مستمرة ضابطة لسلوك الفرد من الميلاد وحتى الممات.

لذلك هي عملية تضم الأفعال والتأثيرات التي تستهدف نمو الفرد في كل جهاته نمواً يسير به نحو كمال وظائفه من حيث التكيف مع ما يحيط به، وما يحتاج هذا التكيف من أنماط السلوك والقدرات المنسجمة مع المجتمع.

وتُعرف التربية بأنها «العمل الذي تحدثه الأجيال الراشدة في الأجيال التي لم تنضج بعد النضج اللازم للحياة الاجتماعية»[1].

لذلك فالتربية نابعة من قيم سائدة في المجتمعات وخبرات ينقلها الجيل الراشد إلى الأجيال الجديدة إضافة لما يضيفه الجيل الجديد من فهم خاص لطبيعة الحياة والتكيف معها، لذلك قد يرفض الجيل الجديد ما قُدِّمَ له، وقد يقبل ذلك مع الاحتفاظ بكيفية التطبيق والتعديل، فليس هناك منهجٌ تربويٌّ ثابتٌ لجميع الأجيال في المجتمع الواحد.

---

(١) علم اجتماع التربية، رشدان: ٢٧.

المطلب الثالث: مفهوم التربية الاجتماعية في الإسلام:

حرص الإسلام على التربية وتنمية المجتمع أخلاقياً وغرس القيم الدينية فيه وعمل على تنشئة أفراد المجتمع على الصلاح، ولذلك بدأ بتحديد مسؤولية التربية في المجتمع فبين أنها مسؤولية كل أفراد المجتمع قال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...**».

فلا يخلو فردٌ في المجتمع من المسؤولية في تعميم التربية داخل المجتمع.

آ - مسؤولية التربية في الأسرة:

إن الأبوين مسؤولان عن تربية الأبناء تربية صالحة، ويعتبر الآباء قدوةً لأبنائهم في الحياة الاجتماعية فيتعلمون منهم القيم والعادات الصالحة التي تجعلهم أفراداً صالحين في المجتمع، ويتعلمون واجباتهم نحو أقاربهم ومجتمعهم ودينهم مع التأكيد على التنشئة الإيمانية التي تعزز صلة الفرد بخالقه، وعندها يعلم الفرد أن علاقاته ومعاملاته الاجتماعية مستمدةٌ من تشريع سماوي لا يصح مخالفته.

ويأتي دور المجتمع في تعميق صلات أفراده مع بعضهم البعض، والتأكيد على سير المجتمع في جميع معاملاته وفق منهج الإسلام وماشرعه الله لعباده في كل أمور الحياة، لذلك المجتمع مسؤول عن تعميم التربية الإسلامية عن طريق مناهج التعليم ووسائل الإعلام والأسرة .. وغيرها على أن يكون هناك تنسيق من أجل إنتاج عملية تربوية واحدة.

والتربية في الإسلام تبدأ في نشر العلم واعتباره أساس قيام المجتمع. ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ٢٠/١١٤]، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٣٩/٩]، وأن «**العلماء ورثة الأنبياء**»[١].

لذلك على المسلم أن يكون عالماً أو متعلماً، لأن العلم والتربية متلازمان وضروريان للاجتماع.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم مثل القول والعمل، أورد البخاري في بداية الباب هذا القول: ١/٣٦.

ومن ميزات التربية الإسلامية أنها تربية مستمرة يعيشها الفرد في جميع أوقاته، فهو دائم الصلة بالتعاليم الإسلامية في عباداته ومعاملاته وأخلاقه ...الخ

فالفرد مرتبط بالعبادات التي هي الركن الأساسي في الإسلام والتي لا يصح الإسلام بدونها، وهذه العبادات لها غايات اجتماعية وتربوية إضافة لكونها فرض على كل مسلم وطريق للاستقامة والفوز برضوان الله تعالى.

الصلاة: وهي معراج المؤمن في كل يوم خمس مرات، فيبقى المؤمن على موعد مع الصلاة فما أن يؤديها حتى يستأنف الصلاة من جديد بعد توقيت محدد ولقد اعتبر الإسلام أن المؤمن مصل ما دام ينتظر الصلاة، وهذا يجعل المسلم في حصانة دائمة من الانحراف أو اتخاذ سلوك منافي للتعاليم الدينية والاجتماعية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٢٩/٤٥].

والأهداف الاجتماعية تتجلى في الصلاة من خلال توجه جميع المجتمع الإسلامي إلى قبلة واحدة، والالتقاء في صلاة الجماعة والوقوف بصف واحد كبنيان مرصوص، وصلاة الجمعة والأعياد والكسوف والخسوف... الخ كلها دليل على اجتماع المسلمين وتعارفهم وتآلفهم واجتماعهم على الخير من دون غايات شخصية بل الهدف هو طاعة الله عز وجل.

الزكاة: هي فريضة على كل مسلم غني يملك نصاباً زائداً عن حاجته، وعلى المسلم أن يؤدي ما فرض الله عليه للأصناف الثمانية التي ذكرتهم الأية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩/٦٠].

ففي الزكاة دليل على التكاتف الاجتماعي والتضامن بحيث يساعد الغني الفقير وأصحاب الحاجات ليكون المجتمع بأكمله مكتفياً وقوياً.

والزكاة تعطي معنى النماء كما أنها تطهر نفس الغني من الشح والبخل وتنمي أواصر المودة والترابط بين الغني والفقير، حيث تطهر نفس الفقير من الحسد والبغض والكراهية.

ملاحظة: إن جعل الزكاة فرضاً على الأغنياء، وتوجه القرآن الكريم بالأمر بإيتاء الزكاة قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٢/٤٣] لهو دليلٌ على أن المطلوب من المسلم أن يسعى لأن يكون غنياً، ليستطيع تقديم العون لمجتمعه، وذلك نوع من القوة التي يحبها الله في المؤمن بحيث يعمل المسلم على قدر طاقته لا على قدر حاجته، لأن في المجتمع العاجز والأعمى والضعيف وبالزكاة يتحقق التضامن والتكافل بين أفراد المجتمع، قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»(١).

وبهذا التلاحم والتعاطف يصبح المجتمع كالجسد الواحد كما قال عليه السلام: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٢).

الصوم: ينمي الإحساس عند المسلمين بإخوانهم المحتاجين مما يدفعهم للبذل والتراحم معهم، إضافة لما يحمله الصوم من معانٍ عظيمة كتطهير النفس وتعويدها على الصبر والتذكير بشكر النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، كما أن الصوم هو العبادة التي لا رياء فيها وتحقق معنى العبودية الخالصة لله عز وجل بحيث إذا سئل المسلم لما تصوم؟ الجواب: لأن الله سبحانه أمر بالصوم وهذا هو معنى العبودية الحقيقي.

الحج: هذا المجمع الكبير الذي يضم المسلمين من جميع أنحاء العالم، يظهر عمق الروابط الإيمانية وهو دليل على التماسك ووحدة الغاية والمصير وبين جميع المسلمين، والحج فرصة لتعارف الدول الإسلامية ودراسة طرق التعاون والتنسيق فيما بينها، والتخطيط لمستقبل المسلمين جميعاً بما يحقق وحدتهم وأمنهم وسعادتهم، ومواجهة الأخطار التي تهددهم.

وكما تتم التربية في المجتمع عن طريق العبادات، كذلك تتم عن طريق التزام الأخلاق والآداب والسلوك الاجتماعي الذي حض عليه الإسلام، ولقد تعجب اليهود

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ٣٤/٢٦٦٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ٦٦/٢٥٨٦.

من تعليم سيدنا محمد ﷺ كل شيء لأصحابه وتعميم هذه التربية على كامل المجتمع فعلهم آداب الطعام والشراب والسلام وزيارة المريض... الخ.

ونبين بعض هذه الآداب التي حض عليها الإسلام:

١- أدب الحديث والمجلس: ويستمد هذا الأدب من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ومنها:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٤٩/٢].

وقال تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الحج: ٢٢/٢٤].

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٣/٧٠-٧١].

ومن الآيات الكريمة التي أمر الله سبحانه بطيب الكلام: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء: ١٧/٣٥].

أي أن تخاطب جليسك ليس بالكلام الحسن، وإنما بالكلام الأحسن والغاية الموجبة للحكم أن الشيطان ينزغ بينهم ويدخل الغيظان من كلمة السوء، والكلام الأحسن يدخل السرور إلى قلب الجليس.

فهذه آيات كريمة تبين للناس أدب الحديث واستخدام الكلام الحسن لأن فيه تطييبا للنفوس دفعا لها لتقبل واستيعاب الآخرين.

والنبي ﷺ كان لا يتحدث إلا بخير ويعطي جليسه حقه من الكلام، ولا يقاطعه وكان رحيما بجلسائه ورؤوف بهم، فكان لا يمله الجليس، وأخلاقه ﷺ في المجالس كثيرة لا يسعها السرد.

٢- أدب السلام:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٤/٨٦].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾ [النور: ٢٤/٦١].

وهذه الآيات تبين كيفية السلام الصحيح الذي يعني معانٍ كثيرة منها أن المحيي بالسلام قد أمّن غيره في ماله ودمه وعرضه، وأنه يدعو إلى صفاء القلب ولحمة الأفراد في المجتمع والنبي ﷺ كان يُسلم على كل من يلقى وكان أشد المحيين بشاشة، وكان إذا صافح لا يدع يد مصافحه حتى يدع الآخر، وكان دائماً يكثر السؤال عن أحوال من صافحه، فصلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد عُدَّ من صفات الأنبياء إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة في الليل والناس نيام.

٣- أدب الزيارة:

قال تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء: ٤/١١٤]..

فهذه الآية الكريمة تبين المواضيع التي يجب اجتماع المسلمين عليها فهي إما التواصي بالخير، والبحث عن أهل الحاجة ومساعدتهم والإصلاح بين المتخاصمين، والدعوة إلى معروف متروك، والنهي عن منكر مرتكب، والاجتماع على ذكر الله عز وجل وقراءة كتابه العظيم، وتدارس سنة رسوله ﷺ والتفقه في الدين.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٤٣/٣٦].

أما الاجتماع على الغيبة والنميمة وعلى اللهو واللعب المحرم فهو حرام لا يرضاه الله ولا رسوله وليس من آداب الزيارة الإسلامية.

- وزيارة المريض تُعَدُّ من الواجبات على المسلم فعليه أن يعوده ويمنيه بالصبر ويسأل الله له أن يعافيه ويشفيه، وألا يُكثر من الحديث والجلوس، لأن المريض من أصحاب الأعذار ويجب أن لا يؤسر.

٤- أدب إكرام الضيف:

قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات: ٥١/٢٤-٢٨]. هذه الآية تبين إكرام الضيف، وكيف عامل سيدنا إبراهيم عليه السلام ضيوفه كضيف واحد دون أن يميز بينهم ثم قام بواجب الضيافة فقدم لهم أحسن ما عنده في البيت، وعلى المسلم أن يُكرم ضيفه أشد الكرم من دون تكلف يؤدي به إلى الحرج، وبينت أدباً آخر في الضيافة وهو الإصرار على الضيوف بتناول ما قدم إليهم لرفع الخجل عنهم، والنبي ﷺ كان يكرم ضيفه ويقدم له ما عنده وكان يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.

٥- أدب الطعام والشراب:

قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٧/٣١].

وكان سيدنا محمد ﷺ يقول: «**ما ملأ آدمي وعاءً شر من بطن حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه، فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس**»[١].

وكان يقول ﷺ: «**إن من السَّرف أن تأكل كل ما اشتهيت**»[٢].

فبين النبي ﷺ معنى الآية الكريمة وهو أن على الإنسان ألا يسرف في الأكل والشرب لأن ذلك سيكلف جسده مشقةً كبيرة، وهذا ما أكده العلماء والأطباء في هذا العصر، إن معظم الأمراض ناتجة عن الإكثار في الأطعمة والأشربة والخلط بين الأصناف المتعددة سواء في الأطعمة أو الأشربة.

ومن يسير على هدي المصطفى ﷺ فسيكون محصناً من الأمراض الجسدية التي يسببها الإسراف في تناول الأطعمة.

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل، رقم ٣٣٤٩.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب من الإسراف أكل كل ما اشتهيت، رقم ٣٣٥٢.

وإذا شبع الإنسان وجعل ذلك غاية عنده فإن جسمه يثقل عن أداء العبادات إضافة لتفجر نوازع الشهوة في نفسه فلا يقوى على كبح جماحها.

٦- أدب الجدال والحوار:

الجدال هو اختلافٌ في وجهات النظر وتعارض الآراء نتيجة لتفاوت العقول، الذي يؤدي إلى الاختلاف، ولا يمكن أن تتطابق الأفكار عند جميع الأفراد في المجتمع. قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ١٨/٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٦/١٢٥].

وهي دعوة من الله عز وجل لرسوله ولمن بعده من المسلمين أن يكون الجدال والحوار من أجل الوصول إلى الحقيقة، وكشف الزيغ والأباطيل، وذلك عن طريق الحجج المقنعة ووفقاً لعقول المجادلين والمحاورين، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه ومحاجته لهم قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ [الشعراء: ٢٦/٦٩-٧٣] فنجد أن سيدنا إبراهيم أكد بالبرهان العقلي على أن هذه الحجارة المنحوتة بأيديهم لا تسمع ندائهم، ولا تجلب لهم نفعاً ولا تدفع السوء عنهم، وهي أمامهم فبإمكانهم إخضاعها للتجربة، ولم يسفه قولهم أو يتهمهم بالجنون ويعزف عن الحوار معهم، بل كلمهم على قدر عقولهم لإقامة الحجة عليهم وإقناعهم، ويختلف الجدال والحوار على حسب الشخص المجادل. فسيدنا إبراهيم عندما حاور النمرود في وجود الإله، وكان النمرود قد بلغ فيه الطغيان أن ادعى الألوهية، والذي حمله على هذا الادعاء طول مدته في الملك فسيدنا إبراهيم عليه السلام استمر في الحوار معه وأخذ يجادله بصفات الألوهية لأن المحاجج يدعي ذلك، فقال سيدنا إبراهيم ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٨] وهذا دليلٌ قطعي على وجود الله عز وجل المحدث للأشياء بعد عدمها والمعدم لها بعد إيجادها، فقال النمرود ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٨] فأتى

برجلين مسجونين فعفا عن أحدهما وأمر بقتل الآخر، وفعل النمرود لذلك إنما كان كبراً وادعاء ماليس له بحق فهو يعلم أنه لا يستطيع الإحياء والإماتة، وعندما خرج عن أدب الحوار وكابر قال له سيدنا إبراهيم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٨] فعندما تبين له عجزه وقلة حيلته بهت وسكت لأنه عجز عن الحوار.

هكذا يطلب القرآن الكريم أن يكون الجدال والحوار:

١- من أجل إحقاق الحق والإرشاد إلى طريق الصواب، وليس بمجرد إبراز قوة المخاصم وإضعاف الآخر.

٢- أن يكون الحوار والجدال متوافقاً مع القدرات العقلية للمحاور، وكان سيدنا علي بن أبي طالب يقول: «حدثوا الناس بما يعلموا أتريدون أن يكذب الله في الأرض».

٣- ترك الجدال والحوار إذا لم يلتزم المحاور والمجادل بأدب الحوار وأسلوبه العلمي، أو قصد من ذلك الكبر والعناد.

وحض الإسلام على الأخلاق الحميدة؛ كالصدق والأمانة والتعاون والتواضع... ودعا لترك الأخلاق الذميمة التي توجب غضب الله عز وجل، والتفرقة الاجتماعية؛ كالحسد والكذب والتكبر والغيبة والنميمة ...الخ.

وبقدر ما تُعَمَّقُ الأخلاق الحميدة العلاقات الاجتماعية وتُعَزَّزُ الروابط بين أفراد المجتمع. بقدر ما تؤدي الأخلاق الذميمة إلى تفكك المجتمع وانعدام التعامل والثقة بين أفراد المجتمع. والتربية في المجتمع تتجسد بامتثال الأخلاق الحميدة والنهي عن ارتكاب الأخلاق الذميمة وتنشئة الأجيال على ذلك.

ونشير إلى بعض الأخلاق من كلا النوعين:

١- الصدق: وهو قول الحقيقة من غير تزييف أو زيادة أو نقصان، والصدق له أثره في المجتمع، ولقد علمنا النبي ﷺ الصدق وحضنا عليه ولقد سماه أهل قريش

الصادق الأمين لأنه لم يجرب عليه كذب. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩/١١٩].

٢- الأمانة: وهي حفظ الإنسان ما أُتمن عليه سواء أكان مالاً أم حديثاً أم سراً ...الخ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٤/٥٨]
والأمانة نوعان: أمانة تؤدى للعبد من مال أو حديث أو ...

وأمانة تؤدى لله عز وجل، وهي العبادات والطاعات التي أمر الله بأدائها لذلك إذا قصر المؤمن بأداء ما أمره الله يعتبر خائناً للأمانة التي أمنه الله عليها، وشرع الله عز وجل كله أمانة في أعناق المسلمين (ودينُ الله أحق أن يؤدى).

٣- الكرم.

٤- الشجاعة.

٥- القوة.

٦- حب الخير للآخرين... الخ.

والنوع الثاني: المنهي عنه نذكر بعضه:

١- الحسد: وهو كره النعمة للغير وتمني زوالها عنه، ولقد حذر النبي ﷺ من الحسد وقال عنه أنه الحالقة للدين وأنه داء الأمم السابقة.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [سورة الفلق].

والحسد يثير البغضاء في النفوس، ويثير الكراهية نحو الآخرين، ويكفي ذماً للحسد أنه طريق إلى الجحيم، فلقد منع الحسد كثيراً من صناديد قريش من الإيمان مع علمهم بأنه الحق من عند الله عز وجل إلا أن حسدهم لسيدنا محمد ﷺ بأن يكون نبياً جعلهم لا يؤمنون، وهذا يذكرنا بدعوة سيدنا إبراهيم ﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۝٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ [الشعراء: ٢٦/٨٧] سليم

من الحسد والحقد والكبر، ولم يقل إلا من أتى بكثير من الطاعات والقربات لأنها لاتفيد إلا مع القلب السليم.

٢- الغيبة: ذكرك أخاك بما يكره، سواءٌ في حضرته أو في غيابه، ولقد نهى الإسلام عن ذلك صيانة لكرامة الفرد في مجتمعه من أن ينتقص أو يعيَّر أو يذكر بشيء لا يحبه.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٢].

هذه الآيات الكريمة علاج لكل الأمراض الاجتماعية بحيث يصبح المجتمع سليماً معافاً تسوده الأخوة والمحبة.

٣- التجسس: وهو تتبع عورات الآخرين سواء بالسمع أو النظر أو بكليهما وهذا الفعل يؤدي لأسر حرية الأفراد، وتقييد تصرفاتهم مما يشيع في المجتمع عدم الاطمئنان ويعدم الشعور بالأمان مما ينغص على الأفراد حياتهم لذلك كان النهي عن الأفعال والأخلاق القبيحة من أجل صيانة المجتمع من التفكك والانهيار.

٤- الكذب. ٥- النميمة. ٦- الغضب .... الخ.

وتعميم التربية الإسلامية هي مسؤولية المجتمع بأكمله والأسلوب الأمثل الذي بيّنه النبي ﷺ هو العلم فقال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١).

وثمة قدر من العلم ضروري لإيمان المسلم وعباداته ومعاملاته، وهو قدر مفروض عليه فرض عين، وكما يطلب العلم من الجاهل يطلب التعليم من العالم ولقد توعد القرآن الكريم الذين يكتمون العلم بأشد العذاب. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ٢/١٥٩].

وقال رسول الله ﷺ: «**من سئل عن علم نافع فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار**»(٢).

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب العلم، باب طلب العلم فريضة، رقم ٢٢٤.

(٢) سنن أبو داود، كتاب العلم، رقم ٣٦٥٨.

والنبي ﷺ اتخذ في أول البعثة من دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة، مركزاً تعليمياً يعلم به المؤمنين أمور دينهم، إضافة لأمر النبي ﷺ لأصحابه أن يعلموا أهلهم أمور دينهم، وإخوانهم ممن كانوا حديثي العهد بالإسلام.

وكان النبي ﷺ يلقى الوفود القادمة إلى مكة فيحدثهم عن الإسلام ويدعوهم إليه علّ الله أن يهديهم.

وبعد أن آمن به وفد من الأوس والخزرج أرسل النبي ﷺ مصعب بن عمير ﷺ معهم إلى المدينة كي يعلمهم أمور دينهم.

وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة واستقبله أهلها كان أول أعمال النبي ﷺ إقامة أول مسجد في الإسلام حيث كان مجمعاً للعبادة والدروس الدينية وهيئة تخطيط لأمور المسلمين ومنارةً للتعليم و...

و لم يخصّ الرجال فقط في التعليم، بل خصّص النبي ﷺ للنساء دروساً ليعلمهن أمور دينهن، وتم تعميم التربية والتعليم على الأسرة والمجتمع بأكمله حيث أمر النبي ﷺ الصحابة أن يعلموا أهلهم وأقرباءهم إذا رجعوا إليهم.

المطلب الثالث: دور المسجد في تعميق التربية الإسلامية في المجتمع:

إن المسجد في الإسلام له الدور الأكبر في تكوين الشخصية الإسلامية القائمة على العلم والعمل، ولا يقصد في المسجد جدرانه وكسائه، بل المسجد المتجسد في العلماء الحكماء الذين زكوا أنفسهم وتعلموا دينهم ثم قاموا ليعلموا الناس كما أمرهم الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

يقول الفيلسوف "رينان": «إنني لم أدخل مسجداً من مساجد المسلمين من غير أن أهتز خاشعاً بحسرةٍ على أنني لست مسلماً»[1]، والمسلمون تجدهم أينما حلوا وسكنوا أول ما يفكرون في بنائه هو المسجد، لمعرفتهم بأهميته ولكونه فرضاً دينياً ودليلاً على الانتماء.

---

(١) الفكر التربوي الإسلامي: ٧٤-٧٥، التربية العربية الإسلامية: ٦٦-٦٨.

وللمسجد دور كبير في المجتمع الإسلامي:

١- فهو منارة لنشر العلوم الدينية وتعميق التربية الصالحة في المجتمع.

٢- وله وظيفة إعلامية حيث يحقق الاتصال الفردي بين المسلمين عن طريق أداء الصلاة فيه، وكذلك يحقق الاتصال الجمعي عن طريق صلاة الجمعة والأعياد..

٣- وهو مركز لإصلاح المجتمع والأفراد وإعادة تأهيل المنحرفين عن طريق التوجيهات الدينية التي تحض على التوبة والخشية من الله عز وجل.

٤- والمسجد يعالج النفس الإنسانية من أمراضها، ويبعث فيها الطمأنينة والراحة، ويجردها من الأنانية... إضافة لأمور كثيرة يقدمها المسجد لا مكان لسردها.

والتعليم لم يقتصر على المسلمين لذلك كان الخطاب في القرآن الكريم لجميع الناس وأن الرسالة السماوية موجهة إلى جميع البشر قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [النساء: ٤/١].

وبين الله عز وجل أن الهدف من انتماء كل مجموعة من الأفراد إلى مجتمع، وتعدد المجتمعات إنما هو من أجل التعارف وليس التمايز والتفاضل قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٣].

وقال سيدنا محمد ﷺ: «**لا فضل لعربي على أعجمي ... إلا بالتقوى**»[1].

لذلك النبي ﷺ لم يخص قومه بالدعوة إلى الإسلام، بل أرسل البعثات إلى جميع الأماكن المأهولة بالسكان من أجل أن يدعو الناس إلى الدين، ويبينوا لهم أنه مكمن سعادتهم في الدنيا والآخرة.

فلقد أرسل سيدنا محمد ﷺ رسائل يحملها رسل إلى ملك الحبشة وقيصر الروم وكسرى الفرس ليبلغهم رسالة ربه[2].

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، كتاب الأدب، باب ١٠٥، رقم ١٣٠٧٩.

(٢) التربية العربية الإسلامية: ٨٠-٨٣.

وأرسل بعثات تعليمية:

آ - فبعث وفد الرجيع إلى عضل والقارة ليعلموهم شعائر الدين فقتلهم بنو الحيان، ولم يثن ذلك رسول الله ﷺ عن أداء رسالته ونشر تعاليم الإسلام.

ب- وبعث وفد بئر معونة وفيه سبعين من القراء وتوجهوا إلى بعض القبائل ليعلموهم فغدر بهم بعض الأعراب فقتلوهم.

جـ- بعث النبي ﷺ معاذاً وأبو موسى الأشعري إلى اليمن وأبو عبيدة بن الجراح إلى أهل نجران.

إضافة لكثير من الوفود، وذلك تأكيداً على تبليغ الرسالة وهذا دافع للمسلمين لكي ينهجوا نهج نبيهم سيدنا محمد ﷺ فيقوموا بتعليم الناس أمور دينهم، وتبليغ من لم يتعرف بالإسلام أو شوه الإسلام بنظره، وإظهار الإسلام الصحيح الذي تعشقه النفوس لأن النفس جبلت على حب الخير ومكمن الخير في الإسلام.

المطلب الرابع: بناء المجتمع الإسلامي:

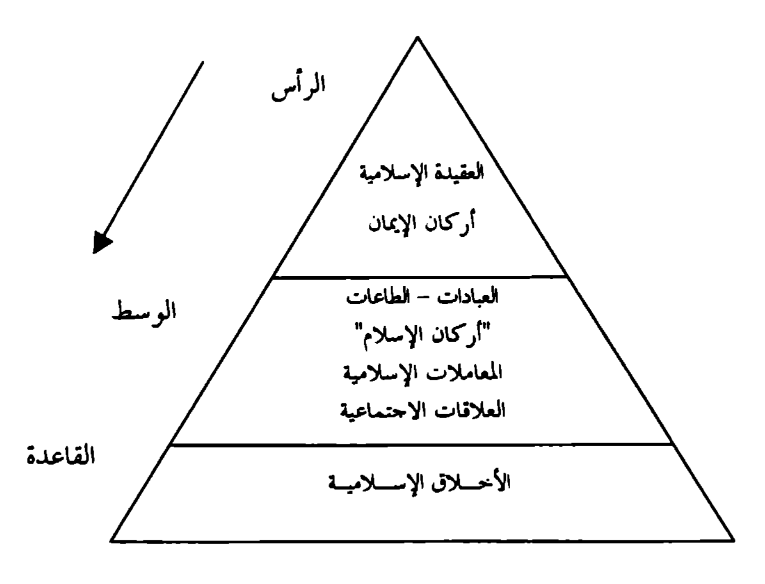
يتكون المجتمع الإسلامي وفق بناء متكامل قائم على ثلاثة أسس:

أولاً – العقيدة الإسلامية الصحيحة: فلا بد لكل فردٍ مسلم في المجتمع أن يكون مُلماً بأركان الإيمان فكراً واعتقاداً بحيث يظهر أثر هذا الإيمان في سلوك الفرد وأخلاقه وعلاقاته مع الآخرين.

ثانياً – أداء العبادات والطاعات التي فرضها الله عز وجل، واتباع الشريعة الإسلامية في المعاملات والعلاقات الاجتماعية.

ثالثاً – الأخلاق الإسلامية: على المجتمع بكامل أفراده أن يلتزم بالأخلاق الإسلامية التي ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية، وينبغي أن يُربى النشئ على هذه الأخلاق.

ويمكن تمثيل بناء المجتمع الإسلامي وفق الشكل الهرمي:



ولابد من تكامل البناء وفق الأسس الثلاثة حتى يتكون المجتمع الإسلامي الحقيقي.

ينطلق هذا المجتمع من العقيدة الصحيحة التي تنشأ على أساسها العبادات والمعاملات والعلاقات في المجتمع.

وتعتبر العقيدة الإسلامية الركيزة الأساسية في بناء المجتمع الإسلامي فلا يصح أي عبادة أو قربة أو عمل ما لم يستند كل ذلك إلى إيمان صحيح «أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره».

قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

وتؤكد هذه الآية أن التوحيد والإيمان بالله هو أساس الإيمان ولا بد لكل مسلم أن يعلم أركان الإيمان وهذا العلم فرض بحق كل مسلم يقول اللقاني رحمه الله:

فكـل مـن قلـد في التوحـيد إيمانـه لا يخلـو مـن تـرديد

وحتى يرجع المجتمع الإسلامي لألقه وسموه الذي كان عليه زمن النبي ﷺ وصحابته الكرام، لابد من تعميق أركان الإيمان في نفوس أفراد المجتمع ولقد سأل التابعون الصحابة عن سبب التزامهم العميق بتعاليم الإسلام في جميع شؤون حياتهم وطاعاتهم لله عز وجل فأجابوهم قائلين «بأننا أوتينا الإيمان قبل القرآن أما أنتم فأوتيتم القرآن قبل الإيمان»، وهذا يؤكد أهمية رسوخ الإيمان وأركانه في نفوس المسلمين لكي يتمكنوا من التزام ما شرعه الله لهم.

الأساس الثاني: أداء العبادات والطاعات التي أمر الله بها حيث إن هذا الأساس لا ينفك عن الأساس الأول، فلا ينفع إيمان بلا عمل "عبادة" وكذلك كل عملٍ منفكٌ عن الإيمان يعتبر ملغياً ولا أثر له.

وإن ترك بعض العبادات يعتبر خروجاً عن الإسلام، ولو ترك المسلم بعضها كسلاً وتهاوناً فإنه سيحاسب على كل ذلك والأدلة كثيرة أذكر منها:

- قال رسول الله ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» وهذا الحديث الشريف يبين أن ركن الصلاة يقابل أركان الإيمان.

- وبيَّن النبي ﷺ في حديث طويل أخرجه الشيخان فيمن ترك أداء الزكاة بأنه محاسب حساباً شديداً قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أُحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فتكوى بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة».

- قال رسول الله ﷺ: «من أفطر يوماً في رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صوم الدهر وإن صامه».

- ولقد أخرج الديلمي وأبو يعلى في مسنديهما عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان».

وهذا الحديث الشريف يُبين ارتباط الأساس الأول بالثاني فالإيمان وأداء العبادات ركنان أساسيان في بناء المجتمع الإسلامي.

والمعاملات في الإسلام لا بد أيضاً من أن تستند لأحكام الشريعة الإسلامية ويُتبع السلوك الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي فكل تعامل بين المسلمين يجب أن يكون قائماً على الصدق والأمانة والعدل.. وخالٍ من الكذب والغش والخيانة..

ولقد حددت شروط ومحظورات كل معاملة في الإسلام.

الأساس الثالث: الأخلاق الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة والتي ظهرت بشخص النبي ﷺ الذي وصفه الله عز وجل بقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم).

وسيدنا محمد ﷺ هو قدوةٌ لكل مسلم بل ولكل إنسان فمن يتبع سيرة المصطفى ﷺ وأخلاقه العظيمة يظهر له ذلك السمو العظيم في التعامل الإسلامي والإنساني في جميع جوانب الحياة وهذه بعض الأمثلة.

- التجارة: أكد الإسلام على ضرورة الصدق والأمانة وعدم التطفيف في الميزان أو الغش في البيع والشراء ومنع الغرر والتدليس و...، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ بينكم) وفي هذا التعامل يتساوى المسلم وغير المسلم.

- العلاقات الاجتماعية: أكد الإسلام على الإحسان في التعامل بين الناس جميعاً فأكد حقوقاً إسلامية وإنسانية تدعو كل مسلم لمساعدة المحتاج واحترام كل إنسان أياً كانت ديانته فقال رسول الله ﷺ: «الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره».

- ومرَّت جنازة يهودي أمام مجلس النبي ﷺ فوقف النبي ﷺ للجنازة فقال بعض الصحابة إنه يهودي فأجابهم النبي ﷺ: أليس بإنسان.

- ورأى سيدنا عمر ﷺ شيخاً نصرانياً قد وقع في الحاجة وصار يسأل الناس الصدقة، فاستهجن سيدنا عمر من ذلك قائلاً كيف تأخذون منه الجزية وهو شابٌّ وتذرونه شيخاً محتاجاً ثم أمر بأن يخصص لهذا الشيخ وكل محتاج معونة تكفيه طيلة حياته.

- الجهاد في سبيل الله: بين الإسلام أن هدف الجهاد في سبيل الله هو حب الخير لكل الناس ومنع الظلم وتبليغ رسالة الإسلام لكل البشرية لذلك لا يجوز القتال إلا بعد تبليغ الدعوة وإقامة الحجة وظهور كيد الأعداء ومناصبتهم العداء للإسلام.

ومن الأخلاق في الجهاد مابينه النبي ﷺ وصحابته في تبليغ دعوة الإسلام، لقد ورد في وصية أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد رضي الله عنهما: «لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه...» وهذه من الآداب والأخلاق التي ينبغي التخلق بها في الجهاد.

وهذا الأساس هو ثمرةٌ للعقيدة الصحيحة والعبادات والمعاملات الإسلامية وبذلك يظهر تكامل هذا البناء وفق الأسس الثلاثة.

مجتمعات مستوردة:

عندما يفقد أحد المجتمعات بعض الأسس التي يرتكز عليها، فإنه سيستمد بعض المبادئ والأسس من مجتمعات أخرى.

ولقد أدى ضعف بعض المجتمعات الإسلامية بالالتزام بالتعاليم الإسلامية إلى فقد هذه المجتمعات لكثيرٍ من أسسها ومبادئها وعاداتها وعلاقاتها الإسلامية فها هو القانون الوضعي يأخذ مكان التشريع الإلهي، وهاهي المعاملات الربوية والتسويق الميسري يأخذ مكان المعاملات الإسلامية وفي بعض هذه المجتمعات رُفضت العلاقات الاجتماعية الإسلامية واستبدلت بعلاقات غربية غريبة عن الإسلام وأهله حتى صار تأثير المجتمعات الغربية بهذه المجتمعات الإسلامية المترهلة تأثيراً قوياً أثر حتى في عادات وتقاليد هذه المجتمعات.

«صار المسلمون يُقلدون الغربيين في قص شعرهم ولباسهم وطريقة سلامهم وكلامهم وأعيادهم "عيد الحب، عيد الميلاد..." ...».

وهذا الشيء يثير في النفس الحزن والأسى عندما يتم المقارنة بين مجتمع إسلامي حضاري كان منارةً يستمد منها جميع العالم العلم والحضارة والأخلاق وبين مجتمع لا يحمل من الإسلام إلا اسمه وصار مفتقراً إلى كثيرٍ من العلوم وأسباب التقدم والرقي.

وهذا مثال يبين الفرق بين الماضي والحاضر.

لقد أمدَّ المسلمون العالم بصنوف العلوم ولا سيما في العصر العباسي وقد أحدثوا السلم التعليمي الذي يبين جدوى التدرج في التعليم بدءاً من الكتاتيب ثم حلقات المساجد ثم القراءة على الشيوخ وفي المكتبات العامة والخاصة ثم تأتي مرحلة الاختيار من أجل امتحان قدرة الطالب ومعرفة مدى تمرسه في العلم الذي اختص به بعد سنوات دراسته فإذا أجيز ونجح بالامتحان يمنح شهادة تؤهله للتدريس واطلقوا على هذه الشهادة اسماً هو "بحق الرواية" ولقد عُثر على أول إجازة صدرت بقرطبة عامة ٩٨٢م.

أما العالم الغربي فقد استمد السلم التعليمي من المسلمين وكذلك طريقة منح الإجازة حتى إن أول إجازة صدرت في أوربا كانت عام ١٢٣١م ولقد أسموها بكالوريوس وهذا الاسم هو ترجمة حرفية لـ "بحق الرواية" باللغة اللاتينية.

الفصل الرابع

ويتألف من مبحثين؛ الأول عن العلاقات الاجتماعية، والآخر عن الاقتصاد والمجتمع.

المبحث الأول: العلاقات الاجتماعية.

العلاقة الاجتماعية: تعريفها - شروطها الأساسية.

العلاقة في الإسلام.

دراسة العلاقة الزوجية في المفهوم الاجتماعي.

نظرة الإسلام للعلاقة الزوجية.

أسباب الانحراف في العلاقات الزوجية.

الزواج في الإسلام يرتب حقوقاً للزوجة وحقوقاً للزوج.

حقوق الزوجة - حقوق مادية: المهر والنفقة - حقوق أخرى - المعاشرة بالمعروف - الإيفاء بالشروط - التحصين - إكرامها ووعظها وتحمل أذاها...

حقوق الزوج:

١- طاعته في غير معصية.

٢- حفظ الأمانة التي استخلفت عليها الزوجة في نفسها ومال زوجها.

المعاشرة بالمعروف.

حقوق مشتركة بين الزوجين.

المبحث الثاني: الاقتصاد والمجتمع.

- تعريف الحاجات الاقتصادية.

المشكلة الاقتصادية، نشأتها في مختلف الأنظمة (الرأسمالية - الشيوعية -...).

الاقتصاد الإسلامي - ترتيب الحاجات في المجتمع.

- المشكلة الاقتصادية في الإسلام وعلاجها.

- التعامل الربوي وموقف الاقتصاديين والشريعة الإسلامية منه.

- مبررات الفائدة والرد عليها.

الأدلة على تحريم الربا.

المبحث الأول
العلاقات الاجتماعية

المطلب الأول: تعريف العلاقة الاجتماعية وشروطها.

العلاقات الاجتماعية: هي اتصال أو تفاعل يقع بين شخصين أو أكثر من أجل إشباع حاجات الأفراد الذين يُكونوا مثل هذا الاتصال أو التفاعل[١].

وللعلاقة الاجتماعية ثلاثة شروط أساسية[٢]:

١- وجود أدوار اجتماعية يشغلها الفرد لتكوين هذه العلاقة.

٢- وجود مجموعة من الرموز السلوكية واللغوية التي يستعملها أطراف العلاقة الاجتماعية.

٣- وجود هدف أو غاية تتوخى العلاقات الاجتماعية إشباعها والإيفاء بالتزاماتها.

فالفرد عندما يسعى لتلبية حاجاته فإنه يقيم علاقات تيسر له إشباع هذه الحاجات، وأنواع الحاجات تفرض عليه أنواعاً من العلاقات الاجتماعية المختلفة.

والعلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي تقوم على التآخي والتعاون... حيث تسير جميع العلاقات الاجتماعية في ضوء التشريع الإسلامي.

ويؤكد هذه العلاقة الحديث الشريف عن أبي هرير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا كونوا عباد الله إخواناً، كما أمركم الله تعالى، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه،**

---

(١) موسوعة علم الاجتماع، الحسن، ٤٠٥.

(٢) المرجع السابق: ٤٠٦-٤٠٧.

وماله وعرضه، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاثاً»[1].

والمراد من أخوة المسلم للمسلم توثيق العلاقة فيما بينهما مما يستدعي اشاعة المحبة والمودة والرفق والتعاطف والتعاون، ونبذ الصفات السيئة والأخلاق الذميمة من حسد واستحقار واستصغار وانتهاك لحرمة المال والدم ....الخ [2].

ولنبحث في أقدس علاقة في المجتمع وهي العلاقة الزوجية التي بصلاحها تصلح الأسرة ومن ورائها المجتمع.

المطلب الثاني: العلاقة الزوجية من وجهة نظر علماء الاجتماع والإسلام:

لقد اهتم علماء الاجتماع بالأسرة باعتبارها الخلية الأساسية في المجتمع، وخصصوا فرعاً خاصاً من فروع علم الاجتماع العام يبحث في موضوع الأسرة والعلاقات الحادثة بين أفرادها وأسموه علم الاجتماع الأسري.

ونظر علماء الاجتماع إلى الزواج بأنه أرقى آلية ضبطية ابتكرها عقل الإنسان في تأنيس الغريزة الجنسية عند البشر، لأنه عند عدم ضبطها تصبح أشبه بالحيوانية، وتتميز العلاقة الزوجية عن الغريزة الجنسية بعدة أمور منها[3]:

١- إن العلاقة الزوجية تتعدى الغرض الجنسي إلى أهداف اجتماعية وخلقية..

٢- دافعها الإنجاب حيث يكون إنجاب الأولاد هدفاً وغاية وليس كذلك في العلاقة الجنسية.

٣- العلاقة الزوجية تنشأ على المودة والمحبة.

٤- لها هدف أساسي وهي تأسيس الأسرة ودوام الذرية أي حفظ النوع.

٥- العلاقة الزوجية تقوم ضمن الرضا الاجتماعي.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظن والتحسس، رقم ٢٨/٢٥٦٣.

(٢) الأدب النبوي، الخولي: ١٣٦-١٣٧.

(٣) علم الاجتماع الأسرة، معن: ٥٤-٥٥، الزواج وتطور المجتمع، سركيس: ١٦-١٧.

إن جميع الديانات السماوية وكثيراً من الديانات الأخرى، جعلت الزواج هو الطريق الوحيد لإقامة العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس الزوجية. أما السفاح والزنا والإباحية فهي علاقات ترفضها الأديان وتعتبرها مخالفة لقيم المجتمع والدين.

والإسلام أباح الزواج وجعله طريقاً وحيداً لهذه العلاقة السامية التي ينشأ أفراد المجتمع من خلالها.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٣٠/٢١].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ١٣/٣٨].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٢/٣٥].

فهذه الآيات تبين أن الزواج أباحه الله للإنسان منذ أن خلقه على هذه الأرض وجعل رابطة الزواج هي الأصل فهي تشريع إلهي وليس صنع اجتماعي أو تأنيس غريزة جنسية.

فآدم عليه السلام هو أول الخلق، وكان يمشي في الجنة وحيداً ليس له زوج يسكن إليه، فخلق الله عز وجل حواء وجعلها زوجته، لذلك أول علاقة لأول بشر خلقه الله هي العلاقة الزوجية وتمت في إطار الزوجية لذلك هي فطرة إلهية وقانون إلهي وليس وضعي أو ناشئ عن فكر إنساني.

وحض الإسلام على الزواج فقال رسول الله ﷺ مخاطباً معشر الشباب قائلاً: **«من استطاع منكم الباءة فليتزوج...»**.

لأن في الزواج تحصيناً من الانحلال الأخلاقي والسير في طريق الرذيلة، حيث بالزواج فقط يمكن إنشاء الأسرة الإسلامية الملتزمة بتعاليم الله عز وجل، ويربى فيها أفرادها تربيةً صالحة.

ولقد اختلف مفهوم المجتمعات الغربية للزواج فلم تُعد تلك العلاقة المقدسة بل علاقة

تعقدية. وكأنها عقد ناشئ بين رجل وامرأة يمكن لأي منهما أن ينهي هذه العلاقة.

لذلك انتشرت العلاقات غير الشرعية لأن فيها تحرراً من الالتزامات الأسرية وصار ينتشر ما يسمى (الزواج المفتوح أو العابر)(١) وهو نقيض الزواج الذي حضت عليه الديانات السماوية، لأن العلاقة فيه تكون أشبه بالرباط الصداقي وليس الرباط الاجتماعي، حيث يعيش القرينان ليومهما فقط، بحيث لا يشكل الماضي ولا المستقبل بالنسبة لهما شيئاً مؤثراً على علاقتهما، إنما مجرد إشباع حاجات شخصية، وينتشر هذا الزواج في أمريكا وأوربا، وأثبتت الدراسات أن معظم هذه الزيجات مصيرها الفشل والطلاق، حيث تصل نسبة الطلاق إلى ٥٠٪ في السنة الأولى من أصل ١٠٠ حالة زواج.

وسبب انتشار هذا النوع من العلاقات (الزواج العابر أو المفتوح):

١- ضعف التأثير الديني حيث لم يعد الزواج ذاك الرباط المقدس إنما مجرد عقد يحصل بين شخصين.

٢- تنامي الاتجاه الشخصي في المجتمعات الصناعية، حيث يأخذ العمل الجانب الأساسي، ويعمل كل فرد بنفسه على تحسين وضعه المعاشي، فتنمو روح الاستقلالية ويهمش دور الأسرة والعلاقة الزوجية حيث يكون مستقبل الزوج منفك تماماً عن مستقبل الزوجة.

٣- عدم شعور المرأة في هذه الدول بالحاجة إلى المسكن الزوجي، ولا العيش في كنف أسرة يرأسها الزوج، لأنها حصلت على استقلال اقتصادي واجتماعي وحريات غير مقيدة.

٤- انتشار الحرية الجنسية والخيانة الزوجية، مما أوجد علاقات غير شرعية وانتشر البغاء العلني.

٥- إن انتشار التقنية الحديثة والتكنولوجية العصرية وهذا التطور المادي لم يرافقه تنمية روحية وأخلاقية، مما أدى إلى توجه الأفراد لإشباع حاجاتهم دون مراعاة للتعاليم الدينية أو الروابط الاجتماعية.

---

(١) الزواج وتطور المجتمع، سركيس: ٦٢-٦٣، علم اجتماع الأسرة، معن: ٦٤-٦٥.

ويضاف للأسباب تنامي عدد السكان... وغياب القيم الأخلاقية.

ولا يخفى أثر انتشار هذه العلاقات غير الشرعية على هذه المجتمعات من نشر الأمراض القاتلة وتفكك الأسر وانعدام المعايير الأخلاقية، وبسبب العجز عن إيجاد حلول لهذه الأمراض الناشئة عن الفاحشة "كمرض الإيدز" يقول أحد الأطباء الغربيين "د. جنسن يندبورغ": «هناك قرود خضراء، تحمل في أفريقية هذا الفيروس (فيروس الإيدز) ولكنها لا تصاب به وما سبب ذلك لا نعلم في الوقت الراهن ولا في المستقبل»[١].

إن الاستغراب من عدم إصابة القرود مع حملها لهذا الفيروس، في حين يصاب الإنسان به، لهو دليلٌ على أن سبب المرض والموت الحاصل من ورائه، أنه عقوبة إلهية لمن يشيع الفاحشة ويبارز الله بالمعصية، لذلك لن يعلم هذا الطبيب ولا غيره ما السبب إلا عندما يرجع للحقيقة، من أن الله عز وجل هو الذي أنزل المرض وهو الذي يرفعه وإنما كان سبب إنزاله مخالفة أوامره وانتشار الزنا وهذا مصداق لحديث سيدنا محمد ﷺ: «**ولا فشا الزنا في قوم قط الأكثر فيهم الموت**»[٢].

أما الآثار الاجتماعية للزواج في الإسلام كثيرة:

١- تكوين أسر مترابطة تنشأ على طاعة الله عز وجل.

٢- تقديس العلاقة الزوجية وانتشار المودة والرحمة بين الزوجين وانعكاس ذلك على الأسرة.

٣ - ترتيب حقوق للزوج على الزوجة وبالعكس، وحض كل منهما على أداء الحقوق للآخر.

٤- الزواج في الإسلام يترتب عليه آثار خاصة من نفقة وصون للزوجة والأسرة وتأمين حاجات الأسرة والمسؤولية عن تربية الأبناء...الخ وهذه آثار اجتماعية إيجابية للزواج.

ولنبحث في بعض الحقوق الزوجية التي حددها الإسلام وألزم كل من الزوجين بها.

المطلب الثالث: الحقوق الزوجية:

---

(١) الإيدز، د. جنسن: ٤٢-٤٣، داء الإيدز، الفاضل عبيد: ٣٤.

(٢) سبق تخريجه

حقوق الزوجة:

أوجب الإسلام على المقدم على الزواج أن يكون قادراً على أداء حقوق الزوجة «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج**» فعُلق الزواج على شرط القدرة على تحمل مؤن الزواج وأداء الحقوق...

ويمكن تقسيم حقوق الزوجة إلى حقوق مادية وحقوق غير مادية.

والحقوق المادية تتضمن المهر والنفقة:

أولاً: المهر: لغةً مهرت المرأة قطعت لها مهراً، إذا زوجتها رجلاً على مهرٍ قلت أمهرتها، ويطلق على المهر صُداق[1].

واصطلاحاً يعرف بأنه المال الواجب للمرأة بنكاح أو وطء[2].

والمهر نوعان[3]: مهر مسمى: وهو المال الذي يُتفق عليه عند العقد ويشترط ألا تكون التسمية فاسدة أو شيء مجهول، كأن يمهرها خمراً أو شيء غير معلوم فعندها تفسد التسمية ويلزم مهر المثل.

مهر المثل: حيث تستحق المرأة مهر مثلها من بنات عائلتها ومن يماثلها بالحسب والجمال والمال والعقل والدين.

ويجب أن يُعلم أن المهر ليس لأكثره ولا لأقله حد، ودعا النبي ﷺ إلى تيسير المهور وعدم رفعها فقال رسول الله ﷺ: «**إن أعظم النساء بركة أيسرهن صدقة (أي مهر)**»[4].

وحدد بعض الفقهاء أن أقل المهر عشرة دراهم.

ثانياً: النفقة: لغةً ما ينفق على العيال والنفس، وأنفق المال صرفه[5].

واصطلاحاً: «هي توفير الزوج ما تحتاج إليه الزوجة من نفقة، مما لا غنى لها عنه، وهذا يتضمن جميع الحاجات من مسكن وملبس ومأكل وماتتطلبه ضرورة الحياة».

---

(١) العين للفراهيدي: ٣/١٧٣. لسان العرب، ابن منظور: ١٣/٢٠٧.

(٢) روضة الطالبين، النووي: ٢/٧٨٦.

(٣) رد المحتار، ابن عابدين: ٤/٢٠٨، نهاية المحتاج، الرملي: ٦/٣٤٥.

(٤) سنن أبو داود، كتاب النكاح، باب من تزوج ولم يسم صداق: ٤٣١.

(٥) العين، الفراهيدي: ٣/٢٠٧، لسان العرب، ابن منظور: ١٤/٢٤٢.

الحقوق غير المادية:

١- المعاشرة بالمعروف: قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٤/١٩].

وأوصى النبي ﷺ بالنساء خيراً فقال: «**استوصوا بالنساء خيراً**».

والمعاشرة بالمعروف تتضمن عدم الإيذاء باللسان واليد، ولا العبس في وجهها، مع إدخال السرور إلى قلب الزوجة وبذل ما عليه من حقوق من غير مماطلة[١].

قال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[٢].

وينبغي على الزوج أن يُحسن خلقه مع زوجته ويرفق بها.

قال تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٤/٣٦] فعلى الإنسان أن يترفق ويحسن لمن جاوره فكيف بأهله وزوجته.

ويقول الكاساني إن المعاشرة بالمعروف تكون قولاً وإحساناً وفعلاً وخلقاً[٣].

٢- وعلى الزوج أن يوفي بالشروط التي ألزم نفسه بها والوعود التي وعد بها زوجته لأنها من حقوقها شريطة ألا تكون الشروط مخالفة للشرع.

٣- الصبر على أذى الزوجة ووعظها وإرشادها قال تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٤/١٩].

٤- وعلى الزوج أن يحصن زوجته ويؤدي واجباته من غير مطل وعليه صون عرضه وشرفه.

- حقوق الزوج: كما للزوجة حقوق فعليها أيضاً واجبات، يجب أن تؤديها على أكمل وجه لأنها تعتبر حقوقاً للزوج ومنها:

١- طاعة الزوج ضمن حدود الشرع وطاعة الزوج أوجب من طاعة الوالدين بالنسبة للزوجة وعليها أن تؤدي واجباتها من غير مطل.

---

(١) الحاوي الكبير، الماوردي: ٩/٥٦٩، المهذب، الشيرازي: ٤٧/٢٣٣، رد المحتار، ابن عابدين: ٤/٢٨٣، القوانين الفقهية: ٤/١٦٩، كشاف القناع، البهوتي: ٤/١٦٩.

(٢) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ ٣٨٩٥.

(٣) بدائع الصنائع، الكاساني: ٢/٦٥١.

ولا يجوز للزوجة أن تصوم أو تتطوع بنافلة دون إذن زوجها، وعليها إدخال السرور إلى قلب زوجها ومشاركته همومه وأفراحه(١).

قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح**»(٢).

٢- المرأة مستأمنة على ما استخلفها فيه زوجها فعليها أن تحفظ نفسها وتصون شرفها وتحافظ على سمعة زوجها، والزوج مستأمن أيضاً على ذلك وعليه أن يحافظ على زوجته في حدود المعقول وهذا ما يسمى في الشرع الغيرة المحمودة.

قال رسول الله ﷺ: «**إن من الغيرة ما يحب الله ومن الغيرة ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة في الريبة وأما الغيرة التي يبغض الله فالغيرة في غير الريبة**»(٣).

ويقول ابن قدامة: «لا خير فيمن لا يغار وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب».

٣- والزوجة مستأمنة على مال زوجها وعليها حفظه، ولا يجوز أن تبذل من ماله شيئاً ولو كان صدقة إلا بإذنه.

٤- وعليها أن تعاشره بالمعروف قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢/٢٢٨] فلا تسيء في الكلام ولا تعبس في وجهه ولا تتذمر أثناء أداء واجباتها مع التحلي بالصبر.

وهناك حقوق مشتركة بين الزوجين، ومنها:

١- حل العشرة الزوجية وعلى كل منهما أن يبذل الحق من غير مطل.

٢- المعاشرة بالمعروف. ٣- ثبوت النسب من كلا الزوجين.

٤- تربية الأبناء تربيةً صالحة. ٥- ثبوت التوازن بين الزوجين في تحمل أعباء الحياة.

٦- ثبوت حرمة المصاهرة.

---

(١) المغني، ابن قدامة: ١٠/٢٣٢/٢٣١، المهذب، الشيرازي: ٤/٣٣١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، ١١٨٢. صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم الامتناع عن فراشه: ١٠/١٢٥.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الغيرة: ١٩٥٦.

المبحث الثاني
علاقة الاقتصاد بالمجتمع

المطلب الأول: تعريف الحاجات الاقتصادية.

إن الغاية من الاجتماع هي تلبية الحاجات المتعددة لأفراد المجتمع، ومن أهم هذه الحاجات عند أفراد المجتمع الحاجات الاجتماعية والاقتصادية.

الحاجات الاجتماعية: إن الإنسان مدني بالطبع، ويميل بالفطرة للاجتماع، لذلك يقيم دائماً علاقات مع الآخرين كالصداقة والتعاون، والقرابة، والزواج... وتُنظم هذه العلاقات الناشئة عن حاجة الفرد للاجتماع، من خلال مايسود المجتمع من علاقات وقيم وتقاليد وعادات سائدة...الخ.

والحاجات الاقتصادية: «هي الرغبة في الحصول على الوسائل اللازمة لمعيشة الإنسان ويسعى للحصول عليها ويبذل في سبيل ذلك المال والجهد»[١].

وتعتبر الحاجات الاقتصادية من ضمن الحاجات الاجتماعية؛ لأن تلبية الحاجات الاقتصادية «من خلال تحقيق الدخل المناسب وتأمين السلع الاستهلاكية، واستخدام وسائل الإنتاج...الخ» لايتم إلا ضمن إطار العلاقات الاجتماعية.

ولقد خُصص في علم الاجتماع العام فرعاً يُسمى علم الاجتماع الاقتصادي يهتم بالعلاقات الاقتصادية في المجتمع.

وعلم الاقتصاد: هو فرع من العلوم الاجتماعية التي يتوافر على دراسة سلوك الأفراد في محاولاتهم لتوزيع الموارد النادرة ذات الاستعمالات البديلة بين الأهداف المتعددة وكيفية بذل هذه المحاولة عن طريق إجراء عمليات المبادلة في السوق[٢].

---

(١) مدخل في علم الاقتصاد، الشمري: ٨٣، الاقتصاد الاجتماعي، هاشم: ١٥.

(٢) الاقتصاد الاجتماعي، هاشم: ١٤.

فعلم الاجتماع الاقتصادي يدرس سلوك أفراد المجتمع أثناء إشباع حاجاتهم الاقتصادية المتعددة، وإن إشباع الحاجات الاقتصادية يرجع لعقلانية الأفراد وذلك عن طريق توزيع الدخل على أوجه الإنفاق المختلفة من غير إسراف أو تبذير.

وعند عدم تلبية بعض الحوائج الاقتصادية تنشأ مشاكل اقتصادية، وتختلف هذه المشاكل من مجتمع لآخر في كيفية وضع الحلول لها.

فالمجتمعات الغربية لاتؤمن بوجود شريعة إلهية تنظم الجانب المدني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي... للمجتمع لذلك يقولون: إن الإنسان فرداً أو أمة هو المصدر الأول والأخير للشريعة والتشريع فهو الشارع الذي يعلم ما ينفعه.

لذلك فالنظرة الوضعية للمشكلة الاقتصادية تختلف عن النظرة الدينية ولا سيما الدين الإسلامي.

المطلب الثاني: المشكلة الاقتصادية (تعريفها، أسبابها):

المشكلة الاقتصادية: تنشأ من ندرة وسائل إشباع الحاجات ويحاول كل مجتمع أن يوجد الحل الملائم لها، وتنشأ المشكلة الاقتصادية من عدة أسباب منها[1]:

١- الحاجات الكثيرة المتعددة بسبب التقدم الحضاري وزيادة عدد السكان حيث إن نسبة الزيادة السكانية في العالم قد تصل إلى ٣٪ سنوياً فيمكن أن يتضاعف عدد سكان العالم كل ٣٥ سنة.

٢- اختلاف الأفراد بالميول والأذواق فكل فرد له ميوله الخاصة ويسعى لتلبية حاجات تأخذ الأولوية عنده دون غيره.

٣- قلة وسائل الإشباع للحاجات.

٤- صلاحية وسائل الإشباع لاستعمالات بديلة، فالأرض تكون وسيلة إشباع إما لحاجات غذائية فتخصص للزراعة، أو وسيلة لإشباع حاجات سكنية فيقام عليها مباني أو... ومجرد استخدامها في تلبية حاجة ما يعطل الجانب الآخر.

---

(١) موسوعة الاقتصاد الإسلامي، جمال: ٣٠-٣٤، الاقتصاد الاجتماعي، هاشم: ٢١.

النظم الرأسمالية: حددت المشكلة الاقتصادية بأنها ناشئة عن قلة الموارد الأولية التي تستخدم في إنتاج السلع، إضافة لتملك أصحاب المال والأغنياء وسائل الإنتاج دون غيرهم، ووضع بعض الاقتصاديين حلاً لهذه المشاكل الاقتصادية وذلك بأن يزيد أصحاب رؤوس الأموال إنتاج السلع ويسعوا لتأمينها، دون تدخل الدولة بل يعمل هؤلاء بمقتضى الحرية الاقتصادية، إلا أن ذلك لم يكن حلاً مناسباً؛ لأنه أعطى لأصحاب الأموال حريةً مطلقة على حساب المجتمع، وجعل تحكم الملاك بالإنتاج مولداً لحاجات جديدة يفرضونها عن طريق الدعاية والإعلانات والترويج لها...[1].

فذلك أدى إلى نشوء مشاكل اقتصادية جديدة وانتشار الفقر بين أفراد المجتمع، وباعتبار الفقر من أشد المشاكل الاقتصادية فوضع المجتمع الرأسمالي حلاً لها، وذلك بفرض ضرائب على أصحاب الأموال لتخفيف حدة الفقر، ولكن هذه الضرائب لم تؤد إلى حل لأن مرجعها إلى جيوب الملاك، وذلك عن طريق استهلاك المنتجات التي قد تم فرضها على المجتمع، لأن هذه الأموال التي يحصل عليها الفقراء ويشترون بها المنتجات إنما ترجع للمنتجين وهم الملاك.

النظم الاشتراكية: اعتبرت المشكلة الاقتصادية ناتجة عن شكل الإنتاج حيث يوجد تناقضٌ بين قوى الإنتاج وعلاقات التوزيع، ويرجع ذلك إلى أن الدولة هي التي تحرك النشاط عن طريق التخطيط من وجهة نظرها، ومن حيث اعتباراتها الخاصة للحاجات الاقتصادية بالنسبة لأفرادها، مما أدى لتجاهل الحاجات الفردية وإهمال بعض الفئات المنتجة خارج الإطار الاقتصادي المرسوم من قبل الدولة، مع رفض التملك الفردي فأدى ذلك لرفض الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج وجعل ذلك محصوراً في ملكية عامة.

وأما الفئات المنتجة الجديدة في المجتمع من أطباء ومهندسين وعلماء... لم تجد لها مكاناً في مجتمع لا يعطي وزناً للإبداعات الفردية.

وبسبب الإخلال بالتوازن في المجتمع أدى ذلك لانهياره ونشوء مشاكل اقتصادية يتعذر إيجاد حلول لها.

---

(١) موسوعة الاقتصاد الإسلامي، جمال: ١٠٢-١٠٥.

المطلب الثالث: الاقتصاد الإسلامي:

اهتم الإسلام بجميع نواحي الحياة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية...

وللجانب الاقتصادي في المجتمع الإسلامي أهميةً كبيرة، حيث حدد كيفية إشباع الحاجات الاقتصادية والتخطيط الاقتصادي القائم على المنهج الإسلامي في ضوء القرآن والسنة وتعميمه على سائر أفراد المجتمع.

فالمعاملات من بيوع وإجارة ورهن وشركة... الخ بُينت في كتب الفقه الإسلامي وشرحها الفقهاء (رحمهم الله) وبينوا كيفية التعامل بين أفراد المجتمع القائم على النهج الإسلامي.

وبما أن علم الاجتماع الإسلامي علمٌ مستقل وله فروع عدة فلقد خصص فرعٌ يتناول الاقتصاد في المجتمع الإسلامي وسمي علم الاقتصاد الإسلامي ويُعرف: «هو مجموعة الأصول العامة الاقتصادية التي نستخرجها من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو البناء الاقتصادي الذي يُقام على أساس تلك الأصول حسب كل بيئة وعصر»[1].

إضافة إلى وجود سلوك اقتصادي إسلامي ينبغي لجميع أفراد المجتمع تمثله أثناء تلبية الحاجات الاقتصادية وإجراء المعاملات بين الأفراد.

فالأمانة والصدق وأداء الحقوق والتزام الوعود... الخ سلوكٌ يجب أن يتمثله جميع الأفراد أثناء تلبية حاجاتهم الاقتصادية، ويجب الابتعاد عن الغش والتدليس والغرر والاحتكار والاستغلال...الخ لأن هذه الأفعال المنهي عنها تؤثر على العلاقات الاقتصادية في المجتمع لذلك اعتبر السلوك الاقتصادي الإسلامي ناظماً لعمليات الاقتصاد في المجتمع، وعلى كل مسلم أن يعلم التصرفات الجائزة والمنهي عنها.

والإسلام أقام توازناً بين الملكية الجماعية والملكية الخاصة و لم يضحِ بأحدهما على حساب الأخرى كما فعل النظام الرأسمالي والشيوعي.

---

(١) موسوعة الاقتصاد الإسلامي، جمال: ١٥.

ولذلك الإسلام أقر بوجود حاجات فردية وحاجات جماعية[1].

حاجات فردية: لكل إنسان على حده حاجات يختص بها، ويسعى لتلبيته وهذه الحاجات تضمن للإنسان كرامته وحياته كالطعام والمسكن والملبس والاستقرار والشعور بالأمان.

قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف: ٣١/٧].

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش: ٤/١٠٦].

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣/٢].

قال تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ [الطلاق: ٦/٦٥].

وهذه الآيات الكريمة تبين الحاجات الفردية لكل فرد في المجتمع من مأكل ومسكن وملبس وأمن.

حاجات عامة أو جماعية: وهي حاجات يتطلب المجتمع قيامها ليكون مجتمعاً قوياً مكتفياً، وهذه المسؤولية تبرز في عدة نواحي منها:

الحفاظ على أمن المجتمع بشكل عام وهي مسؤولية جميع الأفراد.

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠/٨].

وكذلك ما يحتاجه المجتمع من أعمال وصناعات وتعليم وتربية لا يصلح إلا بها ويسبب تركها إضراراً تصيب أفراد المجتمع «وتعتبر هذه الحاجات فروضاً كفائية يأثم المجتمع بتركها لأن حياة الأفراد لا تقوم وتستقر إلا بوجود القائمين بهذه الأعمال».

يقول الإمام الغزالي: «فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق فانتظام أمر الكل بتعاون الكل».

قال ابن عابدين في حاشيته: «وأما فروض الكفاية من العلم فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب والحساب والنحو واللغة وأصول الصناعات

(١) إشباع الحاجات الاجتماعية، عبد السلام: ٣٥-٣٨.

و نخلاحة...» وهناك قاعدة فقهية مفادها: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وهذا التنظيم الإسلامي لحاجات الأفراد وحاجات المجتمع، قد رُتب على أساس الأولويات وما يقوم به صلاح المجتمع فرتبت الحاجات على النحو التالي:

١- **الضروريات**: وهي كل ما يحتاجه الفرد والمجتمع ولا يمكن الاستغناء عنه ولا تقوم مصالح الدين والحياة إلا بهذه الضروريات، ويحفظ بها الكليات الخمسة الدين ثم النفس ثم النسل ثم العقل ثم المال.

فكل ما يحفظ به الدين هو ضروري من إقامة المساجد وأحكام الدين وإعداد العلماء والحفاظ على الدين والنيل ممن يريد به سوءاً أو تهديماً أو المس به.

والنفس: ضروري حفظ الأفراد وأمنهم من إقامة الحدود التي تردع من يريد إزهاق الأرواح أو الإضرار بالآخرين.

النسل: إن الحفاظ على سلامة المجتمع يتطلب تيسير سبل الزواج ومؤنه ومنع كل ما يمس بذلك من انتشار السفاح والزنا للحفاظ على الأنساب والصلات بين أفراد الأسرة.

العقل: تعميم التربية في المجتمع والتنشئة على العلوم النافعة والوقوف بوجه الغزو الفكري الذي يريد النيل من ثقافة المجتمع وكذلك منع كل ما يؤثر على سلامة عقول الأفراد من انتشار الخمور والمخدرات وكل ما يؤثر على العقول.

المال: وهو عصب الحياة الاقتصادية في المجتمع لذلك يجب أن يكون كسبه مشروعاً وفقاً للسلوك الاقتصادي الإسلامي ويجب منع الكسب غير المشروع كالاختلاس والسرقة ويجب إقامة العقوبات الشرعية على هذه الأفعال المحرمة حفاظاً على سلامة المجتمع.

وكل ما هو ضروري يجب تلبيته لأفراد المجتمع لأن حياتهم لا تتم إلا به.

٢- **الحاجيات**: وهي من الأمور التي تكون بها الحياة أكثر يسراً، والحرج فيها مرفوعاً وعدم توفرها يؤدي لوقوع الحرج. قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٢٢/٧٨].

والحاجيات تتنوع على حسب الزمان والمكان فقد تعتبر بعض الأدوات الكهربائية في عصرنا من الأمور الحاجية (كالثلاجات والأفران وأدوات الطهي ووسائط النقل...) مع العلم أنها لم تكن في عصر سابق من الحاجيات، وعدم توفرها قد يؤدي للوقوع في الحرج.

وأجمع العلماء على عدم جواز اقتناء حاجية في المجتمع، مع وجود فردٍ ينقصه بعض الضروريات، وهذا من باب التضامن الإسلامي في المجتمع وهذا التضامن الإسلامي قائم على الأخوة والبر قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٠]. وقال ابن مسكوية: «إن التضامن في المجتمع الإسلامي يرجع إلى الدين بإقامة الشرائع والعدل الذي هو طريق المساواة بين المسلمين».

٣- الكماليات/ أو التحسينات: وهي الأمور التي تصبح فيها حياة الفرد أمتع وأفضل، كالاهتمام بجمالية البيت وهندسته، واقتناء سيارة حديثة أو ...

ويجب الحفاظ على الترتيب التالي: الضروريات ثم الحاجيات ثم الكماليات لأن ذلك يقي المجتمع من الوقوع في أزمات اقتصادية وفي ذلك حض على التعاون والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

وكما لا يجوز اقتناء حاجية مع حاجة فردٍ لأمر ضروري كذلك يقال في الكماليات.

المطلب الرابع: المشكلة الاقتصادية في الإسلام وعلاجها:

لم يُرجع الإسلام المشكلة الاقتصادية إلى قلة موارد الإنتاج أو شكل الإنتاج إنما يرجع ذلك إلى سوء استخدام الإنسان للثروات، وسوء تنظيمه الاقتصادي في توزيع الثروات والدخول المعاشية والابتعاد عن السلوك الاقتصادي الإسلامي.

فالإنسان مستخلف في الأرض استخلاف إدارة واستثمار وتنمية وهذا الاستخلاف تكليف لا يتم أداؤه إلا باتباع أوامر الله عز وجل ومارضيه للإنسان من معاملات على هذه الأرض، والإسلام بإقراره للملكية الجماعية والملكية الخاصة لا يعتبر التفاوت في المعيشة مشكلة اقتصادية، لأن أفراد المجتمع يختلفون بالخصائص والصفات النفسية والفكرية والجسدية ولذلك قد يبذل بعض الأفراد جهداً أكثر من

الآخرين وذلك يحقق لهم مكاسباً أكثر وتملكاً قد يزيد على بعض أفراد المجتمع، ولكن المشكلة تحدث إذا أصبح التفاوت شديداً بين أفراد المجتمع وولَدَ ذلك طبقات في المجتمع كأن يصير بعض أفراد المجتمع أغنياء وبعضهم مُعدم وعندها تكمن المشكلة.

وهذه المشكلة لها حلول عديدة في الإسلام تقوم على التكافل والتضامن الاجتماعي ومنها أداء الفروض المالية:

١- الزكاة وهي فريضة على كل مسلم ملك نصاباً زائداً عن حاجته الأساسية وتُصرف هذه الزكاة إلى الأصناف الثمانية قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩/٦٠].

فإن لم تف الزكاة بالغرض فيمكن أن يفرض على الأغنياء من المسلمين مبلغاً من المال يؤدونه كواجب اتجاه مجتمعهم (ضريبة) قال رسول الله ﷺ: **«إن في المال حق سوى الزكاة»**[1].

ويدخل هذا الحق في باب التكافل والتضامن في المجتمع الإسلامي، ويأخذ صفة الإلزام والإجبار لأن أفراد المجتمع أخوة ولا يصح تملك حاجية مع فقد بعض أفراد المجتمع لأمر ضروري.

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٢/١٧٧].

وذكر القرطبي إن ذكر إيتاء المال والزكاة دليل على اختلافهما وأن كلاً منهما هو حق مفروض.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الزكاة، باب في المال حق سوى الزكاة.

والنبي ﷺ كان يدعو القادرين إلى البذل لتجاوز الأزمات التي يمر بها مجتمع فكان الصحابة يسارعون لدفع أموالهم بكل رضا وتسليم.

والقاعدة تقول: «يتحمل الضرر الخاص في سبيل دفع الضرر العام» وذلك حفاظاً على المجتمع من التدهور وتأزم المشاكل فيه.

وهناك قيود على فرض الضرائب فلا تكون بشكل عشوائي بل يراعى فيها مايلي:

١- وجود حاجة عامة حقيقة واجتماعية.

٢- عجز سائر الفروض المالية عن تلبية الحاجات.

٣- عدم وجود إسراف وتبذير في أي مرفق من مرافق الدولة.

وكما يوجد طرق إجبارية، يوجد طرق اختيارية قائمة على التعاطف الاجتماعي كالصدقة والتبرع والإيثار والإحسان ...الخ، فهي أيضاً تساهم في تجاوز الأزمات الاقتصادية[1].

يقول "ويلز": «إن الإسلام خلق مجتمعاً أكثر تحرراً من القسوة والظلم الاجتماعي من أي مجتمع آخر»[2]، بل المجتمع الإسلامي تحرر نهائياً من القسوة والظلم الاجتماعي لأن العلاقة لم تبق مجرد علاقات يفرضها الاجتماع وتلبية للحاجات بل أصبحت علاقات إيمانية وروابط أخوية قائمة على محبة الخير للآخرين كما يحب كل فرد لنفسه.

كيف وضع الإسلام حلاً لمشكلة الفقر؟

أولاً: حض الإسلام على العمل وقال رسول الله ﷺ: «**طلب كسب الحلال فريضة**»، وقال الدلجي: «إن الفقراء مسؤولون عن تقصيرهم لعدم قصدهم العيش والعمل واستدل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ

---

(١) تمويل التنمية، شفيق دنيا: ٣٨٢، موسوعة الاقتصاد الإسلامي، جمال: ٤٤/٤٥.

(٢) موسوعة الاقتصاد الإسلامي، جمال: ٥٨.

﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ فقال: إنهم مسؤولون عن تقصيرهم في السعي على العمل»[١]. (مكافحة الفقر على مستوى الفرد).

ثانياً: مكافحة الفقر على مستوى المجتمع وذلك بدفع المجتمع نحو العمل وتأمين فرصه ليسعى الأفراد جميعاً للعمل فبذلك لايكون للفقر مكاناً بينهم وسيدنا علي ﷺ كان يقول: «**لو كان الفقر رجلاً لقتلته**»، لأن الفقر لا يعوق الحياة فقط بل يعوق أيضاً مزاولة العبادة والالتزام الخلقي لانشغال النفس وعدم حضورها، لذلك التخلص من الفقر واجب ديني واجتماعي.

ثالثاً: تحقيق التضامن الإسلامي بين أفراد المجتمع قال أبو ذر الغفاري: «لا يجوز للمسلم أن يملك شيء يفوق حاجته الغذائية ليوم وليلة ما لم يكن ذلك مخصصاً للإنفاق في سبيل الله والمجتمع بغية مرضاة الله»[٢].

ويتحقق التضامن بعد أداء الفروض المالية وتترتب فروض أخرى إن لم تف الأولى بالغرض مع التأكيد على الوجوه الخيرية من صدقة وبر وتبرع .. كما تم شرحه مسبقاً.

المطلب الخامس: التعامل الربوي وموقف الاقتصاديين والدين الإسلامي منه.

إن طبيعة الاستثمار الحديثة في المجتمعات المعاصرة يغلب عليها التعامل الربوي سواء في التعامل المصرفي والبنوك أو بعض الشركات ونظراً لأهمية هذا الموضوع نبحث في مشروعيته ونظرة الاقتصاديين له.

اعتبر الاقتصاديون نظام الفائدة دافعاً لعجلة الاستثمار حيث تؤمن القروض مشاريع استثمارية وتنموية. ولقد وضعوا نظريات تبرر الفوائد (الربا)[٣].

المبرر الأول: إن الحاجة إلى رأس المال من أجل إدخاله في عمليات الاستثمار تدعو لدفع مبالغ مقابل تخلي الفرد عن حبسه للمال في يده، وذلك لمدة مؤقتة، فبدلاً من أن يكون المال محبوساً دون استثمار، تكون الفائدة دافعاً للاستثمار.

---

(١) المرجع السابق: ٤٧-٥١.

(٢) المرجع السابق:

(٣) الاقتصاد الاجتماعي، هاشم: ٣٣٧-٣٣٥، موسوعة الاقتصاد الإسلامي، جمال: ٨٢-٨٣.

ويُرد على ذلك بأن تخلي الفرد عن ماله لا يقابله مال، لأن المال لا يتجه إلا عن مال مثله مستخدم في الإنتاج أو عن طريق العمل، أما التخلي عنه لمدة لا يُرتب أجراً ولا مربحاً مع العلم أن هناك وجوه شرعية تسمح للفرد بالحصول على ربح منه. وذلك عن طريق الشركة الشرعية والمضاربة بحيث يدفع ماله لمن يتاجر به والربح والخسارة بينهما.

المبرر الثاني: إن البنوك والمصارف تقوم بمهمة تسهيل تمويل رأس المال النقدي حيث يُكونا صلة بين واضع المال والمستثمر وبسبب قيامهما بهذه المهمة يأخذان مبلغاً من النقود مقابل هذا العمل.

ويرد على ذلك أن ما يقوم به البنك هو عمل غير شرعي فهو ييسر عمليات ربوية ويشجع عليها وذلك لا عبرة له في ميزان الشرع.

المبرر الثالث: وأسموه المبرر الاقتصادي الحديث «قالوا إن الفكر الاقتصادي الحديث يرى أن تقاضي الفائدة على رأس المال يعتبر مشروعاً طالما أن المال المقرض يستعمل في عمليات إنتاجية تدريجياً، وهو ثمن عادل لحرمان صاحب المال من استعماله في الحاضر».

ويُرد على ذلك إن المال المقرض لا يُستخدم دائماً في عمليات إنتاجية، بل في معظم الأحيان يكتفي بعملية الإيداع والإقراض دون دخوله في عمليات إنتاجية، ولو استخدم في عمليات الإنتاج فلا يستحق ربح ثابت لأن في ذلك تعامل ربوي، بل يجب أن يستخدم المال عن طريق استثمار صاحبه له واستحقاقه جزء شائع من الربح، كذلك يتحمل الخسارة في حال وقعت، أما إعطاء أرباح دائمة ومحددة بغض النظر عن عمليات الإنتاج ومكاسبها أو خسارتها فهذا تعامل ربوي غير مشروع.

إن سيادة التعامل الربوي في المجتمعات المعاصرة دليلٌ على النظرة المادية التي تقوم عليها المجتمعات وانصرافها عن التعاليم الدينية، وهذا المفهوم الجديد عطّل كثيراً من المعايير الأخلاقية في المجتمعات وأصبح الهدف من الاستثمار المالي الربح بغض النظر عن مشروعيته، وتعطلت أهداف المال الذي لأجله خلق، فلم يعد في هذه

المجتمعات تكافل أو تضامن اجتماعي أو صدقات وزكاة وأعمال بر.. وتعطل المال في هذه الوجوه من جانبين:

الجانب الأول: هو كون هذا المال دخل فيه الربا فلم يعد مالاً حلالاً فلا تصح الصدقة ولا الزكاة ولا أي وجه خيري أو فرض مالي، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

الجانب الثاني: إن سيادة النظرة المادية وتعطل الجانب الروحي صرف الناس عن التعاليم الدينية والواجبات الاجتماعية...

الإسلام حرم الربا لما فيه من أضرار كثيرة على الفرد والمجتمع، وأقام علاقات بديلة للتمويل والاستثمار بطرق مشروعة تسمح لصاحب المال أن يستفيد من الاستثمار وجني أرباح من أمواله، ومن هذه الطرق المشروعة الشركة القائمة على تشغيل الأموال والمضاربة والإجارة.... الخ.

الأدلة على تحريم الربا:

١- القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢/٢٧٨-٢٧٩].

وهذا وعيد لمن لم يذر الربا، والحرب داعية القتال وتدل على أن أكل الربا والعمل به من الكبائر ولا خلاف في ذلك[1].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢/٢٧٥].

أرادوا نظم البيع والربا في سلك واحد فرد الله على قياسهم الفاسد لأنه معارض للنص فقال إنما هو عمل الشيطان ولا يمكن جعل الإمهال عوضاً لأن الإمهال ليس مالاً حتى يقابله مال[2].

---

(١) أحكام القرآن، القرطبي: ٣٢٩-٢/٣٣١.

(٢) روح المعاني، آلوسي: ٧٩-٣/٨٢.

٢- السنة النبوية:

وردت أحاديث كثيرة تنهى عن الربا وتعده من أكبر الكبائر.

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات** -وعدّ منها- **أكل الربا**»[١].

عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه**»[٢].

وهذا الحديث يبين أن اللعن يلحق كل من يروج وييسر التعامل الربوي إضافة لمن يتعامل به.

٣- الإجماع: أجمع العلماء على حرمة الربا استناداً للقرآن والسنة[٣].

٤- إن الآثار السلبية التي يُحدثها التعامل الربوي في المجتمع يكفي دليلاً على تحريمه ومنها[٤]:

- فهو يشجع (أي: الربا) على الاكتناز ويؤدي إلى حدوث الانكماش في الاقتصاد في دائرة التبادل في السلع والمنتجات.
- ارتفاع الأسعار.
- انتشار البطالة.
- أزمات الطاقة في العالم.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا باب (إن الذين يأكلون...) رقم ٥٤٣٢. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر: ٨٩/١٤٥.

(٢) سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في الربا ١٢٠٦. سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب أكل الربا ٣٣٣٣.

(٣) الإجماع، ابن المنذر: ١٠٦-١٠٧.

(٤) البنك الإسلامي، ماجد علي: ١٦٧-١٧١، موسوعة الاقتصاد الإسلامي، جمال: ١٥٠، نظام البنك الإسلامي، سولياك: ١٤-١٦، موقف الشريعة الإسلامي، عبادي: ١٨، طبقية المجتمع الأوربي، بهي: ٧٠-٧١.

- تشجيع الربا أدى لإلغاء الزكاة والصدقة التي تفيد أساس التكافل الاجتماعي ومصدر التمويل في الاقتصاد الإسلامي.

- يؤدي للتضخم المالي.

- يركز الأموال في أيدي فئات قليلة في المجتمع.

- إن رؤوس الأموال العالمية اتجهت للاستثمار عن طريق الأقراض الربوية بنسبة ٤٪ بينما يتم استخدام الأموال في الاستثمارات الحقيقية ٣٪.

يقول الباحث الاقتصادي سيليفوجيزل «إن نمو رأس المال يعوقه معدل فائدة النقود ولو أزيلت هذه العقبة لتضاعف نمو رأس المال في العصر الحديث».

نعم فهذه شهادة من المجتمعات التي تتعامل بالربا، فلقد أخطأت النظريات المبررة للفائدة بل أصبحت الفائدة تعوق نمو رأس المال، وتسبب أزمات عديدة وهذه حقيقة أكد عليها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً.

والحقيقة هي أن المال المودع في البنوك بقصد الاستثمار لا يُثمر بل يُقدم كقروض للآخرين مقابل زيادة تُرد مع المبلغ بعد مدة محددة فلم، يعد هذا المال يدخل في الاستثمار بل الفرد يضع ماله في البنك مقابل فائدة، والبنك يقرض المال للمقترض مقابل مبالغ زائدة على المبلغ، يتقاسمها البنك وواضع المال.

لذلك فإن مالكي الأموال انصرفوا عن الاستثمار تحاشياً لمخاطره، وآثروا وضعه بالبنوك وأخذ أرباح دائمة عليه.

وبذلك لم يؤد المال الغرض المطلوب منه في المجتمع، فلم تنشأ مشاريع إنتاجية تحقق فرص عمل لأفراد المجتمع وهذا سبب بطالة وفقراً في المجتمع.

يقول ابن القيم: «الأصل في العقود العدل الذي بعثت به الرسل، والشارع نهى عن الربا لما فيه من ظلم، ونهى عن الميسر لما فيه من ظلم، وما نهى النبي ﷺ عنه في المعاملات داخل في الميسر والربا»[1].

---

(١) أعلام الموقعين، ابن القيم: ١/٢٨٤.

الفصل الخامس

وفيه ثلاثة فصول، الأول يتحدث عن المشكلة الاجتماعية، والثاني يتحدث عن المجتمع، والثالث خُصص للحديث عن العولمة.

المبحث الأول: المشكلة الاجتماعية:

تعريفها – مفهومها – أنواعها.

المشكلة السكانية – المشكلة البيئية – المشكلة الاقتصادية – المشكلة الأسرية... الخ.

دراسة مشكلة الطلاق في المجتمعات أسبابها – وعلاجها في المسيحية.

الطلاق في الإسلام: العلاج الوقائي من الطلاق – القائم على حسن الاختيار والتدرج بعلاج المشاكل الزوجية.

المبحث الثاني: المجتمع:

تعريف المجتمع – تعريف الجماعة وأقسامها

الشكل الأمثل للاجتماع البشري.

قيام المجتمع الإسلامي في المدينة وأعمال النبي ﷺ في المدينة المنورة.

المجتمع الأمريكي: دراسة: الأحوال الاجتماعية من الناحية الدينية – الاقتصادية – الأسرية – الحرية ...الخ.

المجتمعات الأفريقية – تنوعها – نشاطاتها الاقتصادية – الوضع الديني.

المجتمع الأوربي – الطبقية التي يقوم عليها المجتمع الأوربي.

المجتمع الإسلامي المعاصر.

العولمة مفهومها – وأثرها.

المبحث الثالث: العولمة، تطور الاتصالات في العصر الحالي.

المبحث الأول
المشكلة الاجماعية

المشكلة الاجتماعية: قد تُوْجَد في المجتمع مشكلات تطغى على العلاقات الاجتماعية وقد تكون هذه المشاكل عامة تعم جميع المجتمعات كمشكلة التلوث البيئي أو مشكلة الاحتباس الحراري وقد تكون المشكلة خاصة بمجتمع ما كانتشار الجريمة في سن الأحداث أو مشكلة هجرة الأدمغة أو...[1].

المطلب الأول: مفهوم المشكلة الاجتماعية – وأنواعها:

المشكلة الاجتماعية تتعدى علاقات الأفراد إلى البيئة والاقتصاد والأمور السياسية ... فكل ما يمس بالمجتمع ويسبب عدم تناسق في العلاقات الاجتماعية ويؤدي لخروجها عن المألوف، يدخل تحت المشكلة الاجتماعية.

وهناك مشاكل اجتماعية متعددة نذكر منها:

آ – المشكلة السكانية: وترجع إما إلى زيادة عدد السكان أو نقصان عددهم:

١- الزيادة السكانية: حيث يزداد عدد السكان فتنشأ مشكلة، لأن عدد السكان أكبر من الطاقة الإنتاجية، وذلك يسبب فقراً وبطالةً...

والزيادة السكانية ترجع إلى الزيادة الطبيعية وكذلك الهجرة الداخلية والخارجية.

٢- النقص السكاني: حيث يكون عدد السكان قليل، لا يتناسب مع توفر فرص العمل وعمليات الاستثمار، والحاجة تدعو إلى أيدي عاملة وتحل هذه المشكلة بالهجرة إلى هذه المجتمعات.

---

(١) مقدمة في علم الاجتماع، عثمان: ٣٠٨-٣١١.

ب- المشكلة البيئية: تؤثر على المجتمع وتنعكس عليه كلياً فمشكلة نقص الماء وتلوث التربة والماء والهواء والبحر ... إضافة إلى ما تطرحه المعامل والمصانع من نفايات صناعية قد أدت لتلوث في الأنهار والبحار والتربة. وما يتسرب من حاملات النفط في المحيطات والبحار كل ذلك ينعكس على الحياة في المجتمع ويتطلب تكيفاً مع هذه الأوضاع الجديدة ومعالجة هذه المشكلات للتخفيف من آثارها على المجتمع.

جـ- المشكلة الاقتصادية: كانتشار الفقر في العالم ولقد وصلت نسبة الفقر المدقع في العالم إلى ٢٠-٣٥٪ أي يوجد بليون شخص في العالم يعاني من الفقر الشديد ويرجع ذلك لقلة الموارد وانتشار الجهل والتخلف، وما فعله الاستعمار في بعض الدول من استغلال واستنزاف للثروات، سبب الفقر والمجاعة ولا سيما في دول أفريقيا.

د- مشكلات معاصرة كانتشار تجارة المخدرات وتعاطيها، وانتشار الجريمة بين الأحداث، والتنظيمات المسلحة المعتمدة على السطو وغيرها من المشاكل التي ترجع إلى عدم وجود قوانين ضابطة، وانعدام المعايير الاجتماعية والدينية والأخلاقية والتربوية.

هـ- المشكلات الأسرية: قد تنشأ في الأُسر مشاكل عديدة كالطلاق، والخلاف بين الزوجين، وتشرد الأبناء، وانعدام الصلة بين الأبوين والأبناء، وانعدام الروابط الأسرية...الخ.

المطلب الثاني: دراسة مشكلة الطلاق في المجتمعات - أسبابها - وعلاجها

ولنبحث في مشكلة الطلاق في المجتمعات:

الطلاق: هو فصم الرابطة الزوجية، وإنهاء هذه العلاقة، واعتبر الطلاق مشكلة اجتماعية لأنه لا يخص المنفصلين فقط، بل أثره يتعدى إلى كل المجتمع فيؤثر على الأبناء والأقرباء والجوار والعائلات... حتى يصل ذلك إلى كل المجتمع.

ونظر علماء الاجتماع إلى الطلاق بأنه ناتج عن الخلافات والنزاعات الزوجية، بسبب ضعف التفاعل الاجتماعي والعاطفي بين الزوجين، مما يؤدي إلى تحلل الروابط

الوجدانية والنفسية والجنسية، وهذا يؤدي إلى تيبس في التفاعل الاجتماعي وبالتالي ينتج عنه حل الرباط الزوجي.

وترجع أسباب الطلاق إلى عدة أمور منها[1]:

١- الزواج المبكر وذلك لعدم النضج الفكري والاجتماعي.

٢- قصر فترة التعارف.

٣- اختلاف الأمزجة والأهواء والتخطيط للمستقبل.

٤- الغيرة العمياء.

٥- سوء الاختيار

٦- تدخل الأهل بشؤون الزوجين.

الطلاق في المسيحية: رفضت الكنيسة الأخذ بحق الزوجين في الطلاق بإرادة منفردة، ولا يسمح لهما بحل الرابطة الزوجية إلا بناءً على حكم يصدر من الجهة المختصة بالتطليق، التي يُقدم إليها طلب الطلاق بناءً على حالة يُسمح بها، ومن هذه الحالات[2]:

١- زنا أحد الزوجين.

٢- سوء سلوك أحد الزوجين وإحداث أضرار جسدية بالآخر.

٣- العجز الجنسي.

٤- مرض الجنون وفقد العقل.

ومع هذه القيود التي قيدت الكنيسة بها الطلاق، دُفع الكثير من أفراد المجتمع لإجراء علاقات غير شرعية أو إمضاء زواج خارج الكنيسة كالزواج العابر والمفتوح الذي لا ينشأ عنه طلاق بل يتم إنهاء العلاقة برضا الشخصين أو برغبة أحدهما.

---

(١) علم اجتماع الأسرة، معن: ٢٣٥-٢٣٧، ظاهرة الطلاق، آمال عبد الرحيم: ٤٥-٥٠، الزواج وتطور المجتمع، سركيس: ١٨٤.

(٢) تطور المجتمع، سركيس: ١٨٤، علم اجتماع الأسرة، معن: ٢١٠-٢١٢.

الطلاق في الإسلام: دائماً يضع الإسلام العلاج الوقائي لكي لا تقع المشكلة بالأسس؛ لذلك عندما شرع الزواج ومنع غيره، وضع للزواج شروط وقيود وآثار مترتبة عليه، وحض الإسلام الزوج على حسن الاختيار فقال رسول الله ﷺ: «**تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء**»[1] وهذا حض للزوج أن يختار الزوجة المناسبة لأن ذلك يؤثر عليه وعلى ذريته.

وقال رسول الله ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[2].

ولقد بَيَّن رسول الله ﷺ أن دافع الارتباط بالزوجة عند الإنسان يكون لأجل المال، أو الجمال، أو الحسب، ولكن الدين هو الأساس وهو المغنم والذي يجب أن يكون الدافع الأول والأخير.

- قال رسول الله ﷺ: «**لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يؤذيهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين. ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل**»[3].

- وكلف الإسلام الأبوين بتربية الأبناء تربية صالحة وتهيئهم لأخذ أدوارهم الاجتماعية في المستقبل، فيصبح هؤلاء الأبناء في المجتمع صالحين لهذه العلاقات الاجتماعية.

حض الإسلام الولي والفتاة على القبول بالشاب المقدم على الزواج إن كان ملتزماً بدينه قولاً وعملاً.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[4].

ولا يجوز للولي أن يجعل ابنته أو من هي تحت ولايته سلعةً تباع، أو هماً يريد التخلص منه دون مراعاة صفات الزوج القائمة أولاً على الدين.

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الأكفاء، رقم ١٩٦٨.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين، رقم ١٨٥٨.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين، رقم ١٨٥٩.

(٤) سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، ١٠٨٤.

كل هذه الوصايا التي تحض على حسن الاختيار للزوجة أو الزوج تمنع وقوع الخلافات الزوجية، مع التأكيد على قيام كل من الزوجين بواجباته نحو الآخر. وانتهاج نهج الإسلام في الحياة الزوجية وعندها يستحيل وقوع الطلاق.

وفي حال وقع الخصام بين الزوجين، وكان الزوج هو الناشز فعلى الزوجة أن تنصحه وتذكره بما أمره الله، وبوعوده التي قطعها على نفسه فإن اشتد ظلمه تترافع لأقاربه أو وليها لحل هذا النزاع، أو رفع أمرها للقاضي لكي يبين له الصواب ويوجهه إلى حسن المعاملة.

قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرا**»(٢).

وفي حال كان النشوز من الزوجة فعلى الزوج اتباع الترتيب الآتي(٣):

١- على الزوج أن يذكر الزوجة بما أوجب الله عليها من حقوق وماذا يترتب على نشوزها من فقدان الكثير من حقوقها.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: ٤/٣٤].

٢- الهجر في حال أصرت المرأة على النشوز وسوء الأخلاق، ولم تتعظ يلجأ الزوج للهجر في نفس المضجع ولا يزيد الهجر على ثلاثة ايام إلا إن كان لسبب شرعي.

٣- الضرب غير المبرح: وهذا لا يتم إلا في حالة تكرر النشوز وعدم نجاعة الأساليب الأخرى من وعظٍ وهجر، ويشترط في الضرب أن يعتقد إفادته وأن يكون غير مبرح. والمقصود هنا من الضرب ليس استخفافاً بالزوجة أو استباحة إيذائها بل المعنى أكبر بكثير حيث يعني أن الزوج مستعدٌ للحفاظ على دوام العلاقة الزوجية وإن

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم ١٢١٨/١٤٧.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج، رقم ١٨٥١.

(٣) كشاف القناع، البهوتي: ٤/١٨٤، المغني، ابن قدامة: ٢٥٩-١٠/٢٦٠، الحاوي الكبير، الماوردي: ٩/٦٠، روضة الطالبين، النووي: ٣٦٧-٧/٣٦٩.

اضطر لأن يظهر بعض الخشونة في التعامل مع الزوجة ولا أرى في ذلك إلا دليلاً على حب الزوج للزوجة وتمنيه دوام العلاقة والرابطة بينهما وإن اضطره ذلك للخروج عن التوادد المألوف بينهما.

ولو كان ادعاء النشوز من كليهما فيعين حكمان، من أهل الزوج حكم ومن أهل الزوجة حكم، ويسعون للإصلاح بينهما ومحاسبة المسيء، وإن تعذر الصلح وأصرا على الفراق يُرفع الأمر للقاضي ويتم الطلاق ممن بيده عقدة النكاح، ويترتب على ذلك آثار من مهر مؤخر ونفقة وعدة ... الخ.

ويتم اللجوء للطلاق عند اليأس من استمرار الحياة.

قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة**»[1].

وهذا الحديث يؤكد على شدة الأمر في طلب الطلاق إلا لوجود سبب مقنع.

ويتم الطلاق درءاً لمفسدة كبرى وهي استحالة استمرار الحياة بين الزوجين، وانعدام المودة والرحمة بين الزوجين، وتكون المفسدة الأخرى وهي الطلاق أقل إفساداً فيقدم درء المفسدة الكبرى مقابل المفسدة الصغرى والله أعلم.

وحق الطلاق بيد الزوج يستخدمه في حالات اضطرارية كما تبين مما سبق، ويمكن إعطاء هذا الحق للزوجة في حال استحالت الحياة مع زوجها، وسبب لها استمرار الحياة معه جحيماً لا يطاق، فيجوز لها أن تطلب الطلاق على أن تدفع مبلغاً من المال (ويسمى هذا النوع مخالعة) حيث شكت امرأةٌ زوجَها للنبي ﷺ بأنها لا تعيب عليه خلقاً ولا ديناً ولكنها لا تطيق الحياة معه فقال لها ردي عليه الحديقة التي أمهرك إياها وطلب من الصحابي أن يطلقها، وهذا فيه من الحكمة الإسلامية الشيء الكثير حيث لم يجعله حقاً تعسفياً بيد الرجل يلوح به متى شاء، بل يمكن استخدامه من قبل الزوجة في حال تعذر الحياة مع الزوج مع تبيين أن أبغض الحلال إلى الله هو الطلاق والأولى عدم وقوعه ووصل الزوجين إلى هذه الحالة.

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب كراهية الخلع للمرأة.

المبحث الثاني

المجتمع

المطلب الأول: تعريف المجتمع والجماعة – والشكل الأمثل للتجمع البشري.

المجتمع: هو مجموعة من الأفراد تقطن بقعة جغرافية محددة ومعترف بها، وتتمسك بمجموعة من المبادئ والمفاهيم والقيم والروابط الاجتماعية والأهداف المشتركة، التي أساسها اللغة والتاريخ والمصير المشترك الواحد[1].

ويقيم الأفراد في مجتمعهم علاقات اجتماعية لإشباع حاجاتهم المتعددة وتتنوع هذه العلاقات بحسب الحاجات، ولا يتطلب من كل فرد إقامة علاقة مع جميع أفراد مجتمعه بل ببعض الأفراد الذي تربطه بهم حاجات اجتماعية واقتصادية.

فيتشكل داخل المجتمع جماعات اجتماعية.

وتعرف الجماعة الاجتماعية: بأنها مجموعة من الأفراد يربطهم رابط عام ثابت من العلاقة الاجتماعية، ويمتازون عن غيرهم بطراز سلوكي جمعي خاص بهم.

وتقسم الجماعة إلى قسمين[2]:

جماعة أولية: هي جماعة صغيرة ثابتة لحد ما، يتعاون أفرادها بصورة مستقرة ويتفاعل بعضهم مع بعض على أسس ودية وعلى صعيد شخصي.

جماعة ثانوية: تعتبر أقل أهمية من الجماعة الأولية، لأنها تتعلق بظواهر اجتماعية ثانوية بالنسبة للأفراد الذين ينتمون إليها ويطلق عليها (المنظمات الاجتماعية).

إن تنوع الجماعات في المجتمع الواحد هو دليل على اختلاف السلوك والميولات

---

(١)موسوعة علم الاجتماع، الحسن: ٥٥٠، قاموس علم الاجتماع، الجوهري: ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) موسوعة علم الاجتماع، الحسن: ٢٣٣-٢٣٥.

عند أفراد المجتمع، وقد يرجع ذلك لعدم وجود رابط يجمع افراد المجتمع ويدفعهم لإقامة علاقات فيما بينهم، إنما أصبحت روابط شخصية قائمة على المصالح الفردية القائمة على الكسب المادي وتلبية الحاجات الشخصية.

الشكل الأمثل للاجتماع البشري:

لا يعتبر التجمع العشوائي أو تشكيل جماعات متنقلة هو المستوى الأمثل في التجمع الإنساني، وإنما يظهر النمط الأمثل للاجتماع في تكوين مجتمع حضري مستقر تقام فيه علاقات اجتماعية واقتصادية تحقق الاستقرار لأفراد المجتمع.

ولقد حدد القرآن الكريم الشكل الأمثل للاجتماع وبيَّن أنه هو التجمع الحضري المستقر، فهو الذي يحقق الغاية من استخلاف الإنسان على هذه الأرض، وهو مناط الابتلاء، والله عز وجل أرسل الأنبياء إلى المجتمعات الحضرية وليس إلى بادية أو جماعات متفرقة أو مترحلة[1].

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف: ١٢/١٠٩].

وقال ابن كثير المراد بالقرى: المدن لا أنهم من أهل البوادي الذين هم من أجفى الناس طباعاً وأخلاقاً[2].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود: ١١/١٠٠].

وأنباء القرى: أي أنباء الأنبياء مع أممهم وما جرى لهم وكيف أهلك الله الكافرين ونجا المؤمنين.

وجميع الأنبياء الذين بعثهم الله عز وجل (وذكروا في القرآن الكريم) إلى أقوامهم أمثال: سيدنا إبراهيم ويونس ولوط وشعيب وموسى وعيسى ومحمد ... صلوات الله عليهم أجمعين، أرسلوا إلى أهل حضر؛ لأن الاستقرار يكون دافعاً للتلقي وأكثر استمرارية في التبليغ.

---

(١) الفكر التربوي العربي الإسلامي: ١٧٣-١٧٥.

(٢) مختصر ابن كثير: ٢/٢٦٦.

أما البادية فلم تذكر في القرآن الكريم إلا في مقام الذم؛ لأنها مقابل الاستقرار المدني، وكأنها تبليغ ودافع لهؤلاء لكي يستقروا ويقيموا علاقات اجتماعية وعن طريقها تتحقق الوحدة الاجتماعية والترابط بين أفراد المجتمع.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ [يوسف: ١٢/١٠٠]، أي أكرم الله أهل يوسف عليه السلام بأن أتى بهم من البادية إلى المدينة. وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ﴾ [الأحزاب: ٣٣/٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾ [الحج: ٢٢/٢٥].

ولم يتكلم القرآن عن البادية كمقابل للتجمع الحضري إلا في ثلاث مواضع وهذا يبين النمط الأساسي للتجمع البشري وما استخلفوا عليه وهو التجمع المدني، الذي يقوم على وحدة الأفراد والأرض وتقام في هذا المجتمع علاقات اجتماعية.

أما في حال عدم الاستقرار والتجمع العشوائي يتجرد الأفراد من الصفة الاجتماعية ويسعى كل منهم لحاجات فردية مستقلة.

المطلب الثاني: قيام المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة:

لا يخفى ما كان من أمر قريش من تكذيبهم لسيدنا محمد ﷺ في بداية بعثته، وكيف صبر هو وأصحابه رضوان الله عليهم، وعندما اشتد أذى المشركين، أمر النبي ﷺ المؤمنين بالهجرة إلى المدينة ثم تبعهم وصاحبه أبو بكر الصديق ﷺ، وكان المؤمنون من المهاجرين والأنصار ينتظرون سيدنا محمد ﷺ، وعندما وصل سيدنا محمد ﷺ وصاحبه استقبله المؤمنون بفرح عارم، ودعا كل منهم النبي ﷺ لأن يقيم في بيته، وجبراً لخاطرهم جميعاً قال النبي ﷺ بل أقيم بعد أن أقيم أول مسجد لله في أرضه، فحدد مكان المسجد وبدأ بينانه وهو دليل على عظمة المسجد وأهميته في حياة المسلمين، فهو دار عبادة واجتماع على الخير وتخطيط لأمور المسلمين وما فيه صلاحهم لذلك كان العمل الأول للنبي ﷺ في المجتمع الإسلامي[١].

---

(١) انظر هدي السيرة النبوية، اللحام: ١٦٤-١٦٥.

والعمل الثاني: قام النبي ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فكان النبي ﷺ يأخذ بيد المهاجر والأنصاري ويقول لهما أنتما أخوة، فينقلب ذلك فعلاً وتضامناً فيقوم الأنصاري بمشاطرة المهاجر كل ما يملك، ويقدم له أفضل مايملك وهذه الصور من التضامن والتلاحم الاجتماعي وانعدام الطبقية عجز التاريخ الإنساني والفلاسفة عن رسم صورة مشابهة لها.

وبلغ من الإيثار بين الأنصار والمهاجرين أن يعرض أحدهم على أخيه المهاجر كل شيء حتى يقول له عند زوجتين انظر أيهما تريد فأطلقها ثم تتزوجها أنت، فما يكون من المهاجر إلا أن يقول له بارك الله لك في أهلك.

وما هذه إلا صورة عظيمة من الإيثار والتطبيق الفعلي لأوامر الله ورسوله، ولقد آخى النبي ﷺ بين أبو بكر ﷺ وخارجة بن زهير، وبين بلال وأبي رويحة، وجعفر ومعاذ رضي الله عنهم أجمعين.

ويتضح من عمل النبي ﷺ:

١- دمج عناصر المجتمع الجديد بحيث تذوب كل الفوارق الطبقية من نسب أو غنى أو فقر.

٢- إلغاء الطبقية في المجتمع وذلك بتعميق الإخاء واعتبار أفراد المجتمع أخوة لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى.

٣- ربط أفراد المجتمع ببعضهم بأعمق الروابط (وهي الروابط الإيمانية) ويتجلى ذلك في الإيثار والتضحية والتعاون ... الذي ساد المجتمع.

٤- التجرد من الأنا والاتجاه إلى المجتمع ككل فالخير هو الذي يعم المسلمين جميعاً.

العمل الثالث: إقامة المجتمع الإسلامي على النهج الرباني الذي ارتضاه الله لعباده، وذلك في تعميم التربية الإيمانية الإسلامية في المجتمع في جميع نواحي الحياة، ولم يرفض النبي ﷺ وجود جماعات في المجتمع الإسلامي الجديد من يهود، ومشركين ممن بقوا على وثنيتهم من سكان المدينة، وكان يوجد في المدينة يهود من بني قينقاع والنضير وقريظة وكتب النبي ﷺ وثيقة تنظم العلاقة مع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي[1].

---

(١) انظر خاتم النبيين، أبو زهرة: ١٣-١٧.

المطلب الثالث: دراسة عن المجتمع الأمريكي من الناحية الاجتماعية واقتصادية وبيئية ... الخ

المجتمع الأمريكي المعاصر:

إن المجتمع الأمريكي هو خليط بشري، حيث كانت أمريكا العالم الجديد دار هجرة منذ القرن السابع عشر من جميع أنحاء العالم، وتمثل الولايات المتحدة الأمريكية القوة الأولى في العالم سواء من الناحية الاقتصادية أو العسكرية وذلك أعطاها تحكماً في بعض الأوضاع العالمية، ولكن من الناحية الاجتماعية هل يعتبر المجتمع الأمريكي منسجماً ومترابطاً ويشكل وحدة اجتماعية بين أفراده.

- إن الأحوال الاجتماعية في أمريكا مترديه لا ترقى للمقارنة بغيرها من المجتمعات العالمية، فالأسر أغلبها متفكك، والجرائم تنتشر بين الأحداث والراشدين، ويزداد تشكل العصابات المنظمة، وتروج تجارة وتعاطي المخدرات والانحلال الأخلاقي وذلك بسبب البعد عن الدين الصحيح وسيادة النظرة المادية والقيم العلمانية.

- من الناحية الأسرية: لقد انتشر الزواج المفتوح أو العابر في أمريكا الذي يحل كل من الزوجين من أي ارتباط تجاه الأسرة، ويُفك العقد بناء على رغبة أحدهما، لذلك انتشر الطلاق بنسب عالية حيث لا تستمر أكثر علاقة أو زواج مفتوح من ثلاث سنوات، ولقد أثر ذلك على أفراد الأسرة[١] وأدى لتشرد الأطفال واستغلالهم وانحلال الروابط بين الأبوين والأبناء وانعدام الصلات القرابية.

- من الناحية الدينية: إن الالتزام الديني عند الشعب الأمريكي شبه معدوم، ويقتصر على حضور بعض الطقوس الدينية في الكنيسة مع أن المعتقدات السائدة عند الشعب الأمريكي تختلف من فرد لآخر[٢]، وذلك تطبيقاً للحرية التي ينادون بها ولكنها لم تطبق إلا على الدين فقط، وتنتشر الديانة المسيحية مع وجود عدة أديان وذلك لتنوع الأفراد واعتناقاتهم للأديان، ودين الإسلام له وجود في أمريكا بفضل الله

---

(١) علم اجتماع الأسرة، معن: ٢١٠.

(٢) علم الاجتماع الديني، بيومي: ٢٢١-٢٣٠.

تعالى ويعكف الأمريكيون على دراسة الإسلام بعد أن حاولت الصهيونية تشويهه وإظهار المسلمين بمظهر المعتدين، وأن هذا الدين مجرد أوهام وخرافات، وبدأت تستبين الحقائق لهم بأنه دينٌ سماوي عظيم يدخل القلوب ويقنع العقول وموافق لكل زمان ومكان.

الحرية في المجتمع الأمريكي:

يُشاع عن المجتمعات الغربية والأمريكية أنها مجتمعات الحريات، ولكن الحقيقة هي عكس ذلك. يقول "د. فينس كارد" في كتابه "المجتمع الأمريكي عارياً" يبين فيه الأوضاع الاجتماعية ومحاربة الحرية في المجتمع الأمريكي، «إن الرقابة على المواطنين في أمريكا ودول غرب أوربا تزداد سنة بعد سنة وذلك من أجل الأمن والولاء للحكومة وذلك بوضع موظفين خاصين حيث أثبتت الدراسة أن التحري جاري على ١٣,٥٠٠,٠٠٠ أمريكي، ويتم الرصد لجميع المواطنين عن طريق أجهزة التنصت والسمع والرقابة الإلكترونية...الخ».

وإن اشتراك الولايات المتحدة في أربعة حروب ساخنة خلال هذا القرن وفي حرب باردة طويلة الأمد دليل على التقيد الاجتماعي والرقابة على حرية الأفراد[1].

إن الأفراد في المجتمع الأمريكي لا يتمتعون بالحرية، بل يسيرون وفق طريق مرسوم مسبقاً لذلك يُعرف "كينث لن" الفرد الأمريكي" بأنه من أقلع عن كل ميوله وعاداته القديمة، واستقبل ميولاً وعادات جديدة وفق متطلبات الحياة الحديثة التي يدين لها بالطاعة[2].

من الناحية الاقتصادية:

أثر الوضع الاقتصادي في المجتمع الأمريكي كثيراً على الوضع الاجتماعي حيث يشعر الفرد دائماً بحاجته للحصانة المالية أياً كان ثمنها، ومعظم الأمريكيين منضمين إلى شركات التأمين «التي تؤمن لهم التعويضات في حال الأضرار وبسبب عدم وجود الأمن فمعظمهم مشترك بهذه الشركات».

---

(١) المجتمع الأمريكي، فينيس: ١٧-١٨.

(٢) تطور المجتمع الأمريكي، كينث لن: ٥٣.

ويعمل الموظفون في هذه الشركات التأمينية ويبلغ عددهم عشرات الألوف. ويعمـ في تتبع حياة المشتركين مما يؤثر ذلك حتى على العلاقات الخاصة، لذلك قد تعرف الشركات عن المشتركين الأشياء الكثيرة، مما يُشعر الأفراد بوقوعهم تحت السيطرة(١).

إن القيود على الحريات وممارسة الضغوطات وما سببته من أمراض نفسية في المجتمع وشعور بالاغتراب النفسي والقلق ..

لم يجد الأطباء علاجاً إلا الأدوية المهدئة التي غزت ملايين البيوت الأمريكية وآلاف المستشفيات، وهذه المهدئات والمنبهات لمعالجة الاكتئاب وإزالة الضغوطات الفكرية، ولكن هذه الأدوية تزيد الوهم وهي خطيرة تخدر الذهن وتسبب تاثيرات جانبية.

كل ذلك دفع لانتشار الانتحار، وحب المغامرات القائمة على السطو المسلح وتشكيل العصابات وانتشار الإدمان على المخدرات والكحول ... لعل ذلك يعطي شيئاً من الحرية ويخلص الأفراد من الكبت والقيود.

إن تلك القيود على الحريات فرضت نظاماً اجتماعياً خاصاً في المجتمع الأمريكي. يقول "فينس كارد": «إن المجتمع الأمريكي يعاني من رقابة شديدة ومحاسبة أشد إضافة لقيود على الرأي العام والتحكم بوسائل الإعلام والأذهان حتى إنه يقول.. إن التقييد للحريات تعدّ الأشخاص حتى شمل أفكارهم وأحلامهم...»(٢).

حتى منتجي السينما والتلفزيون والصور المتحركة.. يتناولون الموضوعات الجنسية الجريئة دون الموضوعات الاجتماعية وسبب ذلك الخشية من التجريح والسخط من قبل أجهزة الرقابة.

ويرى الحل للتمتع بالحرية: من خلال قوله: «حتى نتمتع بالحرية يجب أن نكون أعداء للنظام الاجتماعي عندها نعتز بالحرية الشخصية...».

---

(١) المجتمع الأمريكي، فينيس: ٣١٠-٣١١.

(٢) المرجع السابق: ٢٣١-٢٣٢.

المطلب الرابع: المجتمعات الإفريقية المعاصرة:

المجتمعات الإفريقية:

عدد سكان القارة الأفريقية يفوق ٨٠٠٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٠م وهم يتوزعون بشكل غير متناسق، وفي قارة تحتوي عروقاً بشرية كثيرة تصل لأكثر من ١٥٠٠ عرق والتعدد يشمل اللغة والدين والقيم... الخ. الأديان المنتشرة في أفريقيا منها أديان محلية تصل نسبتها إلى ٥٥٪ [١] وهي مجرد تقاليد وعادات موروثة من الآباء والأجداد وأكثر هذه الديانات تقوم على تقديس الأجداد والأرواح.

وأما نسبة الإسلام فتصل إلى ٣٥٪.

ودخل الإسلام قارة أفريقيا مع الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم تابع انتشاره عن طريق الفتوحات الإسلامية والدعاة إلى دين الله عز وجل والتجار والرحالة ...

ونسبة الديانة المسيحية ١٢٪ وبدأت انتشارها مع المبشر سان أوغستين.

وانتشرت المسيحية في أفريقيا عن طريق المبشرين حيث كانت البعثات التبشيرية معظمها من الدول الأوربية التي كانت تستعمر الدول الإفريقية. و لم يعد التبشير سوى وسيلة للاستعمار، تحت التستر بغطاء الدين وإخفاء المطامع الاستعمارية.

والاستعمار والتبشير صورتان لوجه واحد حيث أن هناك مقولة للأفارقة عن التبشير: «أخذوا منا الأرض وأعطونا الإنجيل تركونا ننظر إلى السماء وهم ينظرون إلى مافي أيدينا».

من الناحية الاجتماعية:

المجتمعات الأفريقية يفترق بعضها عن بعض وذلك تبعاً لاختلاف الدين والعادات والتقاليد...الخ. وذلك جعل لكل مجتمع عاداته وعلاقاته الخاصة به فنظام الزواج يختلف من قبيلة لأخرى حسب الدين الذي يعتنقه أفراد القبيلة الواحدة، وكذلك مراسم الدفن والاحتفال بالمولود ومعاملة الأقارب.... الخ.

---

(١) المجتمعات الأفريقية، مراد: ١٨-٢٠. وأما الديانة اليهودية فيوجد بعض الأفارقة يعتنقونها ويسمون يهود الفلاشا ولقد هُجروا إلى فلسطين بدعم من الكيان الصهيوني.

فمثلاً مجتمعات وسط أفريقيا يوجد بعض قبائل مثل "اللوكوكو" وهؤلاء يعيشون في جنوب السودان، والتنظيم الاجتماعي يعتبر العائلة هي الوحدة الرئيسية. ولهم عادات خاصة بهم من حيث الزواج ومراسم البلوغ والعادات والتقاليد تختلف عن غيرهم من القبائل.

وأما قبائل "التجرى والأمهرة" فهي قبائل من مجتمعات شرق أفريقية يختلف التنظيم الاجتماعي عن مجتمعات وسط أفريقيا وعن باقي المجتمعات الأفريقية، حيث كل مجموعة من هذه القبائل تنتمي إلى جد واحد من الوراثة والملكية[1].

وأما المجتمعات الأفريقية التي اعتنقت الإسلام، فقد أثر ذلك في عاداتها وتقاليدها وتنظيمها الاجتماعي، لأن ذلك كله يجب أن يُستمد من الدين الإسلامي لذلك لا يختلف المجتمع الأفريقي المسلم عن غيره من المجتمعات الإسلامية، لأنها جميعاً مستمدة من مصدر واحد، مع وجود بعض العادات والتقاليد الاجتماعية الخاصة بكل مجتمع تعطيه طابعاً يميزه عن غيره.

وإن تأثير الإسلام في المجتمعات دليلٌ على أن الدين ليس ظاهرة اجتماعية من صنع البشر أو ينخرط في العادات والتقاليد؛ بل هو مصدر أساسي يُستسقى منه التنظيم الاجتماعي الذي تقوم عليه حياة الأفراد في المجتمع.

من الناحية الاقتصادية:

المجتمعات الأفريقية يغلب عليها مزاولة الزراعة والرعي، لذلك معظم المجتمعات إما زراعية أو رعوية.

فقد يقوم المجتمع باتخاذ الزراعة كنمط للإنتاج وذلك يفرض علاقات اجتماعية متوافقة مع هذا النمط، ولكن في هذه المجتمعات كانت سيطرة الإقطاع واضحة في استغلال الفلاحين وحرمانهم من حقوقهم، في حين تمتع الإقطاعيون بكسب غيرهم. «وهذا كما سبق وبُين من أن نمط الإنتاج يؤثر على المجتمع وعلاقاته من خلال تأثيره بالظواهر الاجتماعية».

---

(١) المجتمعات الأفريقية، مراد: ٦١-٦٥.

وأما المجتمعات التي اتخذت من رعي الأبقاء وغيرها من المواشي نمطاً للإنتاج، فهي تقوم بالاستفادة مما تنتجه هذه المواشي، وطبيعة هذا النمط (الرعوي) جعلهم أقل استقرار لأن طبيعة هذا النمط تفرض التنقل..[1]

وتعاني معظم المجتمعات الأفريقية من الفقر وانتشار الأمراض، والحروب الأهلية والجهل والتخلف ولم تقدم الدول المستعمرة التي تتمتع بالحضارة أي شيء لهذه المجتمعات الفقيرة، بل أثرت سلباً حيث استنزفت خيرات هذه البلاد وعملت على إبقاء التخلف والجهل قائماً في هذه المجتمعات، واستغلت الدين عن طريق الحملات التبشيرية كغطاء لأطماعها وتخضيعاً للشعوب ووضعها تحت سيطرتها.

إن المجتمعات الأفريقية تنهض مجتمعاً تلو الآخر من غفوتها، وتحاول جاهدةً اللحاق بركب معظم المجتمعات العاليمة التي سبقتها، وذلك يتطلب الاعتقاد الصحيح الذي يغرس في النفوس الطمأنينة ويدفع للتقدم، ويحول المجتمع من مجتمع مترهل إلى مجتمع جديد ينشأ فيه الأفراد بعلاقات تتناسب وإنسانيتهم وعقولهم بعيداً عن الخرافات والأوهام، متجهةً نحو العلم والتعلم والعمل.

المطلب الخامس: المجتمع الأوربي الطبقي:

المجتمع الأوربي:

لن أستفيض في الحديث عن المجتمع الأوربي لأنه شبيه بالمجتمع الأمريكي، فسيادة المادة على الروح، والقيم العلمانية على التعاليم الدينية، وانتشار الإباحية والانحلال الأخلاقي والتفكك الأسري... الخ كل ذلك منتشر في المجتمع الأوربي.

لقد أورثت الأنظمة السابقة التي شاعت في المجتمع الأوربي «بدءاً من المجتمعات اليونانية والرومانية...[2] مروراً بالثورات في أوربا مع بداية القرن السابع عشر الناتجة عن ظلم النبلاء ورجال الكنيسة لعامة الشعب»، نظام الطبقية فكل مجتمع يوجد فيه طبقتان إحداهما قائمة على حساب الأخرى، وتتمتع بنفوذ أكبر في حين تعاني الأخرى وتحرم

---

(١) المجتمعات الأفريقية، مراد: ٢٦-٢٨.

(٢) طبقية المجتمع الأوربي، البهي: ٢٠-٢١، المجتمع الأوربي، العدوي: ٩-١٢.

من ثمرة عملها، وهذه الطبقية استخدمتها الدول الأوربية مع الدول التي تستعمرها فكانت تنظر بمنظار الطبقية حيث تأخذ هذه الدول دور المستغل الطامع. وأما الدول الأخرى المُستعمَرة فهي الطبقة الثانية التي تعاني من ويلات الاستعمار وغطرسته.

وهذه الروح العنصرية التي طغت على التعامل الدولي، أثرت على المجتمع الأوربي نفسه، حيث أصبحت بعض المجتمعات الأوربية تعتقد بتميزها عن غيرها حتى عن الأوربيين أنفسهم، فتعالت دعوات الفاشية والنازية وغيرها وسبب ذلك حروباً عالمية أثرت على العالم بأسره.

وتعدت الطبقية النظرة الجوارية في المجتمع الأوربي إلى النظرة الداخلية، حيث نشأت الطبقات ضمن المجتمع نفسه، وقام هذا على أساس مقدار الثروة التي يملكها الفرد ونفوذه، في حين يعتبر الأفراد المقابلين لهؤلاء ولا يملكون نفس الميزات هم الطبقة الثانية وهذا هو الذي أدى إلى ظهور الطبقية من (إقطاع وفلاح) و(رأسمالي وعامل) (ملاك غني، محروم فقير)...

أما في الإسلام فقد ألغى الطبقية وساوى بين العبد والسيد واعتبر المفاضلة ترجع إلى التقوى قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٣].

لذلك قام المجتمع الإسلامي على أساس المساواة في التكوين قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [النساء: ٤/١].

ثم بين سبب تقسيم البشرية إلى مجتمعات ليس بدافع التفرقة بل من أجل التعارف قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ٤٩/١٣].

ومن الأعمال الأولى التي بدأها سيدنا محمد ﷺ في المجتمع الإسلامي هي الإخاء بين أفراد المجتمع جميعاً فآخى بين المهاجرين والأنصار حتى يذيب الطبقية في المجتمع ويتساوى جميع الأفراد فيه.

المطلب السادس: المجتمع الإسلامي المعاصر:

المجتمع الإسلامي المعاصر:

لا بد من وقفة مع واقع المجتمع الإسلامي المعاصر، وعندما نتحدث عن المجتمع الإسلامي بهذا العصر وعن الإسلام فكأننا نتحدث عن شيئين قد يختلفان أكثر مما يتفقان، ويرجع السبب إلى أن معظم أفراد المجتمع اكتفوا بالإسلام كنسب و لم يتمثلوه قولاً وعملاً.

- عُرف المجتمع الأوربي بأنه مجتمع واحد، وكذلك المجتمع الأمريكي، لأن القيم والمعتقدات والعادات والتقاليد متشابهة عند جميع أفراد المجتمع وأيضاً العلاقات والنظم السائدة لا تختلف من جماعة لأخرى، لذلك شكلت القارة مجتمعاً واحداً «وما يُقال بالنسبة للمجتمع الأوربي يُقال عن المجتمع الأمريكي».

- أما القارة الأفريقية لم تشكل مجتمعاً واحداً، بل شكلت عدة مجتمعات «مجتمعات إفريقية».

ويرجع السبب إلى تعدد اللغات والأعراق والمعتقدات والتقاليد والقيم...الخ.

فالشرق الإفريقي يختلف عن غرب إفريقيا وجنوبها ووسطها بل في الشرق الإفريقي أو غربه أو... يتشكل عدة مجتمعات بسبب هذا التباين.

- أما بالنسبة للمسلمين فقد شكلوا مجتمعاً واحداً عندما كانوا ملتزمين بتعاليم الدين الإسلامي، الذي وحدهم وكان دستورهم في حياتهم ومنظماً لعلاقاتهم ومعاشهم. وذلك جعل منهم مجتمعاً واحداً، بل جسداً واحداً، فالمسلمون يشكلون وحدةً واحدة. «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

فالإسلام يدعو المسلمين إلى الأخوة والتضامن وحب الخير لجميع المسلمين كما يحب المرء الخير لنفسه.

- ولكن عندما ابتعد المسلمون عن تعاليم الدين الإسلامي وخالف فعلهم منهج الإسلام أدى ذلك لتفرقهم وتباينهم حتى أصبح كل جماعة يشكلون مجتمعاً ينسب إلى الإسلام نسبةً لا فعلاً. وحق فيهم قول الشاعر:

صعد الدين إلى الله مستغيثاً وقال العباد قد ضمنوني

يتسمون بي وحقك لا أعرف منهم أحداً ولا يعرفوني

وسبب تهميش الدين في حياة أفراد المجتمع يرجع إلى ما مر به المجتمع الإسلامي من سيطرة الاستعمار منذ الحروب الصليبية، ومروراً بالاستعمار الامبريالي وحالياً بوجهه الجديد القائم على بث سيطرته الاقتصادية والعسكرية بمنطق القوة وبشعارات مبطنة بالحقد والتآمر على الشعوب العالمية عموماً والإسلامية خصوصاً.

وعمل الاستعمار على نشر التخلف والجهل وزرع الطائفية وخطط لإبقاء المجتمع تحت تبعيته من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحتى الدينية، فلقد حاول تصدير أفكاره وآرائه حول الدين، وصُدر للمجتمع الإسلامي شعار (الدين للكنيسة) أي أن الدين يُحصر فقط في مزاولة العبادة، ولا دور له في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... الخ[1].

وهذه الشعارات أثرت كثيراً في المجتمع من حيث التطبيق والتبعية وتبني بعض الأفراد لهذه الأفكار وتأثرهم بها ...

وحاول الاستعمار عزل المجتمع الإسلامي وتشويه صورته أمام المجتمعات العالمية، ولصق تهمٍ به لإضعافه وإيقاف انتشاره، والنيل من تاريخ الأمة الإسلامية بقول أن الإسلام انتشر بقوة السيف وقام على نهب الشعوب ومس كرامتها،... وبدلاً من أن ينهض أفراد المجتمع الإسلامي ويردوا على ادعاءات المستعمرين ليبينوا حقيقة دينهم، تقاعسوا وتسربت إليهم بعض هذه الادعاءات.

ويجب العلم بأن المجتمع الإسلامي يتمتع بالأصالة لأنه يستمد منهج حياته من الإسلام وهذا مبدأ أصيل، وإن الأصالة مناقضة للتبعية، ومتى ترك المجتمع الإسلامي تبعيته للغير واستمد من أصالته حياته فسيرجع إلى مجده وتحقيق ذاته وقوته من خلال ازدهاره على جميع المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية... كما كان في السابق.

---

(١) طبقية المجتمع الأوربي، البهي: ٦٥-٦٨.

المبحث الثالث

العولمة، تطور الاتصالات

المطلب الأول: العولمة: مفهومها – وأثرها:

إن الاستعمار دائماً يأخذ لباساً وشكلاً جديداً يتناسب مع تحقيق أطماعه وبث سيطرته، وفي هذا العصر أخذت الرأسمالية الصناعية شكلاً جديداً وأسلوباً ابتكرته الرأسمالية الامبريالية القائمة على الاستغلال والهيمنة، وذلك بالسيطرة على الاقتصاد العالمي عن طريق شركات عملاقة تفردت الولايات المتحدة الأمريكية بإدارتها[1] وهذا أسلوب جديد لا يختلف كثيراً عن الأساليب الاستعمارية من حيث المضمون فالغاية واحدة سواء في الاستغلال التجاري أو الاستعمار أو فرض الهيمنة على الاقتصاد العالمي، لذلك لا تعتبر العولمة مفهوماً جديداً، أو حدثت فجأة بل لها جذوراً تاريخية ومقدمات موضوعية ظهرت مع بداية الربع الأخير من القرن العشرين وارتبطت بالثورة الصناعية والتكنولوجية وتطور الاتصالات...

والعولمة – نظر إليها البعض نظرةً سلبية على أنها قائمة على بث السيطرة واستغلال الشعوب – في حين نظر إليها البعض على أنها قفزة حضارية تتمثل في تعميم التبادلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بحيث يصبح العالم سوقاً للتبادل.

– العولمة لها مفهوم خاص من هذه الوجهة «فهي نشر المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الناس، وتذيب الحدود بين الدول وتزيد معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات»[2].

---

(١) علم الاجتماع، حمش: ٢٠٥، العرب والعولمة: حوات: ١٩، انهيار مزاعم العولمة، عزت: ١٤. العولمة والتحولات المجتمعية، عبد المعطي: ١٨.

(٢) الاتصالات في عصر العولمة: ٦٣.

ولكن هذا المفهوم يكون صحيحاً عندما يشارك الجميع فيه ويتساوون.

- الآن العولمة تعمل على إشاعة الأشكال الاقتصادية التي تساير مصالحها وتبث الأفكار الملائمة لها وتعممها وتفرضها على الآخرين، لذلك القصد منها هو التخضيع وتحقيق التبعية.

يقول حوات: «إن العولمة تبرز أفكاراً في معاني الحقد والكراهية والعنصرية التي يمارسها الغرب ضد العرب بالسيطرة على خيراتهم واستغلالهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي...»[1].

ويظهر ذلك من خلال أن المشيع للأفكار والأنظمة الاقتصادية والسياسية وغيرها يرجع إلى جهة مسيطرة تفرضها على الآخرين.

- والرأسمالية أيديولوجية مركبة من ظواهر سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية أدركت الرأسمالية أن الاحتلال العسكري الذي جربوه بمختلف دول العالم، لم يقض على ثقافة الشعوب و لم يفرغها من محتواها، لذلك جاء الاستعمار بلباس جديد هو العولمة ورفع شعارات براقة منها:

١- رفع شأن الإنسان والتأكيد على حقوق الإنسان.

٢- طرح شعارات الديمقراطية.

٣- الانفتاح على العالم.

٤- تعزيز التعاون الأممي.

٥- مساعدة الشعوب الفقيرة.

إلا أن هذه الشعارات كانت مجرد غطاء لأطماع شركات كبرى تهدف للسيطرة على العالم والذي يبرر هذه الحقيقة:

١- العولمة لم تبدأ مقاومتها في دول العالم الثالث وإنما بدأت المقاومة للعولمة من مصادرها في أمريكا - وأوربا.

---

(١) العرب والعولمة، حوات: ٢٠.

من خلال قيام مظاهرات في أمريكا وأوروبا ضد العولمة.

٢- استخدام التقنيات المتقدمة والاستغناء عن الأيدي العاملة وفصل عمل وفقد السند الاجتماعي والاقتصادي لهؤلاء العمال مما جعلهم يتصورون الخطر الذي سيحدق بهم.

أما بالنسبة للعرب والمسلمين فمخطط العولمة واضح تجاههما والعولمة لا تظهر أمامهما إلا بوجهها السلبي القائم على الاستغلال وبث السيطرة والهيمنة على مقدرات العالم العربي والإسلامي، حتى إن العولمة المتمثلة بالشركات الكبرى لا تتوانى عن دعم أي مخطط استعماري طالما أنه يخدم مصالحها.

وبذلك ينكشف قناع العولمة وتظهر للعيان بمظهرها الحقيقي الاستعماري.

- من يتتبع التاريخ ويقارن بين ماتم طرحه من الاستعمار عندما ادعى بأنه مُخلص الشعوب ويحمل رسالة إنسانية تسعى لخير الإنسان. ولكن سرعان ماتكشفت الحقائق، وظهرت نوايا الاستعمار الخبيثة القائمة على استنزاف خيرات البلدان وإحكام السيطرة عليها سوف يستنتج أن الاستعمار والعولمة هما وجهان لعملة واحدة.

ويكفي دليلاً على سلبية العولمة أنها لم تقدم أي شيء جديد على مستوى أي صعيد بل العكس؛ حاولت تفريغ الشعوب من محتواها الاقتصادي والثقافي والديني ثم ملأت هذا الفراغ بما يتساير مع مصالحها.

المطلب الثاني: تطور الاتصالات في العصر الحالي:

في هذا العصر أصبح العالم قريةً صغيرة بل غرفة واحدة، وذلك بسبب تطور الاتصالات المرئية والسمعية، حيث انتشرت الأجهزة الميسرة للاتصال كالمذياع (والرائي) التلفاز والأجهزة الإلكترونية والاتصالات السلكية واللاسلكية وانتشار شبكات المعلومات كشبكة الأنترنيت التي تحتوي على مواقع كثيرة تضم جميع العلوم والأخبار وهي نقطة اتصال وتفاعل بين جميع الشعوب وبفضل الله يوجد مواقع كثيرة لتعريف العالم بالإسلام ورسالته السمحاء ولكن بالمقابل يوجد مواقع تدعو لخراب

لأخلاق وشيوع الفاحشة وتعمل على رسم صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين والأنترنيت والتلفاز والمحطات الفضائية.. كلها تعتبر سلاحاً بيد المسيطر عليه، ولقد استغلت الصهيونية ذلك وحاولت تشويه الحقائق وبث المعلومات التي تأتي في صالحها، وتزيف الحقائق والوقائع مما أدى لانتشار أفكار تخالف المبادئ والقيم الدينية والاجتماعية وهذا يسمى (الغزو الفكري).

ويمكن أن يكون هذا السلاح مضاءً بيد الأمة العربية والإسلامية في الدفاع عن قضاياها، وتحقيق استقلالها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والمحافظة على التراث الفكري والاجتماعي المستمد من ديننا الإسلامي العظيم وبذلك نكون مؤثرين لا متأثرين.

المطلب الثالث: عولمة الدين:

لعل هذا المصطلح جديد من حيث الطرح مع العلم أن مضمونة ظاهر في خطابات ومطالب رواد العولمة حيث يحاول هؤلاء رسم صورة للدين والتدين في المجتمعات من خلال طرح شعارات ومبادئ وقوانين تأخذ مكان الدين من حيث التشريع فلا يبقى لقدسية الدين وتعاليمه أثر في حياة أفراد المجتمع.

إن طرح شعار "الدين للكنيسة" وتعميمه على سائر الأديان إنما قُصد منه النيل من بعض الرسالات السماوية لا سيما الإسلام. ومع أن هذا الشعار هو ثمرةٌ لثورة في أوربا كانت ضد النبلاء ورجال الدين الذين أساؤوا لشعوبهم إلا أن تعميمه واستخدامه كسلاح في وجه الديانات السماوية يعتبر منافياً لمبادئ الحرية ومناهضاً للرسالات السماوية.

ولم يُخفي رواد العولمة أهدافهم حول الدين وأثره في المجتمع فلقد نفوا كل التعاليم الدينية الناظمة لحياة أفراد المجتمع من عبادات ومعاملات وعلاقات اجتماعية... معللين ذلك بأن تعاليم الأديان السماوية لا تتماشى مع التقدم والتطور الذي يشهده العالم، ويمكن بنظرهم الاستعاضة عن أحكام الدين بقوانين وضعية تنظم حياة الأفراد.

ولقد استُهدف العالم الإسلامي من قبل هؤلاء فحاولوا زرع الشك وريبة في نفوس بعض المسلمين، بإيهامهم أن أحكام الدين الإسلامي لا تتوافق مع عصر الحاضر فلا بد من استبدالها أو فهمها بطريقة أخرى تتماشى مع الواقع كما هو حب في جميع الأديان. ووجدت هذه الدعوة إصغاء من قبل البعض ممن تخلوا عن دينهم بعرض من الدنيا قليل أو ممن غرتهم أهواءهم وأمانيهم وأخذوا يؤولون الأحكام ويجتهدون في تكييفها مع الواقع فوقعوا في شرك الابتداع في الدين ومخالفة الأحكام الشرعية الثابتة، ومن الأمثلة الدالة على تخبط هؤلاء المتجرئين على الدين: "تحليل التعامل الربوي، وجعل حجاب المرأة مرتبط بالعفاف الاجتماعي ونفي صفة أنه من الفروض الدينية، التسامح في الميسر، المساس بأمور العقيدة الإسلامية ....".

دين العولـمـــة:

لا يختلف هذا المصطلح عن سابقه فمن المعلوم أن دين العولمة هو المصلحة فما كان يوافق مصالحها أخذ صفة الإلزام الديني وما خالفها يعتبر محرماً وإن أقره دين ما.

- وعلى كل مسلمٍ أن يتمسك بدينه العظيم الذي رضيه الله عز وجل له ولكل البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ويجب عدم الإصغاء لما يتقو له الغرب عن الإسلام والمسلمين بل إن ذلك يجب أن يكون سبباً لكل مسلم حتى يتعمق في دينه ويلتزم عن دراية وقناعة كما فعل السلف الصالح.

فما يتعرض له المسلمون اليوم من تربص الأعداء في دينهم ومحاولتهم النيل منه ومن معتنقيه، شبيه بما تعرض له المسلمون مع بدء الدعوة الإسلامية حيث تمالأت قريش والقبائل العربية على المسلمين وحاولوا قتل المسلمين وتشريدهم وقاموا بمقاطعتهم ومنع التعامل معهم من بيع وشراء وزواج وصلة رحم وعهدٍ....

فما زاد ذلك المسلمين إلا ثباتاً وإصراراً على التمسك بدين الإسلام.

وها هو أحد زعماء قريش يبين لبعض المستضعفين من المسلمين أن دين قريش هو "عبادة وتجارة" ولكن المسلمين أبوا استبدال دينهم لأغراض دنيوية وأصروا على قدسية الدين وعظمته وزادهم ذلك تمسكاً به.

وإني لأجد مقولة "عبادة وتجارة" موافقة تماماً لما تطرحه العولمة من مفاهيم حول الدين "الدين المصلحة...".

وأخيــراً:

لقد رضي الله عز وجل للإنسانية جمعاء دين الإسلام العظيم.

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾.

فيتبين من الآيتين العظيمتين أن الإسلام رسالة عظيمة لكل الإنسانية كاملة تامة تصلح لكل زمان ومكان وتناسب كل عصر فيها مكمن السعادة لجميع البشرية.

لذلك لا يُستمع لدعوى التماشي مع الحضارة أو دعوى التجديد والتطوير لأن الإسلام يتصف بالكمال والثبات فهو مستثنى من هذه الدعاوى.

وعلى كل مسلم أن يعلم عظمة هذا الدين ويتمسك به قولاً وفعلاً واعتقاداً وبجميع أحواله في معاملاته وعباداته وأخلاقه وعلاقاته الاجتماعية...

ولا يُصغى لأولئك الذين يدعون أنهم أهل الاجتهاد وأن الإسلام يمكن فهمه في كل عصر بحسبه مستدلين على ذلك:

١- باب الاجتهاد مفتوح للجميع لا يقتصر على فئة أو على عصر ويجب إعمال الرأي والذهن في فهم الأحكام وتطبيقها بحيث تتلائم مع الواقع.

وهذا كلام مردود فالاجتهاد له شروط لا بد من تحصيلها وهناك أمور يجوز الاجتهاد بها وأما ثوابت الدين لا يجوز الاجتهاد بها مثل "حجاب المرأة (فرض)، حرمة التعامل الربوي، حرمة الاختلاط وتشبه الرجال بالنساء والعكس...".

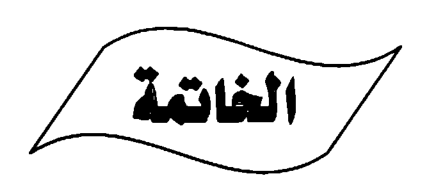
٢- الفهم الخاطئ لبعض القواعد الأصولية.

فلقد حمّل البعض قاعدة "تغير الأحكام بتغير الأزمان" أكثر مما تحتمل فأخذوا يستمرئون الحرام متعللين بهذه القاعدة فقالوا بجواز إظهار المرأة شيئاً من جسدها

لضرورة العمل ورفعاً للحرج وقالوا بجواز التعامل الربوي مع البنوك بحجة حماية ـ من السُرّاق أو بحجة أنه شبيه بالشركة الشرعية ...

وهذه القاعدة خاصة ببعض الأحكام الفرعية لا ثوابت الدين، أما القاعدة الأساسية المستمدة من الآية الكريمة (اليوم أكملت لكم دينكم....) فهي "ثبوت الأحكام مع تغير الأزمان" فأحكام الدين ثابتة لا تتغير، أما ما يخص بعض الطرق التي تيسر المعاملات فيجوز الأخذ بها شريطة أن تكون مستندة لدليل شرعي ففي زمنٍ كانت الحبوب تكال بالمكيال ومع تقدم الأزمان وباختراع الموازين الدقيقة أُستعيض بها عن المكيال، ومع تطور الطب ووسائله واكتشاف فائدة التبرع بالدم لشخص مريضٍ يحتاجه جعل من هذا العمل عملاً مشروعاً بل وصالحاً يُثاب عليه فاعله قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ويُقال أيضاً مثل ذلك في زرع الأعضاء البشرية "وفق وجهها الشرعي كما بينه الفقهاء المعاصرون".

- عقد الاستصناع لم يكن متعارفاً عليه مع بدء الدعوة الإسلامية ولكن مع تقادم الزمن وحاجة الناس لهذا العقد لم يجد الفقهاء ضيراً من إجازته طالما أنه لا يخالف الشريعة الإسلامية ويحقق رفع الحرج والضيق عن المسلمين قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ .



الخاتمة

الحمد لله رب العالمين في أوله وآخره، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد تم التعريف ببعض مواضيع علم الاجتماع الإسلامي وفروعه كإشارة على هذا العلم الإسلامي ومصادره وعلمائه حيث يبين هذا الكتاب سبق المسلمين في البحث بقضايا المجتمع وطبيعة العلاقات السائدة فيه حتى إن علماء الاجتماع الغربيين أقروا بأن المسلمين كان لهم السبق في وضع علم الاجتماع واعتبروا أن ابن خلدون هو المؤسس لهذا العلم "علم الاجتماع".

ومن خلال ما تم بحثه في هذا الكتاب يتبين أن علم الاجتماع الإسلامي هو أحد فروع علم الاجتماع العام ولقد عُني العلماء في هذا العلم باعتباره السبيل الوحيد لدراسة المجتمع الإسلامي لما له من مصادر وأصول خاصة به ولا يمكن دراسة المجتمع الإسلامي وفق علم الاجتماع الديني الذي ابتدعه علماء الاجتماع الغربيين لأنه قائم على مقدمات خاطئة فهو يدرس الدين والتدين في المجتمع باعتبارهما ظاهرة اجتماعية، وأن الدين لا يعدو أن يكون مجرد خطأ عقلي وقع به الإنسان البدائي، وأن مآل الدين إلى الزوال وذلك عندما يتخلص الإنسان من الخطأ العقلي الذي وقع فيه.

وهذا الاعتقاد الغربي لمفهوم الدين يجعلنا نرفض القواعد والنتائج التي توصلوا لها عند دراستهم لأثر الدين في مجتمعاتهم ونرفض تعميم هذه الدراسات والنتائج على مجتمعنا الإسلامي.

وإذا ما أردنا البحث في قضايا اجتماعية وأثر الدين الإسلامي فيها فلا سبيل لنا إلا علم الاجتماع الإسلامي، وهذا العلم يصف ويُقيّم الأفراد في المجتمع من خلال حياتهم ومعاشهم وعلاقاتهم ومدى امتثالهم لتعاليم الدين الإسلامي في كل ذلك.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

كتب التفسير:

١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (ت: ٦٧١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، محمد الآلوسي البغدادي، (ت: ١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت، طبعة عام ١٩٩٤م.

٣) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق الصابوني، دار النمير دمشق، دار القلم حلب، طبعة ١٩٨٩م.

كتب الحديث الشريف:

٤) الجامع الصحيح، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٦هـ)، د. مصطفى البغا دار العلوم الإنسانية، دمشق.

٥) الجامع الصحيح، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، (ت: ٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى الحلبي.

٦) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق عزت عبيد الدعاس، دار ابن حزم، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٧م.

٧) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحقيق أحمد شاكر دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م.

٨) سنن النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت: ٣٠٣هـ) تحقيق عبد الغفار البزاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٩) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

١٠) المسند للإمام أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.
١١) الموطأ، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك، (ت: ١٩٧هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى الحلبي: ١٩٥١م.
١٢) شعب الإيمان أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت: ٤٥٨هـ، الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، تاريخ ١٩٩٠م.
١٣) السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت: ٤٥٨هـ) دار المعرفة، بيروت.
١٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي، (: ٨٠٧هـ)، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.

كتب علم الاجتماع الإسلامي:

١٥) باختصار عن كتاب للدكتور: مصطفى الشكعة "الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون".
١٦) دراسات في علم الاجتماع الإسلامي، د. عبد الهادي الجوهري، مكتبة الشرق، القاهرة، ١٩٨٣م.
١٧) المدخل لعلم الاجتماع الإسلامي، د. صلاح مصطفى الفوال، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
١٨) نحو علم اجتماع إسلامي، زكي محمد اسماعيل، كلية العلوم الاجتماعية، الرياض، ١٩٨٨م.
١٩) الإسلام ملاذ كل المجتمعات، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر.

كتب علم الاجتماع العام:

٢٠) الانحراف الاجتماعي بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعي، د. سامية جابر، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٨١م.
٢١) الانحراف الاجتماعي – الأنماط والتكلفة، د. السيد علي شتا، مطبعة الإشعاع، مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٢٢) تمهيد في علم الاجتماع، د. عبد الكريم اليافي، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٤م.
٢٣) التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات، المجمع الملكي للبحوث، عمان، ١٩٨٩م.
٢٤) تطور المجتمع الأمريكي، كينث لن، ترجمة نعيم موسى، دار اليقظة العربية.

٢٥) التفسير الاجتماعي للجريمة، عبد الجليل الطاهر.
٢٦) إشباع الحاجات في المجتمع الإسلامي، د. عبد السلام العبادي.
٢٧) الدين والتغيير الاجتماعي في الوطن العربي، عاطف غضيبات، منتدى الفكر عربي. عمان ١٩٨٩م.
٢٨) الزواج وتطور المجتمع، عادل أحمد سركيس، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي.
٢٩) عوامل التغيير الاجتماعي، قاسم حسين الحائري، دار العلوم، لبنان، طبعة أولى ١٩٨٨م.
٣٠) علم الاجتماع الديني، زيدان عبد الباقي، مكتبة غريب، جامع قاريونس، بنغازي.
٣١) علم الاجتماع الديني، محمد أحمد بيومي، دار المعرفة الجامعية، مصر.
٣٢) علم الاجتماع الموضوع والمنهج، د. مجد الدين حمش، مكتبة مجدلاوي، عمان، طبعة أولى ١٩٩٩م.
٣٣) علم الاجتماع الأسرة، د. معن خليل عمر، عمان دار الشروق، طبعة أولى ٢٠٠٠م.
٣٤) الفكر التربوي العربي الإسلامي، تحرير عون الشريف الحبيب الجناحي، تونس ١٩٨٧م، المنظمة العربية للتربية والثقافة.
٣٥) علم اجتماع التربية، عبد الله رشدان دار الشروق، عمان، طبعة أولى ١٩٩٩م.
٣٦) قاموس علم الاجتماع، عبد الهادي الجوهري، مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٣م.
٣٧) معجم علم الاجتماع، د. معن خليل العمر، طبعة أولى عام ٢٠٠٠م.
٣٨) موسوعة علم الاجتماع، إحسان محمد الحسن، دار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٣٩) موسوعة علم الاجتماع، جوردون ومارشال، مجلد (٢)، طبعة أولى ٢٠٠٠م.
٤٠) المدخل إلى مبادئ الاقتصاد الاجتماعي، إسماعيل محمد هاشم، المكتبة الجامعية، ١٩٩٩م.
٤١) مدخل في علم الاقتصاد، ناظم الشمري، المكتبة الوطنية، ١٩٩٩م.
٤٢) مقدمة في علم الاجتماع، د. إبراهيم عثمان، دار الشروق، عمان، طبعة أولى ١٩٩٩م.
٤٣) المجتمع الأمريكي عارياً تأليف فينس باكارد ترجمة عبد الحميد سليم.
٤٤) المجتمعات الأفريقية، د. عدنان مراد، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٥م.
٤٥) طبقية المجتمع الأوربي، وانعكاس آثارها على المجتمع الإسلامي المعاصر، د. محمد البهي، دار التضامن، القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٨٢م.
٤٦) المجتمع الأوربي في العصور الوسطى، د. إبراهيم العدوي، دار المعرفة، مصر.
٤٧) ظاهرة الطلاق في سوريا، أمال صلاح عبد الرحيم، أطروحة ماجستير، ١٩٩٣م.

كتب الفقه الإسلامي:

٤٨) أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، (ت: ٧٥١هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، طبعة أولى ١٩٩٧م.
٤٩) بدائع الصائع، علاء الدين الكاساني، (ت: ٥٨٧هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، طبعة أولى ١٩٩٧م.
٥٠) الحاوي الكبير لابن الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، طبعة أولى ١٩٩٤م.
٥١) رد المحتار شرح الدر المختار لخاتمة المحققين محمد أمين الشهير بابن عابدين، (ت: ١٢٥٢هـ) مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، طبعة ثانية ١٩٨٩م.
٥٢) روضة الطالبين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت: ٦٧٦هـ)، مكتب إسلامي للطباعة.
٥٣) الشرح الكبير، شرح مختصر خليل لأبي البركات سيد أحمد الدردير، دار الفكر.
٥٤) القوانين الفقهية، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ثانية ١٩٨٩م.
٥٥) كشاف القناع على متن الإمتاع، للإمام منصور بن يونس البهوتي، (ت: ١٠٥١هـ) عالم الكتب، بيروت، طبعة اولى ١٩٩٧م.
٥٦) المغني، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، (ت: ٦٢٠هـ)، مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٨١م.
٥٧) المبسوط، شمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت، طبعة ثالثة، ١٩٧٨م.
٥٨) المهذب في فقه الإمام الشافعي لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، (ت: ٤٧٦هـ).
٥٩) موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، طبعة رابعة ١٩٩٧م.
٦٠) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على المذهب الشافعي، شمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي، (ت: ١٠٠٤هـ)، المكتبة الإسلامية.

كتب الإجماع والقياس واللغة:

٦١) مراتب الإجماع، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، (ت: ٤٥٦هـ) دار الكتاب العربي.
٦٢) الإجماع لأبي بكر محمد بن أحمد بن إبراهيم بن المنذر (ت: ٣١٨هـ)، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.

٦٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام العز بن عبد السلام، (ت: ٦٦٠هـ) دار المعرفة. بيروت
٦٤) نهاية السول في شرح منهج الأصول للقاضي، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، (ت: ٦٧٥هـ)، تأليف الشيخ عبد الرحيم الأسنوي، (ت: ٧٧٢هـ). المطبعة السلفية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٢م.
٦٥) العين للخليل الفراهيدي، (ت: ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي.
٦٦) لسان العرب، العلامة ابن منظور، (ت: ٧٣١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

كتب السيرة النبوية:

٦٧) الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، دار كرم بدمشق طبعة رابعة ١٩٥٥.
٦٨) خاتم النبيين، محمد أبو زهرة، دار التراث، بيروت.
٦٩) هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، حنان اللحام، دار الفكر، دمشق، طبعة أولى ٢٠٠١م.

كتب مقارنة الأديان:

٧٠) المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، عبد الرزاق محمد اسود، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، طبعة الأولى ١٩٨١م.
٧١) مقارنة الأديان (اليهودية)، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة العربية، طبعة عاشرة ١٩٩٢م.
٧٢) مقارنة الأديان (المسيحية)، د. أحمد الشلبي، مكتبة النهضة المصرية، طبعة عاشرة ١٩٩٣م.
٧٣) الملل والنحل، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.

كتب الاقتصاد:

٧٤) البنك الإسلامي، د. ماجد علي، دار النهضة العربية، ١٩٨٢م.
٧٥) تمويل التنمية في الاقتصاد الإسلامي، دراسة مقارنة، شفيق دنيا، مؤسسة الرسالة.
٧٦) موسوعة الاقتصاد الإسلامي، د. عبد المنعم الحمال، دار الكتاب المصري واللبناني، طبعة ثانية ١٩٨٦م.
٧٧) نظام البنك الإسلامي، د. علي سولياك.

كتب القانون:

٧٨) التشريع الجنائي الإسلامي مقارن بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، بيروت، دار الكتاب، طبعة رابعة ١٩٨٥م.
٧٩) موقف الشريعة الإسلامية من المصارف الإسلامية المعاصرة، عبد الله عبد الرحيم العبادي، المكتبة العصرية، بيروت.
٨٠) الموسوعة الجزائرية، فريد الزعبي، دار إصدار بيروت، طبعة ثانية، ١٩٩٥م.
٨١) الموسوعة الجنائية، جندي عبد الملك، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الكتب الطبية والمجلات:

٨٢) الإيدز، د. جنسن بندبورغ، تعريب موفق الحمصي، دمشق، دار المعاجم ١٩٩٤م.
٨٣) داء الإيدز، الفاضل عبيد عمر، دار النفائس، طبعة أولى ١٩٩٣م.
٨٤) مجلة العلوم الحديثة العالمية، العدد ٦، الخاص بالإيدز ١٩٩٣م.
٨٥) مجلة العلوم الحديثة العالمية، العدد ١١، أخطار الإيدز، ١٩٩٧م، صادرة عن الكويت مترجمة عن الإنكليزية.

كتب خاصة عن (العولمة والجغرافية وعلم النفس).

٨٦) انهيار مزاعم العولمة، د. عزت السيد أحمد، اتحاد كتاب العرب، دمشق.
٨٧) الاتصال في عصر العولمة الدور والتحديات، دار النهضة العربية، طبعة ثانية ٢٠٠١م.
٨٨) العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، عبد الباسط عبد المعطي، مكتبة مدبولي ١٩٩٩م.
٨٩) العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل، محمد علي حوات، مكتبة مدبولي، مصر، طبعة أولى ٢٠٠٢م.
٩٠) أعلام الجغرافيين العرب، عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، طبعة أولى ١٩٨٤م.
٩١) أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، جامعة الاسكندرية، المكتب المصري الحديث.
٩٢) باختصار عن كتب فلسفة إقبال للدكتور علي حسون.

فهرس الموضوعات

هذا الكتاب

يقدم لكل قارئ مادة علمية إسلامية، ويتناول عدة مواضيع اجتماعية جديدة من حيث الطرح والمعالجة مستنداً لأدلة شرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال علماء الاجتماع المسلمين والغربيين.

ويختلف عن الكتب الأخرى التي بحثت في علم الاجتماع بأنه يعطي الأولوية لدراسة المجتمع الإسلامي من وجهة نظر إسلامية لا غربية بقلم عارفين وباحثين مختصين قديرين مما أعطى هذا الكتاب طابعاً خاصاً وشيقاً ملبياً لحاجة الطلاب في المدارس والمعاهد والكليات بأسلوب مُيسر رشيق يرضي الفكر والذوق والتطلعات راجين من الله تعالى أن يجعل فيه الفائدة والنفع العميم والله سبحانه وتعالى ولي العون والتوفيق.

الناشر

